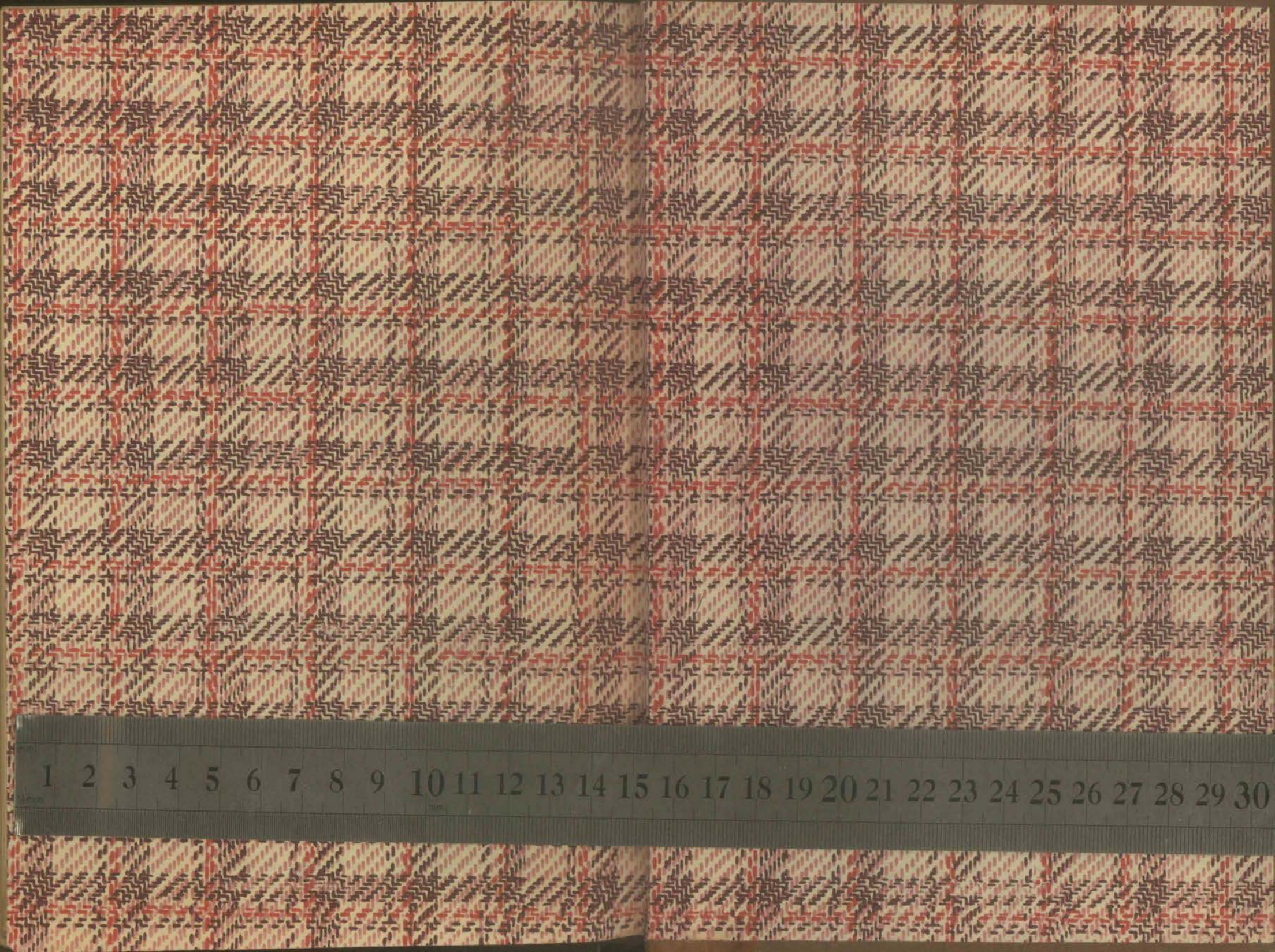
1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30

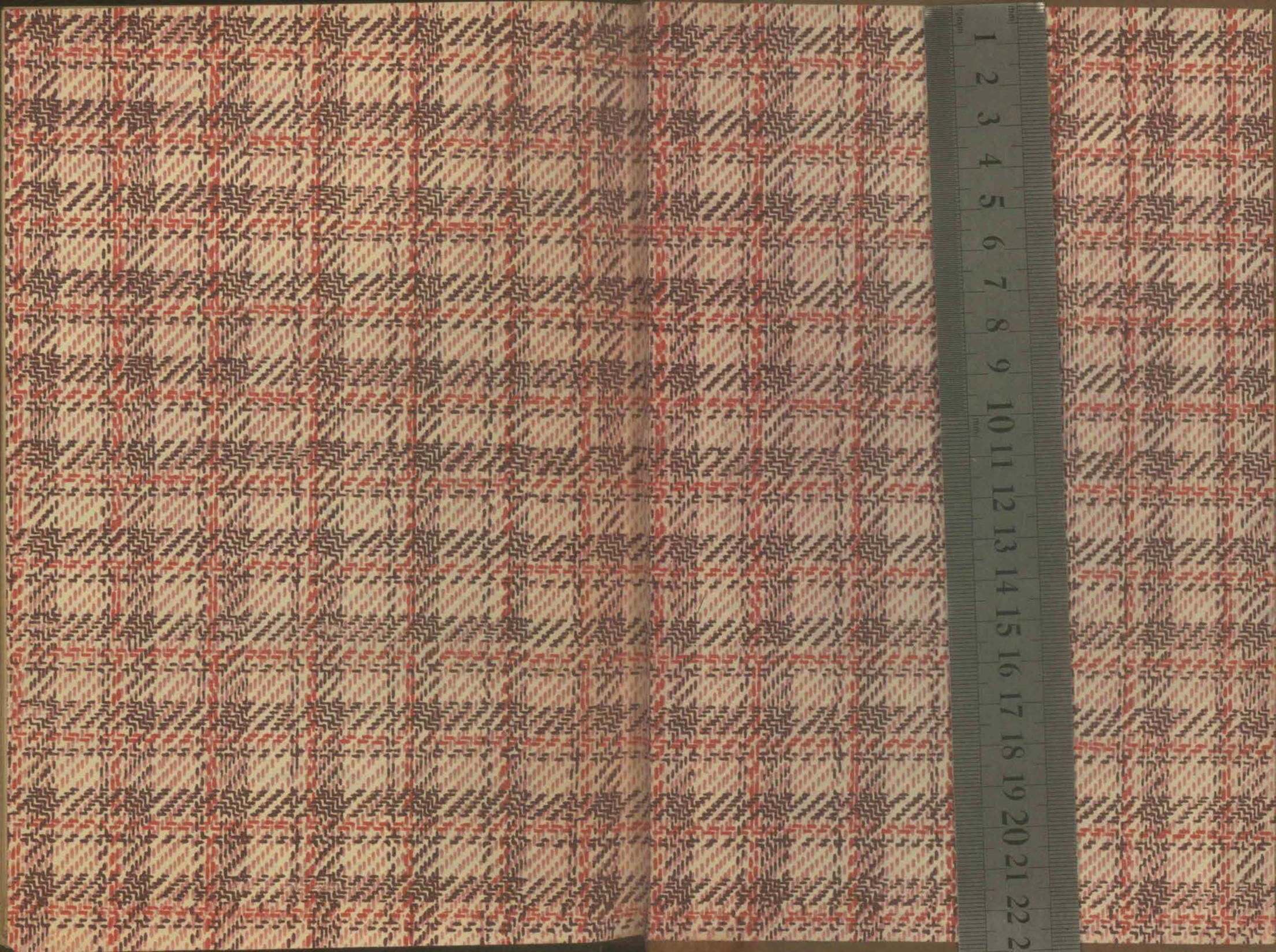

*(فهرست الجزء الاول من كتاب مطالع البدور فى منازل السرور
تأليف الشيخ الاديب والفاضل الاريب علاء الدين على
ابن عبد الله البهائى الغزولى)*

صحيفة

٨ الباب الاول فى تخير المكان المتخذ للبنيان
١٠ الباب الثانى فى احكام وضعه وسعة بنائه و بقاء الشرف والذكر ببقائه
١٣ الباب الثالث فى اختيار الجار والصبر على اذاه وحسن الجوار
١٧ الباب الرابع فى الباب
٢٣ الباب الخامس فى ذم الحجاب
٢٩ الباب السادس فى الخدم والدهليز
٣٥ الباب السابع فى البركة والفوارة والدواليب وما فيهن من كلام وجيز
٤٥ الباب الثامن فى الباذهنج وترتيبه
٤٩ الباب التاسع فى النسيم ولطافة هبوبه
٥٨ الباب العاشر فى الفرش والمساند والارائك
٦٢ الباب الحادى عشر فى الارايح الطيبة والمروحة وما شاكل ذلك
٦٦ الباب الثانى عشر فى الطيور المسجعة
٧٥ الباب الثالث عشر فى الشطرنج والنرد وما فيهما من محاسن مجموعة
٨١ الباب الرابع عشر فى الشمعة والفانوس والسراج
٩٣ الباب الخامس عشر فى الخضراوات والرياحين
١١٣ الباب السادس عشر فى الروضات والبساتين
١٢٨ الباب السابع عشر فى آنية الراح
١٣٧ الباب الثامن عشر فيما يستجلب بها الافراح وهو خمسة فصول
١٣٨ الفصل الاول قال كسرى النديم صابون الهم
١٤٠ الفصل الثانى فى تدبير استعمالها على رأى الحكماء
١٤٤ الفصل الثالث فى آداب منتشيها وما يجب على مستعمليها

صحيفة

١٥٠ الفصل الرابع فى استهدائها واستدعاء الاخوان
١٥٦ الفصل الخامس فى من وصفها من الشعراء الاعيان
١٧٥ الباب التاسع عشر فى الصاحب والنديم
١٨٧ الباب العشرون فى مسامرة أهل النعيم
٢١٤ الباب الحادى والعشرون فى الشعراء المجيدين وهو مقدمة ونتيجة
٢٢٩ الباب الثانى والعشرون فى الحذاق المطربين
٢٣٢ فصل وينبغى أن يكون المغنى جميل الخلق صافى الخلق الخ
٢٣٣ فصل فيما ورد للفضلاء فى مدحهم
٢٣٦ فصل فيما ورد فى ذم الغناء
٢٤٦ الباب الثالث والعشرون فى الغلمان
٢٥٨ الباب الرابع والعشرون فى الجوارى ذوات الالحان
٢٦١ فصل فيما يتعلق بكتابة المتظرفات منهن على آلاتهن
٢٦٢ فصل فى المولدات من الجوارى وغيرهن
٢٦٧ الباب الخامس والعشرون فى الباه
٢٦٨ فصل ولما كان جمال المرأة وحسن تناسب أعضائها هو الداعى الرجل الى وطئها الخ
٢٧٨ فصل فى بعض ما كتبته المتظرفات

(تم الفهرست)

(الجزء الاول)

من مطالع البدور فى منازل السرور
تأليف الشيخ الاديب والفاضل
الاريب علاء الدين على
ابن عبد الله البهائى
الغزولى عفى
الله عنه
آمين

٢١٢٧١٥

(طبع بمطبعة ادارة الوطن)

(الطبعة الاولى سنة ١٢٩٩)

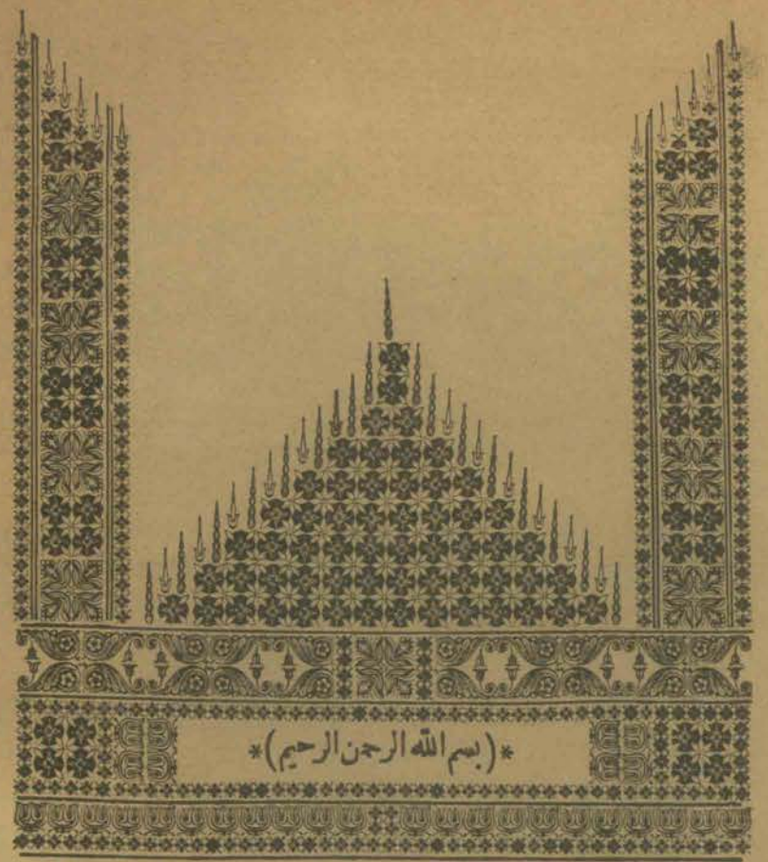

(الحمد لله) الذى جعل قلوب البلغاء افلاكا لمطالع البدور * وأسكنها من فسيح صدورهم فى منازل السرور * وأطلعها من درج الفصاحة الى بديع الطباق وأحلها منازل سعد سنية الاشراق * يظل تحت جناح شرفها كل منشد وقائل * لك يا منازل فى القلوب منازل * (أحمده) حمد من تخير لعمله الصالح دارا أسس بنيانها على تقوى * وجعل بابها مدخلا الى جنة المأوى * فأضحت مباركة العتبة لمن أمها بعد سير حثيث * وروى حديث فضلها المسند فأكرم بدار الحديث * (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة هى عدتنا فى هذه الدار * وعمدتنا فى دار المقام * (وأشهد) أن محمدا عبده ورسوله قائدنا الى دار السلام * الكافى لمن يخافه ويرجوه * الهادى الى طباق السعادة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه * صلى الله عليه وعلى آله ما رفعت أركان * وشيد بنيان

اما

(أما بعد) فهذا كتاب مجموعه اقريق أهل الادب مفيد * وتذكرة فيها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * جاء فى تأليفه الشريف علوى النسب وتاريخا أديبا الوسمعه الذهبى لكتبه بماء الذهب * ما وصل الى حلاوة تأليفه ابن خلكان * ولا يتظر مع وجوده بوجه فى مرآة الزمان * فيا له من مجموع أقسم بثانى اثنين انه تفرد * وهامت به كتب الادب وأمست عارية من الجلد وما عسى ان تتجلد * لقد أصبح من حسان المعانى بحور مقصورات فى خيام الطروس ممدودا وأوتى من كنوز الادب وأنبائه ما لا ممدودا * وبنين شهودا * صرفت الذهن الى ترصيفه واستعنت بالناقد البصير عند الصرف * وبالصانع القدير عند الرصف * وأعربت بناه عن وصف دار ملك فجاء فى حسنه زائد الوصف * فأقسم من وصف هذه الدار بالبيت المعمور انها نزهة الناظر والسامع * واتلو على بيت حاسدها ان عذاب ربك لواقع * ما مر الادباء على أبوابها الا سلموا سلام الخاشعين عسى ان يقال لهم ادخلوها بسلام آمنين

وانى وان لم أستطع خلوة بكم * أمر على أبوابكم فأسلم

فتح على من وصفها بخمسين بابا فسبحان الفتاح * ولكن جعلت سوادا قصها وبياض مارسها نزهتى فى الليل والصباح * وجاورتها بأوصاف علت بحسن طباقها البديعة على بيوت الاشعار * فاستحقيت التمتع بها دون الغير لان جار الدار أحق بدار الجار * وتالله لقد أجم الفضلاء عن وصف هذه الدار المباركة أعتابها فكيف اذا جاؤها وفتحت أبوابها * وأمست قلوب معانيها المختلفة بأنواع البدائع تتألف * وهى تتلو على بيت حاسدها لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف * كم طرق بابها بوصف فأتيت بالدقة الادبية من الافتتاح * وأبديت ما لو ناظره ابن سكرة لعسر ذلك عليه ولو أتى بالمفتاح وان دخلت الى وصف الدهليز من بابه فما تركت لاحد فيه مدخل * أو الى البادهنج نقلت حديث الهوى صحيحا وان كان معلل * أو الى وصف الخدام استعبدت حر الكلام * وأظهرت قوة العزائم فى الاستخدام * وان تروبت فى البركة رفعت لها من الوصف راية فوق قنانها * أو فى النوفرة الغضة حققتها من زهر البديع بخضراتها * كم سهرت فى الفرش لوصف المساند وهم على الارائك ينظرون * ودرت الى وصف الدواليب وهالات بدورها ونجوم نثرتها

وكل فى فلك يسبحون * وكم سجعت فى وصف الطيور المسموعة بما يغنى عن سجع المطوق وألحان السواجع * وهذبت النفس فى وصف الشطرنج فعقدلى الدست من حسن فرزتى من غير مانع * وروحت الخاطر لوصف المروحة فهب لى نسيم القبول من غير تعب * واقتبست من شعل الدهر وصف الشمعة والفانوس ولم أقل للهيب الفكر تبت يدا أبى لهب * وأطلقت عنان الزهن القادح فى وصف السراج * فكنت فارس القبيلة * وأتيت بما يفحم السراج * ولوطول لسانه لقيل له لاتكن طويل الفتيله * وحدقت فى البساتين ووصف غصونها وزرد خمائلها * فهمت الى بان الحمى وزرود * وتغزلت فى رياحينها وورودها بما أخجل زهر الآداب وشوق الى العوارض والخدود * وتمسكت بالغوالى من المعانى المعشوقة فى وصف الطيب فاطربت حتى قال أهل العود طيب وملت الى صرف الذهن فى وصف الراح فخازجته من الشعر الذى يقطر ماء الحسن منه بصيب * ووصفت الاوانى * حتى قالت الكاسات جانا دور وقهقهت فرحة ثغور القناني * وحليت سادجها بذهب الوصف حتى قالت أنا ذهبية عصرى وأوانى * وبرعت العدو فى وصف النديم * والصديق الحميم * وألفت فى وصف الشعراء قصصا تركت الحسود لما عبس وتولى عنها فى ألف لام ميم * وأتيت فى وصف الفضلاء بنظام ونثر يحير الفاضل * وأرقصت طربا فى وصف المطربين وما خرجت عما هو فى السمع داخل * واسترقيت فى وصف الجوارى والغلمان كل حر من المعانى دقيق * وجئت بما لو سمعه ابن نباتة لصار له عبدا يسوق الرقيق * ووصفت الماء بما يحرك الشهوات * وأتيت بما هو أوضح من الصبح ولكن لم يكن قاطع اللذات * ودخلت الى الحمام بقلب وانشراح صدر فأبديت ما لو شاهده الحمامى لقال ما أنا قبالة هذا التشبيه * ومن هنا عرفت حر الاشياء وباردها وأخذت المأمن مجاريه * وأضرمت الفكر فى وصف النار فأتيت من الأدب بحشمة قطعت عندها الالسن الجريئة * وألجمت كل ذهن وقاد وأخمدت الافكار اللهبية * وقعدلى الدست فى الطباخ فأتيت فى وصف القدور بما طاب وعلى سوقه استوى * وقلت للأفكار الاهبى بحضنك فأتت بما ترك قلوب الاعداء خوافقا على غير الاستوا * وتصيدت من وصف الاسماك ما غصت خلفه من الشعرا الى أقصى البحور * وأتيت بما حير

الثورانى والجزار فى وصف الجزور * ولم أدخل الى السفرة بجبن بل مددتها بما يليق بمثلى * وتركت البقول تقول لمن لا عنده رشاد وهو غير حاذق ما أنت من خل بقلى * ومددت الخوان بمائدة من المعانى صيرت الشعراء عند وصفها فرقان وتنوعت فى الاطعمة الشهية بألوان وتفقهت فى الوصف لما دخلت الى باب المياه وقلت وقد جرى جواد الفكر فى وصف الماء سبحان من أجراه * وأتيت فى وصف الحلوى بما لو ذاقه ابن الحلاوى لشبك عليه وعقد الخناصر * وفى وصف المشروب بما أصبح كل ظام من أهل الذوق الى مورده العذب صادر * وتركت الضد فى بيت الخلا حائرا يبحث فى باب الطهاره * وكم طلب ان يستعير له وصفا فلم يطق وشابت ذقنه فى باب الاستعاره * وعالجت وصف الاطباء وأعطيت الذهن دستورا فاتى بما هو من القانون أطرب * وان جحد ذلك حمار ضعيف الذهن فمفردات ابن البيطار له أوجب * وأتيت فى وصف الوزراء بما لو ناظره الغير لقالوا عنه كلا لا وزر وباشرت وصف الحساب فأتيت بما لو شاهده ابن الصاحب رجع عن ديوانه وعلم انى صاحب النظر واصطبحت بخمرة الانشاء فى رياض الوصف فأتيت بما أشار اليه بأصبعه زهر المنثور * وطرقت بابه ففتح لى ودخلت من غير دستور * وأتحفت الاسماع من الهدايا بكل هدية صالحة لطيفة * وجلبت من معادن الأدب فى وصف الجواهر ما لو سمعه صاحب العقد نسى نظامه وتأليفه * وسننت الفكر فى وصف السلاح فجزت الحد وكنت فارس الكلام * وتغزلت فى حواجب القسى واصداغ السيوف وقامات الخطى واهداب السهام * ووصفت الكتب وأبوابها بكل قرينة صالحة وأسكنتها فى أجل بيت * وأتيت فى وصفها بما لو ناظره الغير لغلقت الابواب وقالت هيت * وركضت بشدة الحزم الى وصف الخيل فلم الحق فى ذلك المضمار * وأتيت فى وصف الدواب بما لم يقع عليه حافر ولا يلحق له غبار * وقنصت فى وصف المصائد ظباء البديع فانفرت * وحشرت وصف الوحوش فى حضائرها وناهيك اذا الوحوش حشرت * وصدحت فى وصف الحمائم بما هيج البلابل حين علا أوراقه * واصبح طائر قلب الضد واقعا دونه ولو طار نحوه باطاقه * وأطلت فى وصف القصور فأتيت بكل بيت لم يكن له فى علو طباقه مطابق * وأتيت فى وصف الحصون المنيعة بما عوذته بالسماء ذات البروج من الطارق * وشوقت الى الاوطان

فأتيت فى وصف علائم المنازل بأبيات * اذا رآها الشيق الى أوطانه قال هى المنازل
لى فيها علامات * ودخلت الى الجنة ففزت بأوصاف تركت الاعداء فى نار الحسد
يتقلبون * وتلى عليهم لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم
الفائزون * واستوعبت هذه الاوصاف التى بعد مرامها وأمست عينا يشرب بها
المقربون وهنا يحسن الالتفات فنقول والله المستعان على ما تصفون * وهذا أوان
ايراد الابواب المذكوره * وشرح المحاسن المأثوره * وبالله التوفيق والاعانة * فى
لطف الانابة وحسن الابانة * لا رب غيره ولا خير الا خيره وهو حسبنا ونعم الوكيل
(الباب الاول) فى تخير المكان المتخذ للبنيان (الثانى) فى أحكام وضعه وسعة
بنائه و بقاء الشرف والذكر ببقائه (الثالث) فى اختيار الجار والصبر على
أذاه وحسن الجوار (الرابع) فى الباب (الخامس) فى ذم الحجاب (السادس)
فى الخدم والدهليز (السابع) فى البركة والفوارة والدواليب وما فيهن من كلام
وجيز (الثامن) فى البادهنج وترتيبه (التاسع) فى النسيم واطافة هبوبه
(العاشر) فى الفرش والمساند والأرائك (الحادى عشر) فى الاراييج
اللذيذة والمروحة وماشا كل ذلك (الثانى عشر) فى الطيور المسموعة (الثالث
عشر) فى الشطرنج والنرد وما فيهما من محاسن مجموعه (الرابع عشر) فى الشمعة
والفانوس (الخامس عشر) فى الخضرات والرياحين (السادس عشر) فى
الروضات والبساتين (السابع عشر) فى آنية الراح (الثامن عشر) فيما يستجلب
بها من الافراح (التاسع عشر) فى الصاحب والنديم (العشرون) فى مسامرة
أهل النعيم (الحادى والعشرون) فى الشعراء المجيدين (الثانى والعشرون) فى
الحذاق المطربين (الثالث والعشرون) فى الغلمان الحسان (الرابع والعشرون)
فى الجوارى ذوات الالحان (الخامس والعشرون) فى الباه (السادس والعشرون)
فى الحمام وما غزا مغزاه (السابع والعشرون) فى النار والطباخ والقدور
(الثامن والعشرون) فى الاسماك واللحوم والجزور (التاسع والعشرون)
فى السفرة والبقول (الثلاثون) فى الخوان والمائدة وما فيها من كلام مقبول
(الحادى والثلاثون) فى الوكيرة والاطعمة المشتهاة (الثانى والثلاثون) فى الماء
وما جرا مجراه (الثالث والثلاثون) فى الحلوى والمشروب (الرابع والثلاثون) فى
بيت الخلا المطلوب (الخامس والثلاثون) فى نبلاء الاطباء (السادس والثلاثون)

فى

فى الحساب والوزراء (السابع والثلاثون) فى كتاب الانشاء وهو فصلان
(الثامن والثلاثون) فى الهدايا والتحف النفيسة الاثمان (التاسع والثلاثون)
فى خواص الاحجار وكانها فى المعادن (الاربعون) فى خزائن السلاح والكمائن
(الحادى والاربعون) فى الكتب وجمعها (الثانى والاربعون) فى الخيل
والدواب ونفعها (الثالث والاربعون) فى مصائد الملوك الجليلة المقدار
(الرابع والاربعون) فى حضائر الوحوش المتخذة لنزهة الابصار (الخامس
والاربعون) فى الاسد والزرافة والفيل (السادس والاربعون) فى الحمام
وما فيه من قيل (السابع والاربعون) فى الحصون والقصور والآثار
(الثامن والاربعون) فى الحنين الى الاوطان وما فيه من رائق الاشعار
(التاسع والاربعون) فى دار سكنت بها كثيرة الحشرات (الخمسون) فى جنات
النعيم وما فيها من غرفات و بتمامه تمت الابواب

(والمقصود) من الواقف على كتابنا هذا الاقصار عن تتبع خطائنا والصفح
عما يقف عليه عن اغفالنا والتجاوز عما ينتهى اليه من اهمالنا وان أداه
التصفح الى صواب نشره والى خطاء ستره فقد كان يقال من ألف كتابا فقد
استشرف فان أصاب فقد استهدف وان أخطأ فقد استقذف وكان يقال
لا يزال الرجل فى فسحة من عقله ما لم يقل شعرا أو يضع كتابا وكان يقال اختيار
الرجل وافد عقله ويقال دل على عاقل اختياره وقيل لبعض العلماء اختيار
الرجل قطعة من عقله قال بل مبلغ عقله وقال الخليل بن أحمد لا يحسن الاختيار
الا من يعلم ما يحتاج اليه من الكلام وقال الشعبى العلم كثير والعمر قليل
فخذوا من العلم أرواحه يعنى عيونه ودعوا طروفه وقال ابن عباس رضى
الله عنه العلم أكثر من ان يحصر فخذوا من كل شئ أحسنه ونحن نستعين الله
على كل حاسد ولله در القائل

لمن أبوح بشعرى حين أنظمه * أم من أخص بمن فيه من الزبد
اما جهول فلا يدرى مواقعه * أو فاضل فهو لا يخلو من الحسد

على ان الانصاف من شيم الاشراف وهذا أوان الشروع فى ايراد ما قصدناه
والامر الذى نحوناه وبالله المستعان

(الباب الاول فى تخير المكان المتخذ للبنيان)

قال ارسطا ليس أول الصناعات الضرورية الصيد ثم البناء ثم الفلاحة وذلك لوان رجلا سقط فى فلاة لا أنيس بها ولا زرع لم يكن همه الا حفظ قوام نفسه بالغذاء فليس يفكر الا فيما يصيده فاذا صاد واغتذا فليس يفكر بعد ذلك الا فيما يسكن فيه وهو البناء فاذا تم له ذلك فكر حينئذ فيما يزرعه ويغرسه وقال ابراهيم بن اسحق المصعبي يحياء الملوك العمارة ولا يحسن بهم التجارة وقال ابن كلدة جميع خصال الدار المستحسنة ان تكون على طريق نافذ وماؤها يخرج منها وليس عليها مشترف وحدودها لها وتكون بين الماء والسوق ويصلح فناؤها لحط الرحال وبل الطين ووقوف الدواب وان كان لها بابان فذاك أمثل وينبغى ان يكون أيضا فى طرف البلد لان الاطراف منازل الاشراف وقال البحترى توفى سنة أربع وثمانين ومائتين

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـ ـراف تلقى منازل الاشراف
وقعودى عن التلفت والار * ض لمثلى رحيبة الاكناف
ليس عن ثروة بلغت مداها * غير انى امرء كفانى كفافى

(قيل) وانما كانت الاطراف منازل الاشراف لانهم يتناولون ما يريدونه بالقدرة ويصل اليهم من يريدهم بالحاجة اليهم وقيل لرجل فى اى موضع من القرآن الاطراف منازل الاشراف فقال قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فهنا أشرفهم وكان ينزل أقصى المدينة وقيل ليس فى الارض بخيل ولا جواد اذا ابتاع دارا الا بنى فيها شيأ وهدم شيأ وان قل لان حاجته ومنافعه ومرافق المسالك الاول لا يستويان قال الجاحظ رأيت بخلاء فى نهاية البخل يسرفون فى الانفاق على البنيان وقال الحكماء لذة الطعام والشراب ساعة ولذة النوم يوم ولذة المرأة شهر ولذة البنيان دهر كلما نظرت اليه تجددت لذته فى قلبك وحسنه فى عينك وقال ناصر بنى أمية فى مبانيه العظيمة بمدينة الزهراء بالاندلس

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشأن

ولما

ولما دخل الرشيد الى منبج قال لعبد الملك بن صالح الهاشمى وكان لسان بنى العباس هذا البلد مقرلك فقال يا امير المؤمنين هو لك ولى بك قال كيف متازلك به قال دون منازل أهلى وفوق منازل غيرهم قال كيف صفة مدينتك قال عذبة الماء طيبة الهواء قليلة الادواء قال كيف ليلها قال مسحر كله وهى تربة حمراء وسبخة صفراء وشجرة خضراء وفياف فيح بين قيصوم وشيح فقال الرشيد والله هذا الكلام أحسن منها ولما بنى عيسى بن جعفر قصره بالرصافة دخل اليه عبد الصمد فقال بنيت أجل بناء بأطيب فناء وأوسع فضاء على أحسن بهاء بين صحار وحيتان وضباء فقال كلامك أحسن من بنائها وكان ابن جعفر بن سليمان الهاشمى يقول العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد وقال بعض أهل التجربة اذا ابتنى أحدكم دارا فليترك فى واجهتها ثلمة تقيها شر عين الكمال (قلت) ولا بأس بايراد نبذة مما يتعلق بكرى الدار فمن ذلك ما حكى ان رجلا دخل حجرة يكتريها فقال أين المطبخ فقيل له فى الجيران من يطبخ لك ويكفيك المؤنة قال فأين المخبز فقيل اذا اختمر العجين خبز والك أيضا قال فبيت الخلاء فقيل بالقرب خربة تقضى فيها الحاجة قال فالسطح فقيل على الباب ساحة يطيب فيها النوم فى الصيف قال فأنا فى دار وما أعلم بروحى فأستمر على ما أنا فيه وأربح الاجرة وقال الحكيم بن سعد قال لى ملك بسمرقند يب صف لى معايش أهل البصرة فقلت قوم منهم لهم فضول منازل يكرونها وقوم لهم ارقاء يستعملونها وقوم لهم رؤوس أموال يغدون الى أسواقهم فيأكلون فضولها وقوم لهم نخيل يأكلون ثمارها فقال من كان معاشه من كرى فلئام الناس ومن استعمل الارقاء فكلاب الناس والذين يغدون الى أسواقهم فذئاب الناس ولكن أصحاب النخل وقال بعضهم

قد رضينا من الزمان بقوت * وثبوت ومسكن لازياده
ورضينا من الاله بما يقـ * ضى ومن غيره تركنا الاراده
غير انا نروم خاتمة الخيـ ـر فان يسرت فتلك السعاده

(لطيفة) ذكرها الحريرى فى كتابه الموسوم بتوشيح البيان ان أحمد بن المعدل كان يحد بأخيه عبد الصمد وجدا شديدا على تباين طريقتهما لان أحمد كان

صواما قواما وكان عبد الصمد سكيرا خميرا وكانا يسكنان دارا واحدة ينزل أحمد فى غرفة أعلاها وعبد الصمد أسفلها فدعا عبد الصمد ذات ليلة جماعة من ندمائه وأخذ فى القصف واللذات والعزف حتى منعوا أحمد الورد ونغصوا عليه التهجد فاطلع عليهم وقال أفأمن الذين مكروا السيآت ان يخسف الله بهم الارض فرفع عبد الصمد رأسه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (قلت) وعلى ذكر الغرفة فما ألطف ماذكره علاء الدين الوداعى فى تذكرته قال رأيت مكتوبا على غرفة بصعد منها الى سطح قبة الصخرة المقدسة قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما فعجبت من اتفاقها وكأنى لم أسمعها ورأيت أيضا فى طاقة زجاج بقبر طالوت عليه السلام بسفح قاسيون قوله تعالى الله نور السموات والارض وهذا من عجيب ما يكتب على طاقة زجاج (نادرة) كان بعضهم فى دار بكرى فقال لصاحبها اعمر لى السقف فانه يقرقع اذا مشينا عليه فقال لا بأس عليك فانه يسبح الله فقال أخشى ان تدركه الرقة فيسجد وطلب بعضهم دار الكرى فدلوه على دار فدخل غيرها فوجد واحدا بنيك أمرد فاستحى وقال هل عندكم دار للكرى فقال له ما أحمقك نحن من الضيق بعضنا على بعض (كان) بعض النحويين له مال كثير وليس له سكن يأوى اليه فقيل له ابن بيتا فقال والله لا بنيت ما اتفق النحويون على اعرابه وبما قاله (المرحوم القاضى) فتح الدين بن الشهيد الذى كان مولده بالرملة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وقد توفى مقتولا بالقاهرة سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وكتبه على عمارة له

بنيت على وقف المكارم والعلى * فلتفتح أبوابى وصدرى للضم
سنا الملك يبدو فى موشح زينتى * ومن أجل ذا دارا الطراز على كمى

ومما كتبه على الزفرف قوله

رفعت كماشا الترفه رفرفا * أزين سمائى بل أزين سماحى
فلا بدع ان الناس يهوون بهجتى * ويمشون فى ظلى وتحت جناحى

(الباب الثانى فى أحكام وضعه وسعة بنائه وبقاء الشرف والذكر ببقائه)

وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما بلغه ان سعدا وأصحابه بنوا بالمدر كتب أكره لكم البنيان بالمدر فاما اذا فعلتم فعرضوا الحيطان وأطيلوا السمك وقاربوا بين الخشب ولما بنى معاوية داره بدمشق باللبن دخلها وفد الروم فقالوا ما أحسن ما بناها للعصافير فهدمها وبناها بالحجر ورأى بعضهم رجلا قد بنى حائطا بالحجر وهو يبيضه فقال هذا يستر الذهب بالفضة (وحكى) ان يحيى بن خالد كان جالسا للقصص فرفعت اليه قصة متظلم من بعض عماله فقرأه وسأله عن ظلامته فقال له ان عاملك فلانا ظلمنى وأخذ مالى واغتصب ضيعتى وهدم شرفى فقال له فهمت جميع ما ذكرته الا قولك هدم شرفى فما معناه فقال له أنا من ابناء فارس كانت لى ضيعة وبالقرب منها قصر على الطريق فيه سقاية ينزلها الناس ويسقون منها ويذكرون بانيها ويترحمون عليه فغصبنى الضيعة وهدم القصر فأمر يحيى بالكتب الى العامل ان ترد عليه ضيعته وجميع ما أخذته منه وتبنى القصر حتى ترده على هيئته كما كان وقال لبنيه ابنوا فان الذكر والشرف باقيان ببقاء البنيان وقيل لابى الدهمان أين دارك فقال اذا دخلت سكة بنى العنبر فالدار التى تدل على شرف أهلها دارى وعلى ذكر السؤال فما أحسن ما ذكره ابن رشيق فى الانموذج ان عبد الرحمن بن محمد الفراسى جلس مع بعض شيوخ يونس وكان الشيخ نهاية فى الجون فاجتاز بهم رجل يسأل عن دار ابن عبدون فأقبل الشيخ عليه فقال هى فى تلك الرابعة حيث يقوم ابرك فقال الفراسى لا تظن منه خيرا رأيت مثل هذا المعنى وأنشد من وقته

ان شئت ان تعرف عن صحة * دارى التى تعزى لعبدونه
فامش فان أبرك أبصرته * قام فان الباب من دونه

وقد عكس الشيخ صلاح الدين الصفدى (ومولده سنة أربع وتسعين وستمائة ووفاته سنة أربع وستين وسبعمائة) هذا المعنى فقال

أقول لمن يسائل عن محلى * تقدم وامش من خلف السوارى
ومر فحيثما تلقى حمارا * بسرعة لا تعد فثم دارى

(رجع) خرج الخطيب الحافظ أبو بكر فى تاريخه قال لما بنى المهدى قصره بالرصافة دخل يطوف فيه ومعه أبو البحترى وهب بن وهب فقال له

هل تروى فى هذا شيأ قال نعم حدثنى جعفر بن محمد عن ابنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير محونكم ماسافرت فيه أبصاركم وقال المأمون يوما لجلسائه أتدرون من أهنى الناس عيشا فقالوا أمير المؤمنين فقال لا قالوا فأمير المؤمنين أعلم فقال أهنى الناس عيشا رجل له دار قوراء وامرأة حسناء وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه قال سلمة الاحمر دخلت على الرشيد فى قصره الذى بناه فقلت

أما بيوتك فى الدنيا فواسعة * فليت قبرك بعد الموت يتسع

فجعل يبكى وقيل ان خالد بن الوليد رضى الله عنه شكى الى النبى صلى الله عليه وسلم ضيق مسكنه فقال ارفع البناء وسل الله السعة وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر وقد هم ببناء دار استوسع فان الهمة فى السعة سئل بعضهم ما الغنى فقال سعة البيوت ودوام القوت وقال بعضهم طيب المساكن بثلاثة سعة الصحن وتخوير الماء وشئ من الخضرة (يحيى بن خالد) الدنيا ثمانية الطعام الطيب والماء البارد والثوب اللين والفراش الوطى والدار الواسعة والمرأة الموافقة والخادم الفاره والقدرة على الاخوان بالاحسان وكان يقال جنة الرجل داره وذكر الاحنف الدور فقال ليكن أول ما يشترى وآخر ما يباع وقال يحيى ابن خالد لابنه جعفر دارك قميصك فوسعه كيف شئت وقيل لبعضهم ما السرور فقال دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالفناء وينشد

ومن المروة للفتى * ماعاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره

(وكان يقال) دار الرجل عيشه قال السلامى فى كتابه تتف الطرف الدور للناس كالأعشة للطير والاوجرة للوحش والحجرة للحشرات فدار الرجل جمال نفسه وموضع أمنه ومسكن قلبه ومجمع أهله ومحرز ملكه ومأنس ضيفه وملتقى صديقه وعدوه ولاشئ أصعب على الناس من الخروج من ديارهم وقد قرن الله سبحانه وتعالى الخروج منها بالقتل حيث قال ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم وقال بعض الاشراف لابنه يا بنى احسن أثرك فى هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع قول الشاعر

ليس

ليس الفتى بالذى لا يستضاف به * ولا يكون له فى الارض آثار
ولا تنس قول الآخر

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

ومن أحسن ما قيل فى بناء الملوك قول على بن الجهم المتوفى سنة تسع وأربعين ومائتين

ومازلت أسمع ان الملو * ك تبنى على قدر اخطارها
فلما رأيت بناء الاما * م رأيت الخلافة فى دارها

حكى ان أبا العيناء دخل على المتوكل فى قصره فقال له كيف ترى دارنا هذه فقال الناس بنوا دورهم فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك أخذه اليزيدى فقال

لما بنا الناس فى دنياك دورهم * بنيت فى دارك الغراء دنياها
فلو رضيت مكان البسط أعيننا * لم يبق عين لنا الا افرشناها

(الباب الثالث فى اختيار الجار والصبر على أذاه وحسن الجوار)

وقيل الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق وقيل لبعضهم أين معك فى القرآن الجار قبل الدار فقال قوله تعالى رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة سوء الجار نعوذ بالله من ثلاث هن القواقر امام السوء ان أحسنت لم يشكر وان أسأت لم يغفر ومن جار السوء ان رأى حسنا ستره وان رأى قبيحا أذاعه ومن سوء امرأة ان غبت عنها خانتك وان دخلت عليها لسنتك (حكى) أبو السعادات بن الشجرى (مولده سنة خمسين وأربعمائة وفاته سنة اثنين وأربعين وخمسمائة) فى شرح الحماسة ان العباس بن الفرج الرياشى قال وفد زياد الاعجم على حبيب بن المهلب وهو بخراسان فبينما هما يشربان ذات عشية اذ سمع زياد صوت حمامة تغنى على شجرة فى دار حبيب فقال

تغنى أنت فى ذمى وعهدى * بأن لا يذعروك ولا تضارى
اذا غنيتنى وشربت كأسا * ذكرت أحبتى وذكرت دارى
فما يقتلوك طلبت ثارا * لانك فى حمای وفى جوارى

فاخذ حبيب سهما فرماها فأنفذها فقال زياد قتلت جاري بيني و بينك المهلب فاختصما اليه فقال المهلب أبو امامة لا يروع جاره وقد ألزمتك العقل ألف دينار فدفعها اليه من يومه ولما بنى كسرى ايوانه كانت بجواره دويرة لعجوز لا يكمل تربيع الايوان الا بها فدفع لها جملة من المال فقالت لا أبيع جوار الملك بملئها ذهبا ولا أخرج عن جواره طائعة فان غصبني اياها فهو قادر على ذلك فأعلم كسرى بذلك فقال تترك و بيني الايوان فقيل لا يجيء مستحكم التربيع فقال يبنى على ما اتفق وكان فيه عوج فكان بعد ذلك يقال له ما أحسن بناء هذا الايوان لولا هذا العوج فيقول بهذا العوج تم حسنه (قلت) وعلى ذكر الايوان فما أحسن ما أنشدني من لفظه لنفسه أجازه الشيخ عز الدين على ابن الشيخ بهاء الدين الحسين الموصلي رحمه الله تعالى أجيبه كتب بها الى القاضي صلاح الدين الصفدي تغمده الله بالرحمة

يا من له الطول في المعالي * وبالمعاني لنا يبصر
اني كما قلت في سؤالي * ما مثل قولي نعم مقصر

(رجع) وكان لابن المعقع بجنب داره دار وكان يستامها من صاحبها وهو يمتنع من بيعها فاتفق انه ركبه دين فاحتاج الى بيعها فعرضت عليه فسأل عن سبب بيعه اياها بعد غبطة بها فأخبره بقصته فقال ما قلت اذا بحرمة الجار ان اشتريتها وقد باعها معدما فحمل اليه ثمن الدار وقال بق دارك عليك بارك الله لك فيها ورد هذا في دينك وقال الاصمعي رأى بعضهم عدي بن حاتم الطائي يفت للنمل خبزا بفناء داره فقال له يا أبا طريف ما تصنع فقال جارات ولهن حرمة قلت وعلى ذكر حاتم الطائي ذكرت ما أنشدنيه سيدي الجناب المجدي فضل الله بن المرحوم الصاحب الفاضل فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس سلمه الله تعالى قال أنشدني والدي من لفظه قال أنشدني صاحبنا الشيخ شمس الدين الواسطي (توفي المذكور قريبا من سنة ثمانين وسبعمائة) لنفسه موالبا

مامت حتى جفاني كل من في الحي * ومللني وقلاني كل من لو شئ
وأنت ما في العجم والعرب مثلك حي * يا من طوى بالمكارم ذكر حاتم طي

(قلت) وأنشدني من لفظه لنفسه الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس من قصيدة (وتوفي تغمده الله بالرحمة سنة أربع وتسعين وسبعمائة) وذلك

بمنزلة

بمنزله بقنطرة قدادار بتاريخ عاشر صفر من شهور عام ثلاث وتسعين وسبعمائة

وكم طربت لما أبدته من ملح * يصبو له كل ذي عقل وآراه
وجدت بالتبر من مالي ومن أدبي * فكنت في كل حال منهما الطائي

(رجع) الى ما كنا بصدده وقال محمد بن عبد الرحمن الزهري كانت بيني و بين أبي العباس ثعلب مودة أكيدة وكنت أستشيره في أموري فجئت يوما أشاوره في الانتقال من دار الى أخرى لتأذى بها بالجوار فقال يا أبا محمد العرب تقول صبرك على أذى من تعرفه خير لك من استحداث ما لا تعرفه (من غريب الاتفاق) ان بشار بن برد كان قد حلف انه لا يجاور حماد عجرد ولا يظله واياه سقف بيت ولا مسجد وانه يهجوه بألف قصيدة فاتفق ان مات حماد في قرية من سواد البصرة وعرضت لبشار هناك حاجة فمات فيها ودفن الى جانب حماد عجرد (وقريب) من هذه الحكاية ما حكي ان روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب كان واليا على السند وأخوه يزيد واليا على أفريقية فتوفي بها في سنة سبعين ومائة بالقيروان فقال أهل المدينة أعني أفريقية ما أبعد ما يكون بين قبري هذين الاخوين فان أخاه بالسند وهذا هنا فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وسيره الى موضع أخيه يزيد فدخل الى أفريقية فلم يزل واليا بها الى ان مات ودفن مع أخيه في قبر واحد فعجب الناس من غريب هذا الاتفاق (عود) وكان لابي حنيفة جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جن الليل رجع الى منزله بلحم أو سمك فيطبخ اللحم أو يشوي السمك فاذا دب فيه السكر أنشد

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد البيت الى ان يغلبه السكر وينام وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله و يسمع جليته وانشاده ففقد صوته ليال فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس فصلى صلاة الفجر وركب بغلته ومشى واستأذن على الامير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط ففعل ذلك به فوسع له الامير في مجلسه وقال له ما حاجتك فقال لي جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاث ليال فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ تلك الليلة الى يومنا هذا تأمر بتخليته وتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وتبعه جاره الاسكاف فلما وصل الى داره قال له أبو حنيفة أترانا أضعناك قال لا بل حفظت

ورعيت جوارك الله خيرا عن محبة الجوار ورعاية الحق ولله على ان لا أشرب خمرا أبدا فتاب ولم يعد الى ما كان عليه (قلت) وقد ضمن هذا البيت الشيخ برهان الدين القيراطى تضمينا حسنا (ومولده سنة ست وعشرين وسبعمائة ووفاته سنة احدى وثمانين وسبعمائة)

فقال دعانى منيتى لكريه راح * ورشف الثغر منه عقيب سكر
فقلت له دعوت فتى يرجى * ليوم كريهة وسداد ثغر

(ونقلت) من المستجاد فى فعلات الاجواد عرض محمد بن الجهم دار ابخمسين ألف درهم فلما حضر والبشتروا قال بكم تشترو امنى جوار سعيد بن العاص وكان بجواره فقالوا وان الجوار ليباع فقال وكيف لا يباع ويفرد بثمن وهو جوار من اذا سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان أسأت أحسن فبلغ ذلك سعيدا فوجه اليه بمائة ألف درهم وقال امسك عليك دارك وعلى ذكر الجار فما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة (ومولده سنة ست وثمانين وستمائة ووفاته سنة ثمان وستين وسبعمائة)

بروحى جيرة أبقوا دموعى * وقد رحلوا بقلبى واصطبارى
كأنا للحجا ورة اقتسمنا * فقلبى جارهم والدمع جارى

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب (ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة ووفاته سنة ثمان وثمانين وسبعمائة) وقد انتقل النيل السعيد عن بر مصر الى البر الغربى شط الجيزة

يا أيها السلطان ان النيل عن * مصر تنقل بعد طول جوار
فاحفظ لنا جريانه وجواره * فالله قد أوصى بحفظ الجار

وأنشدنى سيدى وأخى الجناب المجدى فضل الله بن مكانس أبقاه الله تعالى من موشحة لنفسه

أجريت ما بين دموعى الغزار * مثل البحار * ولم يدع لى طول دهرى قرار
هجر حبيبى وهو منى قريب * مع الرقيب * قد صيرانى بين قومى غريب
دأبى النحيب * فآه من جورك ياذا الحبيب * على الكئيب
وما احتيالى فى قريب الديار * ونائى المزار * هو على الحالين يا قلب جار

(رجع) الى ما كان فيه كان ابو سفين اذا نزل به جار قال له ياهذا انك قد اخترتنى

جارا

جارا واخترت دارى دار الجناية يدك على دونك وان جنيت عليك يد فاحتكم حكم الصبى على أهله (وذكر ابن الجوزى) فى كتاب الاذكياء قال رجل يارسول الله ان لى جارا يؤذينى قال انطلق وأخرج متاعك الى الطريق فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس اليه فقالوا ما شأنك قال لى جار يؤذينى فجعلوا يقولون اللهم العنه اللهم اخزه اللهم اخرجه فبلغه ذلك فأتاه فقال ارجع الى بيتك فوالله لا أوذيك بعدها وهذه من الحيل التى أباحها الشرع الحديث رواه الامام أحمد فى مسنده (وورد) ان أبا مسلم الخراسانى صاحب الدعوة عرض عليه فرس سابق فقال لاصحابه لما يصلح هذا الفرس فقالوا اليوم الحرب فقال كلا ولكن ليهرب عليه من جار السوء وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث كن فى الجاهلية الاسلام أولى بها كان الرجل منهم اذا نزل به ضيف سعى له أهل البيت كبيرهم وصغيرهم حتى ينقلب وهو راض وكان الرجل منهم اذا طال ثواء امرأته معه كره طلاقها الثلاثة ذل بعده وكان الرجل اذا جنى جاره جريمة باع فيها ولو ولده حتى ينقذ جاره

(الباب الرابع فى الباب)

الباب يجمع على أبواب وقد قالوا فيه أبوبه للازدواج وقيل أبواب مبوبة كما قيل أصناف مصنفة ولبعضهم فيما يكتب عليه

لذ بذا الباب كلما * خفت ضيق المناهج
فهو باب مجرب * لقضاء الحوائج

وأنشد الاصمعى فى أبيات المعانى قول بعض العرب

وذى رجلين لا يمشى عليها * ولكن فى القيام له صلاح
فتدفعه اذا احتجنا اليه * ونجذبه اذا حان الرواح

(وقال الحاتمى) فى باب بمصراعين (توفى المذكور سنة ثمان وثمانين وثلثمائة)

عجبت لهم ومين من كل لذة * بيتان طول الليل يعتنقان
اذا أمسيا كانا على الناس مرصدا * وعند طلوع الفجر يفترقان

وقال الشيخ شمس الدين بن دانيال (توفى سنة عشر وسبعمائة)

قل للوزير محمد بن محمد * يامن هو المسك الذكى لمن درج
أنت الذى دار السعادة داره * طول الزمان وبابه باب الفرج

وقال الشيخ (جمال الدين) بن نباتة

بشر أمير المعالى باتصال هنا * يحفه السعد من أقصى جوانبه
واكتب على بابه الغربى معتمدا * عز يدوم واقبال لصاحبه

وقال

أيا دار دار اليمن من كل وجهة * عليك ولازال المنا لك يجلب
ولاعدم القصاد بابك انه * لنجح الرجا باب صحيح مجرب

(قلت) قوله صحيح على غير طائل وصاحب الذوق السليم يشهد والمعنى يقدم

(وقال)

يازائرى قاضى القضاة اليهنكم * ماصح التجريب من أبوابه
أقسمت ما الحجر المكرم للغنى * الا الذى تغشون من أعتابه

وقال يامالكا تقصر عن وصفه * بدائع الشاعر والكاتب
فى بابك العلم وفيض الندى * فلا خلا بابك من طالب

وقال (ناصر الدين) ابن النقيب فى المجون (توفى سنة سبع وثمانين وستمائة)

قال لى الخارج صف لى * مثل ما أعرف وصفك
أين باب الخرق قل لى * قلت باب الخرق خلفك

وعلى ذكر باب الخرق فلا بأس بايراد نبذة مما قيل فى باب زويلة فمن ذلك قول ابراهيم المعمار (توفى سنة تسع وأربعين وستمائة)

زويلة بابك هذا سقيه * يشرب ماء الخزر جهرا بفيه
ولم يزل يألف سفك الدما * وكل ما يقطعه الشرع فيه

وله فيه

حاذر زويلة ان مررت ببابها * وطعامها كن آيسا من خيره
فوسط القتلا يقول به انظروا * من لم يمت بالسيف مات بغيره

وقال شهاب الدين بن أبى حجلة (مولده سنة خمس وعشرين وستمائة ووفاته سنة ست وسبعين وستمائة)

برت زويلة اذ أمسى يقول لنا * باب لما قول صدق غير مكذوب

اذا

اذا وعدت حراميا بسفك دما * فى الحال علق من وعدى بعرقوب

وقال الشيخ شمس الدين الضفدع فيما يكتب على الباب (مولده سنة ثلاث وتسعين وستمائة ووفاته سنة ست وخمسين وسبعمائة)

من ذا الذى ينكر فضلى وقد * فزت من الحسن بمعنى غريب
عندى لمن يخذله دهره * نصر من الله وفتح قريب

وقال ابراهيم المعمار

يامن بباب علاه * العيش للناس طابا
أرسلت مدحى غلاما * اليك يخدم بابا

وما أظرف قول من قال وان كان غير ما نحن فيه لاتحسبه لك وحدك ان كنت راقدا تنبه كما فتحت الطاقة غيرك يسد الباب وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فيه (مولده سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنين وتسعين وستمائة)

أى شئ تراه فى الدور والكتب مجازا هذا وذاك محقق
يحفظ المال والحريم ولولاه حفيظا لكان ذلك يسرق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو فى أكثر الاحايين يطرق
وطليق فى نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق
وثلاثا تراه فى الخط لكن * هو اثنان كله ان يفرق
وتراه للحشو ينسب حينا * وهو مع ذاك لايرى يتزندق
وهو فى القلب يستوى وتراه * بان تحيفه لمن يسترق
فأجبنى عنه بقيت مطاعا * لست فى حلبة الفضائل تسبق

(كتب) الشيخ شرف الدين عبد العزيز الحموى المعروف بشيخ الشيوخ الى والده ملغزا (مولده سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة)

ماواقف فى المخرج * يذهب طورا ويجى
لست تخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب اليه والده الجواب ذهاب ومجىء وخوف وهذا باب خصومة والسلام

(وكتب) الاديب نصر الدين الحمامى الى السراج الوراق وكان السراج بسكن

بانروضة (مولده سنة خمس وعشرة وستمائة وتوفى سنة خمس وتسعين وستمائة)

كم قد أردد للباب الكريم لكى * أبل شوقى وأحيى ميت أشعارى
وأنثنى خائبا فيما أؤمله * وأنت فى روضة والقلب فى نار

فكتب الجواب اليه

الآن نزهتنى فى روضة عبقت * أنفاسها بين أزهار وأثمار
أسكرتنى بشذاها فانثنيت بها * وكل بيت أراه بيت خمار
ولا تغالط فمن فينا المراح ومن * أولى بأن قال ان القلب فى نار

(وقال) الصاحب جمال الدين بن مطروح من قصيدة يمدح بها الملك الاشرف مظفر الدين موسى (ولد ابن مطروح سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وتوفى سنة تسع وأربعين وستمائة)

ما كان أشوقنى للثم بنانه * ولقد ظفرت بلثمها فليهنئى
ودخلت من أبوابه فى جنة * يا ليت قومى يعلمون بأننى

(وقال) علاء الدين الوداعى (مولده سنة أربعين وستمائة وتوفى سنة ست عشرة وسبعمائة)

من أم بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

(قلت) أما قرة فهو قرة بن خالد السدوسى وهو ثقة روى عن الحسن وابن سيرين وليس بتابعى وأما صلة فهو صلة بن أشيم العدوى كان من عباد التابعين وهو زوج معاذة العدوية وهى تروى عن عائشة رضى الله عنها وأما جابر فهو جابر بن عبد الله كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو جابر الجعفى لان جابر الجعفى ضعيف وهو تابعى وانما ضعفوه لانه كان يؤمن بالرجعة وأما حسن فهو حسن البصرى كان تابعيا كبيرا رأى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نحو ثلثمائة رجل ولقد أجاد علاء الدين فى استعمال هؤلاء الرجال فى أوصاف الممدوح ودل على جودة اطلاعه على أسماء رجال الحديث رحمه الله تعالى وأنشدنى سيدى وأخى تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى سلمه الله تعالى لنفسه الكريمة اجازة من قصيدة

قصدت باب الحبيب والرقبا * على تمن خيفة اللقاء حنقه

قالوا

قالوا فما تبتغى فقلت لهم * حتى تخلصت أبتغى صدقه

والشئ يذكر بلوازمه ما ألطف وأبلغ ماذكره ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب الاندلسى فى ترجمة شهاب الدين بن رضوان الغرناطى أبو جعفر فى تاريخه بالاحاطة (وذكر ان وفاته سنة ثلاث وستين وسبعمائة)

يا من اختار فؤادى مسكنا * بابه العين التى ترمقه
فتح الباب سهادى بعدكم * فابعثوا طيفكم يغلقه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة نثرا أى والله تخلى الشباب وخمد آب الذهن اللهاب وخلا الفكر الحائم من صوب والفهم الخادم من صواب واقصر عن نظمه ونثره من كانت له فى الانشاء نشأة وكانت له فى الشعر أسباب وغض بصر القريحه وتغاص ذيلها فما يرفع لها ولا تجر اهداب واختبى لسان المنشئ المنشد عجزا واغلق عليه من شقتيه مصراعى الباب وقال القاضى الفاضل نثرا (مولده سنة أربع وعشرين وخمسمائة ووفاته سنة ست وتسعين وخمسمائة) لا زالت الملوك ببابه وقوفا والاقدار له سيوفا والخلق له فى دار الدنيا ضيوفا ودين دين الحق تعلمه الناس انه اذا جرد لتقاضيه سيوفا سيوفى ومن نثره كل لفظة موصولة بأنه وفى كل قلب من حزنه نار وفى كل دار من فضله جنة فروح الله تلك الروح وفتح لها أبواب الجنة فهى آنوما ترجوه من الفتوح من رسالة كتبها المرحوم العلامة فتح الدين بن الشهيد الى بعض أصحابه وقد طرق عليه الباب فوجده مقفلا فما هو الا ان قبلت العتبة فأعتبت وتأدت فريضة الخدمة لما وقفت وتأدبت وأطلت قرع حلقة الباب فقال الصدى ضربت فى حديد بارد وجئت وقد استقل ركاب المسود والسائد فاذكر حاجتك أبلغ عنك ما تقول وأسبق برجع الجواب اليك الرسول قلت محب يراهم بالقلب ان عاقب الحوايج والجوانح ورحت وقلت ان جئت بجواب فسل عن سايح بن رايح وعدت أمشى بخفى حنين

وأصغى الى صوت الصدى عند ذكركم * فأطرب للغنى وأهتف بالدار
وأسعى بها دار اعلى مروة الصفا * أطوف بها سبعا ولم أقض أوطارى
وما نافعى التطواف فى دارة الحمى * اذا لم يكن فى دارة الحى أقطارى
وترددت حتى كلدمعى للطريق بالعقيق ورمت أنفاسى النار فى الدار

وصاحت الحريق (وللقاضي الفاضل) يصف الستائر من قصيدة أولها

ناط الب الجود يمم كعبة الكرم * وقل سلام لها عن كعبة الحرم
كأن استاره روض سمحت له * بماء يشرك هذا المخرق الشيم
غيم يزر على شمس وفي يده * غمامة لقبته كاشف الغمم
سحب تعود منه فيض انمله * والسحب ان سبرت دلت على الديم
لو لم تكن سحبا ما كان ذيلها * برقا يشام اذا ما البرق لم يشم
بيض كعرضك في طول كطولك في * لمع كنشرك في سلك حكى كلم
فكنت كالشمس في ثوب النهار بها * لا كالبدور بأثواب من الظلم
أظهرت عدلك فيها فهي معجزة * فالاسد ما وثبت والريم لم يرم
قرب سانحة فيه وسارحة * فاعجب لضدين في بحر من الكرم
تهيم بالصيد آمالي اذا نظرت * فيها فأذكر منع الصيد في الحرم
كأن أحداقنا ترعى الحدائق من * جنات عدن وعدل دائم قدم
أقاح روض كأن الورد فروزه * فيا لجرية ماء كف بالضرم
والطير في شجرات الرقم عاكفة * ونبت عنهن في التغريد بالنغم
ان لم يكن ثمر فيها ففي يده * ثمار جود زهت في روضة الشيم
يود ما مثلوه فيه من صور * لو انها استخدمت في جملة الخدم
تلك الستور عجاج والنجوم لها * عرى وايدي الظبا فروزنها بدم
أظن بابك خدا غرت من قبل * عليه حتى منعت اللثم باللثم
اذا رأيت بها الاعلام مشرقة * رأيت أشهر من نار على علم
مثل السراب ووقت القيظ بيضها * لكن وردت بعيني حين هم في

(وللمولى السيد) شمس الدين القاسم ابن الصاحب موفق الدين علي بن الآمدي ونقلته من خط الوداعي

ومشعل قام في خشوع * كراهب شق عنه جيبا
قد دفن الجسم منه سقما * واشتعل الرأس منه شيبا

(وورد) على سيدنا ومولانا المرحوم القاضي أمين الدين محمد الانصاري (المتوفى أواخر سنة ثمان مائة وأخبرني ان مولده سنة احدى وخمسين وسبعمائة) صاحب ديوان الانشاء الشريفة بالشام المحروسة كتاب من سيدنا ومولانا أوحد العصر

القاضي

القاضي بدر الدين محمد المخزومي المالكي الشهير بابن الدماميني (الذي مولده في سنة ثلاث وستين وسبعمائة) أنفذ الله أحكامه وذلك من مكة المشرفة بتاريخ التاسع والعشرين من شهر الله المحرم سنة احدى وثمانمائة جاء منه وينهي انه سطرها بمنى وقد سالت باعناق البدن الاباطح ووقفت الجزر تؤمل سعد الاخبية فاطلع لها غير سعد الذابح وقد برد الصدر المحرور برمي الجمار وقرت العيون برؤية تلك الآثار وقرع المملوك باب الرحمة عند وصوله الى البيت الشريف وقال للزمن تنكر ما شئت فقد حصل التعريف (وذكر صاحب المباهج) ان ستر ايوان كسرى أحرق لما ملك المسلمون المدائن فأخرج منه ألف ألف مثقال ذهبا وقيل مائة ألف مثقال (وطرق) رجل على عمرو بن عبيد الباب فقال من هذا فقال انا قال لست أعرف أحدا من اخواننا اسمه أنا وأخرج البخاري من طريق جابر رضي الله عنه قال استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت أنا فقال أنا أنا كأنه كرهه (وأنشدني الشيخ) شمس الدين الجرائحي لنفسه فيما يكتب على ستر

أنا الستر المجمل بالبهاء والعز والنصر
فاذبي ان تجد ضيما * وقل يا مجمل الستر

(الباب الخامس في ذم الحجاب)

(خالد بن عبد الله القشيري) كان يقول لحاجبه اذا جلست فلا تحجبن على أحد فانما الوالي يحتجب لثلاث شر يكره ان يطلع عليه غيره أو ريبة يخاف انتشارها أو بخل يكره معه ان يسأل شيأ ووقف رجل على باب أبي دلف فأقام به حينا لا يصل به فتلطف في رقعة أوصلها اليه وكتب فيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فأجابه

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وأبواب الملوك محجبات * ولا تستكثرن حجاب باب

(وقال علاء الدين) الوداعي يعتذر الى بعض أصحابه

ان كنت يا أكرم الصحاب * حجبت لما طرقت بابي

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل فقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وله فى بواب يلقب بالبحرى

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها أنا وقد وليته دونكم ظهرى
وهب انه البحر الذى يخرج الغنى * فكل حوانى الشط فى لجة البحرى

وقال كمال الدين بن النبيه (توفى سنة تسع عشرة وستمائة) لما سمع قول الفاضل

قلت لليل اذ حبانى حبيبا * بغناء يسبى النهى وعقارا
انت يا ليل حاجبى فامنع الصبح وكن أنت يا دجى بوابا

وقال ناصر الدين بن النقيب

ماذا على باب داركم الذى * لا اذن يعطينا ولا يستأذن
لو ردنا رداجميلا عنكم * او كان يدفع بالتى هى أحسن

(وللشيخ) شهاب الدين بن أبى حجلة فى غير المعنى

يارب ان الليل زاد زيادة * أدت الى هدم وفرط تشتت
ماضره لو جا على عاداته * فى دفعة أو كان يدفع بالتى

(وأنشدنى) الشيخ العلامة عز الدين الموصلى لنفسه (المتوفى سنة تسع وثمانين وستمائة وأخبرنى ان مولده سنة أربع وعشرين وستمائة)

قد سلونا عن الحبيب بخود * ذات وجه به الجمال تقنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن

(رجع) الى ما كنا فيه قال الناشئ الاصغر (المتوفى سنة ست وستين وثلثمائة)

ليس الحجاب بآلة الاشراف * ان الحجاب مجانب الانصاف
ولقل ما يأتى فيحجب مرة * فتعود ثانية بقلب صاف

(وقال) أبو الحسين الجزار (ومولده سنة احدى وستمائة ووفاته سنة اثنين وسبعين وستمائة)

أمولاى ما من طبعى الخروج * ولكن تعلمته من خولى
وصرت لديك أروم الغنى * فيخرجنى الضرب عند الدخول

(وألم بهذا) الاديب شمس الدين الضفدع فقال

فأنت قلبى ولا عجيب * اذا غدا القلب فى حجاب

(وقال) زين الدين بن الوردى (توفى سنة خمسين وسبعمائة) يلوم نفسه على زيارة أقوام

مذ زرتهم محبة وودا * ألفيتهم مغلقين بابا
سعيى الى بابهم جنون * منى فاستأهل الحجابا

(وقال بعض الحكماء) لبعض الملوك لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان اجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية وقال آخر كثرة الاذن مجلبة الابتذال وهيبة الملوك فى الاحتجاب وكان يقال المبذول مملوك والممنوع متبوع ولله در ابن المعتز وما أحسن قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله * كذا تخلق المرء العيون اللوامح

(وقيل) لبعض الحجاب متى تفرغ ولا يتك فقال متى حضر طعام مخدومى وأين هذا من قول القائل

جئت على باب صديق لنا * وبابه من دونه مقفل
وحول تلك الدار غلمانه * قد أحدقوا بالباب واستكملوا
فقلت ما يصنع مولاكم * قالوا سمعنا انه يأكل
قلت فما يفتح مولاكم * قالوا بلى رأس الذى يدخل

(وقيل لبعضهم) هل تغديت عند فلان قال لا ولكنى مررت ببابه وهو يتغدى قال فكيف علمت قال رأيت غلمانه بأيديهم قسى البندق يرمون الطير فى الهوى وقال بعضهم

رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفى يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لأختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ * يغيض ليس يردعه الكلام
فقال وقام من حنق اليه * بقدم يزد فيه القيام
أبى وأبو أبى والكلب عندى * بمنزلة اذا حضر الطعام
اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدى ولا ذمام
فما فى الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

وما أحسن قول القاضى الفاضل

وافا الى خدمته العبد كى * يحظى بتقبيل يد أو قبول
واستأذن الخادم فى قربه * منكم لان البعد ستر يحول
فكاد ان يخرجه الضرب عن * غنائك بالايقاع قبل الدخول
أوحى اليه منه قولا فما * بلغ عنه مايقول الرسول

(ونقلت) من خط المرحوم فخر الدين بن مكانس للجمال ابن عبد الغنى

أتيت الى بابك ياسيدى * أهنيك بالعيد مع من يهنى
فأخرجت من بعد ذاك الدخول * وقد جئت يعنى مدلا بأنى
مغن ويخرج بعد الدخول * وتأبى الطباع خروج المغنى

(حكى) عن أبى الحسين الجزار انه جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فأذن للناس كلهم ولم يؤذن له فكتب فى ورقة

الناس قد دخلوا كالابر أجمعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وناد ياخصى ادخل فلما سمع أبو الحسين قول الحاجب ياخصى ادخل فقال هذا دليل على السعة وهذا جميعه مأخوذ من قول الآخر

أيدخل من يشاء بغير اذن * وكلهم كسير أو عوير
وأبقى من وراء الباب حتى * كأنى خصيه وسواى ابر

(وقال بعض الشعراء) وقد منعه بواب اسمه بصاقة من الدخول

يامن سما فى المكرما * ت وفاق أرباب الممالك
أعجب لأمر بصاقة * منع الدخول لباب خالك
وهو المعين على الدخو * ل اذا تعسرت المسالك

(وقال بحظة)

ولى صاحب زرته للسلام * فقابلنى بالحجاب الصراح
وقالوا تغيب عن داره * لخوف غريم ملح وقاح
ولو كان عن داره غائبا * لأدخلنى أهله للنكاح

(وقال آخر)

وكل خفيف الشأن يسعى مشمرا * اذا فتح البواب بابك أصبعا
ونحن الجلوس الماكثون توقرا * حياء الى ان يفتح الباب أجمعا

وانشدنى

(وانشدنى) صاحب الامالى

كم من فتى تحمد أخلاقه * ويسكن العارفون فى ذمته
قد اكثر الحاجب أعداؤه * وأحقد الناس على نعمته

(حكى) أبو السعادات بن الشجرى فى شرح الحماسة ان أنس بن زنيم الهذلى وفد على عمرو بن عبد الله بن التميمى فى جماعة من الشعراء فصده الحاجب عن الدخول وأذن لغيره من الشعراء فلما طال حجابه كتب اليه أبياتا منها

لقد كنت أسعى فى هواك وأبتغى * رضاك وأعصى أسرتى والادانيا
حفاظا وما كالما كان بيننا * لتجزينى يوما فما كنت جازيا
أرانى اذا ما شمت منك سحابة * لتمطرنى عادت عجاجا وسافيا
أأقصى ويدنى من يقصر رأيه * ومن ليس يغنى عنك مثل غنائنا

فلما قرأ الابيات عنف حاجبه ثم أذن له وقال له ويحك ماهذا قال فعل حاجبك وطول مقامى وأنت تعطى من أقبل وأدبر فقال ياهذا أشهدت منى موذاة هجير قال لا قال ألك من يد تضربنى بها أو تستحق بها على ماطلبت قال نعم كنت أجالس بين يديك وأسمع حديثك فانشر محاسنه واطوى مساويه فقال وأبيك ان فى هذا لما يشكر كم أقت بالباب قال أربعين يوما فأمر له بأربعين ألف درهم

(ولشهاب الدين) ابن أبى حجلة

الاقل لشمس الدين صاحبنا العبسى * أتينا مرارا نحو بابك بالامس
فان حجبتك الجدر عنا فربما * رأينا جلابيب السحاب على الشمس

وقال شرف الدين بن عنين (وولده سنة تسع وأربعين وخمسمائة ووفاته سنة ثلاثين وستمائة)

أين غلمانك المطيفون بالبغـ * ـلة والرافعون للاثواب
ردك الدهر كالنداء على النيـ * ـل بلا حاجب ولا بواب

وعلى ذكر الحاجب فما أحسن قول القائل فى مليح قلندرى

بدا لى فى حلق الحواجب فتنة * فقلت لعقل ذاهل فيه ذاهب
حبيبى بحق الله قل لى ما الذى * دعاك الى هذا فقال مجاوبى
وعدت بوصل العاشقين تعطفا * فلم يثقوا فاسترهنوا قوس حاجبى

(وقال) السراج الوراق فيه

عشقت من ريقته قرقف * وماله اذذاك من شارب
قلندر يا حلقوا حاجبا * منه كنوز الخط من كاتب
سلطان حسن زاد فى عدله * فاختاران يبقى بلاحاجب

(وقف) بعض المطايبيع على باب بعض الامراء والطعام قد حضر فخرج حاجب الامير الى الباب فقال أيها المطبوع ألك حاجة قال نعم قال ماهى فقال له اذا دخلت فاقرئ خبز الامير السلام وما أظرف فى ذم الحاجب قول السراج الوراق

لاذقت ذل حجاب * ولا وقوفا ببـاب
فقد حنقت وقدقا * م شارب البواب
ورحت أجرى وصحفـ * ـت موضعين لمابى

(وقال زين بن الوردى)

يقول لى بوابه اذرأى * بالباب منى وقفة المحائر
له محاريم بها شغله * قلت محاريم بلا آخر

(وقال السراج الوراق) مضمنا

وقطب عند دخولى اليـه * فتم له القبح معنى وصوره
ولولا الضرورة مازرته * على الرغم منى وعند الضروره

(وقال جمال الدين) ابن نباتة

جيتنى فازددت عندى علا * برغم من أقبل كالعاتب
وقلت لا أعدم من سيدى * من كان عينى فغدا حاجبى

(وقال) محمد بن العفيف (ومولده سنة اثنين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة)

ولقد وقفت ضحى ببابك أرتجى * بالثم للعتبات حق الواجب
وأتيت أطلب زورة أحظى بها * فرددت ياعينى هناك بحاجبى

(وقال الشهاب) فتيان الشاغورى (ومولده سنة ثلاث وخمسمائة ووفاته سنة خمس عشرة وستمائة)

وافيت تهنية الوزير فلم أجد * لى فى الدخول ببابه من مسعد
لم أحظ الا بالقيام لمن أتى * فحصلت منك على المقيم المقعد

(قصد جماعة) من الطفيلية وليمة فقال رئيسهم اللهم لاتجعل البواب لكازا فى

الصدور

الصدور دفاعا فى الظهور طراحا للقلانس هب لنا رأفته ورحمته وبشره وسهل علينا اذنه فلما دخلوا تلقاهم المضيف فقال الرئيس عزة مباركة موصول بها الخصب معدوم بها الجدب فلما جلسوا على الخوان قال جعلك الله كعصى موسى وخوان ابراهيم ومائدة عيسى فى البركة ثم قال لاصحابه افتحوا أفواهكم واقيموا أعناقكم وابسطوا الاكف وأجيدوا اللقم ولاتمضغوا مضغ المتعللين الشباع المتخمين واذكروا سوء المنقلب وخيبة المضطرب خذوا على اسم الله تعالى (وقال زين الدين) بن الوردى

ماذا تقولون فى محب * عن غير أبوابكم تخلا
وجاءكم زائرا عفيفا * عن مالكم هل يجوز أم لا

(وقال جمال الدين) بن نباتة

مايقول المقام أيده اللـ * ـه ولازال للسعود يحوز
فى ولى بابكم ترك الخلـ * ـق ووافى يجوز أم لايجوز

(كان) الشيخ عز الدين بن عبد السلام اذا قرأ عليه الطالب وانتهى يقول اقرأ من الباب الذى تليه ولوسطرا فانى لاأحب الوقوف على الابواب

وللنصير (الحماحى) بيتان كتبهما الى السراج الوراق على يد غلام يدعى ابراهيم وهما

عبدك ابراهيم وافى بها * وفى بها معنى لمن يعقل
وهو على الباب ومقصوده * وفيك فهم انه يدخل

(الباب السادس فى الخدم والدهليز)

كان يقال ان الخصيان مليكة بنى آدم وقيل لابى العيناء لم اتخذت غلامين اسودين خصيين قال لئلا أتهم بهما ولايتهما بى وعرض على بعض الملوك غلام صبى خصى فقال هذا يصلح للفراش وللهراش وكان بعضهم يتخذ الخدام الخصيان ويختار منهم البيض الحسان فقيل له فى ذلك فقال لانهم بالنهار فوارس وبالليل عرائس (وفيهم يقول)

ونساء لمستريح مقيم * ورجال ان كانت الاسفار

(وفيهم) يقول محمد الخلوع القاهرى

مبرؤن من الشعر الكريه ومن * حمل الابور واخراج المناتين
وهم نساء اذا حاولت خلوتهم * وهم رجال لدى الهيجاء يحمونى

(وما أحسن) قول الصابى فى غلام اسود (مولده سنة عشرين وثلثمائة ووفاته سنة ثمانين وثلثمائة)

لله وجه كأن يمناى خطتـــه بلفظ يمـله آمالى
فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالى

وقال (الزين بن جبريل) المصرى

وخادم قد حباه القلب جبته * حباله وكسته صبغها المقل
كأن ماهوى فى خد الجمال لمن * براه خال وفى أجفانه كحل

(وقال ابن الجوزى) فى كتاب الاذكياء قال أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثى اجتزت ببغداد وأنا أحدث مع جماعة من بجان اصحاب الحديث واذ بخادم خصى جالس على الطريق و بين أيديه أدوية ومكاحل ومباضع وعلى رأسه مظلة خرق فسألت عنه فقيل طبيب حاذق وهو من عجائب بغداد فتقدم اليه شخص من الجماعة وتغاشى وتماوت وتمارض وقال يا أستاذ يا أستاذ دفعات فقال أى شئ يكى ايش أصابكى قولى لاشفاك الله فقال أجد ظلمة فى احشائى ومغصا فى أطراف شعرى وما آكله اليوم يصبح غدا مثل الجيفه فصف لى دواء فقال وكأنه أعد الجواب أما ماتجد من المغص فى أطراف شعرك فأحلق لحيتك ورأسك جميعا وأما ظلمة احشائك فعلقى على باب حجرك قنديلا وأما الثالث فكلى خراكى

(ولابراهيم) المعمار فى خادم هندى

تملك قلبى خادم قد هويته * من الهند معسول اللما أهيف القد
أقول لصحبى حين برنوا بلحظه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

(وقال)

وخادم يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع فى الهوى أسالها

(ولقد) أجاد من قال

ان لمعت ليلا نجوم السما * بيضا على أدهم مرخى الازار
وأوجب العكس مثالها * فى الارض فالسود نجوم النهار

(نادرة)

(نادرة) قيل ان بعض أولاد الملوك كان يعشق خادما يسمى دينارا وكان من أوحش مايكون فاتفق ان أجرى عنده ذكر مغن جميل فقال بلغنى ان فلسه أسود فقال له بعض الحاضرين والله يامولانا فلسه خير من دينارك فانجله

(ومن ظريف) ألقاب الخدام ماقبه سيدى المقر المجدى فضل الله بن مكانس أحسن الله له العاقبة لخدمه وهم اشراق الدين هلال ونظام الدين لؤلؤ وسيف الدين فولاذ (وأنشدنى) من لفظه لنفسه اجازة سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى بكر بن عمر المخزومى المالكى أدام الله أيامه ونقلتها من خطه

علقته خادما لطيفا * لم اصغ فيه الى الملامه
اليه قلبى انثنى وطرفى * مذلاح بين الانام شامه

(وللشيخ) جمال الدين بن نباتة فى خادم اسمه كافور

يالائمى فى خادم لى سيد * تسمى القد زدت السلو نفورا
ولقد أدرت على المسامع قهوة * فى الحب كان مزاجها كافورا

(ابراهيم) المعمار

وخادم قبلت مشروطه * فى خده لكن رأيت العجب
من ناعم حلو فناديته * ماانت يامشروط الارطب

(وقال) ابن نباتة أيضا

يروحى مشروط على الخد أسمر * دنا ووفا بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلاتزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

(وقال)

أرى لصواب يا ايرى صفات * تحث على الخلاعة والتصابى
فبادره فأنت به خبير * ومثلك لايدل على صواب

وقال (صلاح الدين) الصفدى فيه

اذا ماقام ايرك فى الدياجى * وعندك من تحب فلا تحابى
وقم نحو الطواشى واعتنقه * ومثلك لايدل على صواب

وقال (الشيخ زين الدين) بن الوردى

أأختشى من الاعداء والله ناصرى * بخدام حظ ان دعوت أجابوا

فقلبي ممرور وسعدى مقبل * وحزبي نصر والمقال صواب

(قلت) واذا ذكرنا ماورد فى مدحهم فلا بأس بايراد نبذة من غيره (قال) الجاحظ (توفى سنة خمس وخمسين ومائتين وقد نيف على التسعين سنة) ضيق الصدور وشدة النفور وطول الاعمار وقلة الاصطبار وكبر الاقدام واضطراب الاجسام وانكار الحرمه وقلة الرحمه وسرعة الدمعه وابتغاء الحمعه وطحن المعده ولطف القياده واسترخاء السرح وقلة الجرح وسوء الخلق وكثرة الحرق وشدة الحسد وانقطاع الولد والمشى بالنمائم والنظر الى المحارم وتربية البغول والبغض للفحول خلاف النساء والرجال لايجوز به الاستحلال مهلوس عبوس غايته طرسوس مؤاجر فى صغره قواد فى كبره ان ركب ركض وان مشى مرض مختلف الرأى والعقل متخلق باخلاق البغل ان لاينته جمح وان خاشنته رمح وان أجعته طمح وان أشبعته سلح يبول فى فراشه اذا عمل النبيذ فى مشاشه ان حرد كفر وان قدر قهر مختون على غير ملة حاذق بالهريسة والاخلة ان غضب بكى وان رضى شكى وان هزل انطوى وان سمن التوى معدن للطائر ألوف للبحائر ان ائتمنته خانك وان أكرمته هانك وان أهنته أكرمك وان أغضبته شتمك صاحب صوارات وجلاهق وجمام وبنادق حاص دجاج وفراريج وطير ماورد اريج ان أمسكته خسرت وان بعته ربحت وان طردته وفقت وان قتلته أجرت صالحهم مأبون وطالحهم ملعون شره عتيد وخيره بعيد معروف موصوف بالجلف مسترخى البدن طويل الحزن بين الموق بادى العروق يأتى العرقوب كثير العيوب طويل الذراع كثير النخاع مسلوب زينة اللحى محروم لذة النساء يتزوج بالابكار ويهتك الاستار يابس المصانع عارى الاشاجع شديد النفاق قليل الانصاف بين النفاق كثير البقباق شره عند الطعام سفيه على الاقوام فقير ذو مال وحيد ذو عيال شرس حسود حرون جحود بعيد من الحياء بارد اللقاء يتلقاك بالبكاء ان قلت نعم قال لا أو قلت لا قال بلى ان منع فحق وان أعطى فحق جرىء جبان طويل الاحزان مظلوم القلفة خالى المعرفة أقلف مختون خائن مأبون ترضيه اللقمه ويخدع بالطعمه أكثر الناس غله وأقوده فى الظلمه واحذقه

بالاجازة

بالاجازه واعرفه بجاره واعمله لمزماره وانحته لمصايد الغار وأبيعه للتكالك وأصيده للسمك اذا أمن ملعقته غرزها فى منطقته مأواه الدهليز وخبزه على الافزيز لهيج بالقمار عليه سوء الدمار من قلة مروأته يدخل الفحل على امرأته ويجمع لها بكده وينفقه على ضده لابد له فيها من شريك فهو مغرم وغيره ينيك يسترعورته عن الانام ويبدى سوأته للطعام يقطع الصلاة ويمنع الزكاة بيعه الزمارات ونعته فى الصورات يأكل بشدقين وينفق بيدين فضله محبوس ودعاؤه منكوس (وقال) الجاحظ أيضا كان من ظريف مايقص القاضى عبد الاعلى قوله فى الخصى اذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت مقعدته ولانت جلدته وانجردت شعرته وكثرت غلمته واتسعت فقحته وغرزت دمعته (وقال) غيره من جبز به ذهب لبه وفى ذلك قول أبى الطيب المتنبى (ومولده سنة ثلاث وثلثمائة ووفاته سنة أربع وخمسين وثلثمائة)

وقد كنت أحسب قطع الخصى * بأن الرؤس مقر النهى

فلما نظرت الى عقله * وجدت النهى كلها فى الخصى

ونقلت من خط الوزير العلامة المفنن فخر الدين بن مكانس سامحه الله تعالى أنه قال سافرت مرة سنة احدى وستين وسبعمائة مع الصاحب فخر الدين بن قرونية رحمه الله تعالى الى دمشق المحروسة عند ما تولى نظر مملكها ووالدى رحمه الله استيفاءها وكان له دوادار يسمى صبيح ويلقب جودر من عتقاء جده الوزير أمين الدين بن الغنائم وكان كثير النوادر لطيف الدقات فاتفق ان جمال الدين ابن الرهاوى موقع الوزارة ركب يوما فتقنطر به الفرس وداسه على رأس أحليله فحمل الى داره وأقام أياما الى ان عوفى وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس فقال له الصاحب فخر الدين ماسبب تأخيرك قال له تقنطرنى الفرس وداس رأس احليلى فكدت أموت والآن فقد لطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء فقال له صبيح جودر الحمد لله على سلامة الخصى فانقلب المجلس ضحكا وخجل ابن الرهاوى وانصرف (عود) الى ما كنا فيه وصف المجاز رجلا بالرعونة فقال هو كالخصى يفتخر بزبه مولاه (قال) كشاجم فى خادم اسود جائر

يامشبها فى فعله لونه * لم تعد ما أوجبت للقسمه

فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

(وقال) آخر وأجاد

جزواه اذا كره بحق واجب * اذ عندهم علم بخسة أصله
لو أنهم تركوه يبقى سالما * ملأ البلاد أراذلا من نسله

(وقال) بعضهم وأصاب

ان عاينت عيناك ظبيا سانحا * مع خادم يرعاه وهو شرود
فاقنصه لطفا بالزمام ولا تخف * منه نفورا فالزمام يقود

(نادرة) قيل ان بعض أولاد الملوك كان يعشق خادما يسمى دينارا وكان أوحش ما يكون فاتفق ان أجرى عنده ذكر مغن جميل فقال بلغني ان فلسه أسود فقال بعض الحاضرين والله يا مولانا ان فلسه خير من دينارك فأخجله (نادرة) قيل ان بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما وجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج فرأى بعض أصدقائه فسأله عن غيظه فقال هذا العبد النجس فعل بالخويدم الصغير فقال له مولانا السيد الكبير تخجل منه وأخرجها في مجانه (وما أظرف) من قال مواليا

ستي الكبيره لما الخدام والحشمه * تحلف على النيك بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشي أخشت لو نال من كله * راحت يمين القواقيه على قرمه

(وقال) ابراهيم المعمار

وان من الخدام من ليس ترتجى * مكارمه فالبعد منهم غنائم
فلا تك ممن يتهمهم لحشمة * فليس لهم بين الرجال محاشم

(أهدى) بعض عمال مروان بن محمد الجعدي الاموي لمروان عبدا أسود فقال لكاتبه عبد الحميد اكتب الى هذا العامل كتابا مختصرا وذمه على ما فعل فكتب اليه لو وجدت لونا أشر من السواد وعددا أقل من الواحد لاهديته والسلام (ومن أحسن) ما ورد في ذم السواد لا يحرم فيه محرم ولا يكفن فيه ولا تجلى فيه عروس (وما أظرف) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

كان لي عبد يسمى فرجا * نصب الغير عليه الشبكا
فأنا الآن كما تبصرني * ليس عندي فرج الا البكا

(القول) في الدهليز بكسر الدال فارسي معرب والجمع الدهاليز وهو بين الباب والدار

والدار وأحسن ما فيه

ودهليز دار فيه للعين بهجة * وللنفس فيه للذاذة أوطار
اذا دا خل لم يعتبر ما وراءه * توهمه من حسنه انه الدار

(وقال) يحيى بن خالد ينبغي للانسان ان يتأنق في دهليزه لانه وجه الدار ومنزل الضيف ومجلس الصديق حتى يؤذن له وموضع المعلم ومقيل الخدم ومنتهى حد المستأذن (وقال) بعضهم اذا كمل للانسان في داره حسن ثلاثة مواضع لم يبال بما فاته منها وذكر من جملتها الدهليز (وللشيخ) برهان الدين القيراطي فيه

أكرم بدهليز سما * فاذا الكواكب من رفاقه
دهليز مولى سعده * مازال يخدم في وطاقه

(قلت) من كان له عبد واسمه سعد ففي غاية الحسن (وقال) الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة بيتين وفيهما ما فيهما

دار بدر الدين أشرق نورها * فبياضها من نوره مجبول
دهليزها حلو لبنا يبدو لنا * طعمية في بابه ودخول

(الباب السابع في البركة والفوارة والدواليب وما فيهن من كلام وجيز)

البركة هي الموضع المبني لاجتماع الماء ويسمى أيضا الصهريج بكسر الصاد وهو اسم مشتق لها من الصهروج الذي تبنى به والصهروج الكلس نفسه يقال بركة مصهرجة اذا كانت مبنية بالصهروج وقال الجوهري البركة كالحوض والجمع البرك ويقال سميت بذلك لاقامة الماء فيها (حكى) الاديب أبو الربيع سليمان بن اسمعيل بن أبي الليث المسيحي قال جمعنا مجلس أنس مع الاديب أبي اسحاق ابراهيم بن أبي الثناء المسيحي بالفيوم وكان في بستان فيه بركة عليها فوارة من الماء فتجاذبنا اهداب وصفها (فقال أبو اسحاق)

بركة يصعد الاناء يب منها * يقعد الماء فوقها ويقوم
فلذا أطلعت فواقع تبدو * كالقوارير من زجاج تعوم
وكأن السماء صفحتها الزر * قاء والياسمين فيها نجوم

(قال وقلت أنا)

وبركة تذهل العقول لما * تحار فى حسن وصفها الفكر
كأنها مقلة محدقة * عبرا من الوجد نالها السهر
تبكى ومافارقت لها وطنا * يوما ولافات أهلها وطر
تخال أنبوبها لعجته * والماء يعلو به وينحدر
كصولجان فضة سبكت * فواقع الماء تحتها أكر

(قال) الشيخ صفى الدين الحلى (وتوفى سنة خمسين وسبعمائة)

والريح تجرى رخاء فوق بحرتها * وماؤها مطلق فى زى مأسور
قد جمعت جمع تصحيح جوانبها * والماء يجمع فيها جمع تكسير

(ولقد) أجاد ابن طباطبا فى قوله (ومولده سنة ست وثمانين ومائتين ووفاته سنة ثمان وأربعين وثلثمائة)

كم ليلة ساهرت أنجمها التى * عرصات أرض ماؤها كسمائها
قد سيرت فيها النجوم كانما * فلك السماء يدور فى ارجائها
أحسن بها بحرا اذا التبس الدجى * كانت نجوم الليل من حصبائها
ترنو الى الجوزاء وهى عريقة * تبغى النجاة ولات حين نجاتها
تطفو وترسب فى اصطفاق مياهها * لامستعان لها سوى أنمائها
والبدر يخفق وسطها فكأنه * قلب لها قد ريع فى احشائها

(ولامزيد) فى الحسن على قول عبد الجبار بن حديس الصقلى يصف دوحة واسودا ترى بالماء (توفى المذكور سنة تسع وعشرين وخمسمائة)

وضواغم سكنت عرين رياسة * تركت نزير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها * وأذاب فى أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك * فى النفس لو جدت هناك مثيرا
وتذكرت قتاتها فكأنما * أقعت على أذنابها للشورى
وتخالها والشمس تجلو لونها * نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول * ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه * ردعا فقد رسرده تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نجومها * عيناك بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية شرعت الى * شجر يؤثر فى النهى تأثيرا

قد

قد صولحت أغصانها فكأنما * قبضت بهن من الفضاء طيورا
وكأنما يأتى لوقع طيرها * ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقفة ترى منقارها * ماء كسلسال اللجين نميرا
خوس يقان من الفصاح فان شدت * جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأنما فى كل غصن فضة * لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك فى الصهريج موقع قطرها * فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا

(وقال القاضى) شهاب الدين بن فضل الله (مولده سنة سبعمائة ووفاته سنة تسع وأربعين وسبعمائة) فى ترجمة مجير الدين بن تميم (ووفاته سنة احدى وثمانين وستمائة) وحكى انه جاس على بحيرة أشرفت سماؤها وطاف بكعبة المجلس ماؤها والشمس قد توسطت الظهيره وأرخت ذوائب أشعتها الظفيره والليلة قد نصبت فى كل ناحية حباله وتناوحت عينها فما رأت من الشئ الا خياله والماء قد لبس من شعاع الشمس الغلاله وغابت سباع البركة فلعبت الغزاله (فقال)

ولما احتمت منا الغزالة بالسما * وعز على قناصها أن ينالها
نصبنا شباك الماء فى الارض حيلة * عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

(وذكر) هذه الترجمة فى كتابه مسالك الامصار من كلام على بن طافر العسقلانى قال جلسنا على بركة ألقى عليها ورد أحمر ملأ بكثرة نجومه فسحة سمائها وصبغ بحمرة شعاعه صفحة مائها واهدى زمرده الى مقلتها الزرقاء فصبح سرورنا بدائها

(وقال) المذكور فى كتابه بدائع البداية أخبرنى القاضى الاعز بن المؤيد رحمهما الله تعالى قال اجتمعت مع جماعة من ادباء الاسكندرية فى بستان لبعض اهلها فللنارو وضا تثنت قامات أشجاره وتغنت قيان أطياره وبين أيدينا بركة ماء كجو سماء فنثر عليه بعض الحاضرين ياسمينا زان سمائها بزواهر منيره واهدى الى لجتها جواهر نثيره فتعاطينا القول فى تشبيهه وأطرق كل منا التحريك خاطره وتنبيهه ثم أظهرنا ما حررنا ونثرنا ما حبرنا (فانشد) عباس بن ظريف

نثر الياسمين لما جنوه * عبثا فاستقر فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكى * زهر الارض فى أديم السماء

(قال والذى صنعته أنا)

نثروا الياسمين فى صفحة الماء * فخلنا النجوم وسط الماء

فكأن السماء في باطن الار * ض أو الدرطف فوق الماء

(وقال مجير الدين) بن تميم في مليح يشرب من بركة

أفدى الذي أهوى يفيه شاربا * من بركة رقت وطابت مشرعا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتني القمرين في وقت معا

(نادرة) اكترى نحوي جمالا ليحمل له زيرا فلما وصل الى البيت وفيه بركة قال له النحوي اقفزن فقفز فوقع فانكسر الزير فقال ما هذا قال جانب البركة ساكن والنون في اقفزن ساكنة فتحرك الزير بينهما بالكسر فقال أحسنت ما أنت الا عالم بيض الله وجهك (وقال الشريف العقيلي)

وبركة قد أفادنا عجبا * ما ماج من مائها وما انسكبا
من حول فوارة مركبة * قد انحنى ظهر مائها تعبا

(وقال شمس الدين الطيبي) أحمد بن أبي المحاسن (مولده ببخارى سنة تسع وأربعين وستمائة ووفاته سنة سبع عشرة وسبعمائة بطرابلس)

النهر وافى شاهرا سيفه * ولمعه يختلس الاعينا
فماجت البركة من خوفه * وارتعدت وادرعت جوشنا

(وقال مجير الدين ابن تميم مضمنا)

لو كنت اذ أبصرتها فوارة * للشمس في أمواجها لألاء
رأيت أعجب ما يرى من بركة * سال النضار بها وقام الماء

(وله مضمنا)

لقد نزهت عيني انابيب بركة * تقابلني أمواجها بالعجائب
انابيب زادت في علو كانما * تحاول ثارا عند بعض الكواكب

(وله)

يا حسن نوفرة بدت في بركة * أبدا يفيض الماء فيها ديدنا
ما ان بدت الا وظلت مفكرا * في قد نوفر راح ينبت سوسنا

(وقال الوجيه المناوي)

فوارة تشبه في شكلها * سبيكة من فضة خالصه
تلهيك بالحسن فقد أصبحت * جارية ملهية راقصه

(وقد) عكس بعضهم هذا فقال

وقينة

وقينة ملهية قد غدت * تستوقف السامع والرائي
جارية راقصة أشبهت * في وصفها فوارة الماء

(وقال) ابن حجاج (توفي سنة احدى وتسعين وثلثمائة)

صنعت في دارك فوارة * أغرقت في الارض بها الانجما
فاض على نجم السها ماؤها * فاصبحت أرضك تسقي السما

(وقال ابن تميم) في بركة بشاذروان

الا رب يوم قد تقضى ببركة * أقمت بها فيما جرى متحيرا
بعيني رأيت الماء فيها وقد جرى * على راسه من شاهق فتكسرا

(وقال الشيخ برهان الدين القيراطي)

مذهب شاذروانا الـــعالي المقام والرتب
نال الغنى الماء به * حين مشى على الذهب

(وقال فيه)

لحسن شاذروانا * كل القلوب تعشق
من أجل ذا الماء له * قلب به معلق

(ومن كلام) سيدي تقي الدين ابي بكر بن حجة في الفوارة كأنها سنان تطعن في صدر الظما أو شجرة كدنا انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها في السما أو معترف بندا الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضا أو عمود وفاء أشارت الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى قلنا ان اكليل الجوزاء له من جملة الودائع أو أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حباب النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية تحاول ثارا عند بعض الكواكب (وقال شهاب الدين بن أبي حجلة)

وشاذروان ماء بات يجرى * كعين الصب دمع يوم بين
اذا ما قيل جدبا لما سريعا * يقول نعم على رأسي وعيني

(وقال) شيخنا الشيخ زين الدين بن العجمي (توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة)

تسلسل مائي وهو لاشك مطلق * وصح حقيقا حين قالوا تكسرا
وفي قلب مائي للقلوب مسرة * وقالوا سيجرى بالهنا وكذا جرا

(قلت) وقد تصرفت الفضلاء متأخرو العصر في هذه اللفظة أعني وكذا جرى

تصرفات حسنه فمنهم القاضى صلاح الدين الصفدى (فقال)

أملت ان تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا يرى
وعلمت يوم فراقكم لابد أن * يجرى له دمعى دما وكذا جرى

ومنهم الشيخ عز الدين الموصلى (فقال)

رب نسيم قد سرى * يحدو سحابا ممطرا
أذيالة بليلة * تخبرنا بما جرى

وقال أيضا

حديث عذار الحب فى خده جرى * كمسك على الورد الجنى تسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه * كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرى

(وقال الشيخ برهان الدين القيراطى)

لم يبك حين بكيت من * هجرانه متحسرا
لكن حكا لك خده الـ * ـمصقول صورة ماجرى

وقال

كابرت عدل صبوتى * فى الدمع حين تحدرا
قالوا بكيت صبابة * فأجبت هذا ماجرى

(وأنشدنى) سيدى وأخى تقى الدين أبى بكر بن حجة أبقاه الله تعالى لبعض المغاربه

وتحدث الماء الزلال مع الحصا * فجرى النسيم عليه يسمع ماجرى
فكأن فوق الماء شيأ ظاهرا * وكأن تحت الماء درا مضمرا

(رجوع الى ما كنا فيه) قال ابن ظافر العسقلانى فى كتابه بدائع البدائه مررنا فى بعض العشايا على بعض البساتين المجاورة لبحر النيل فرأينا بئرا عليها دولابان متحاذيان قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الامانى بالمقاديس وهما يثنان أنين أهل الاشواق ويفيضان دمعا أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راق حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره فى اجياد الغصون والسواقى قد أدات من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه ورضاب الماء قد علاه من الظل المى

وحيات

وحيات المجارى حائرة تخاف ان يدركها من زمرد البنان العمى والبحر قد صقل صيقل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل السماء ردعه فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا وملأ أبصارنا وقلوبنا التذاذا وملنا الى الدولابين شاكين أرمزاحين شجيت قيان الطير بألحانها أم شدت على عيدانها أم ذكرا أيام نعما وطابا وكانا غصانا رطابا فنفيا لذيذ الهجوع ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع (وقال مجير الدين بن تميم مضمنا)

ودولاب روض كان من قبل أغصنا * تميس فلما فرقتها يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض فكله * عيون على أيام عهد الصبا تجرى

(وقال)

تأمل تر الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير
كأن النسيم الرطب قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

(وقال) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى (توفى سنة ثمانين وستمائة)

وروضة دولابها * الى الغصون قد شكا
من حين ضاع زهرها * دار عليه وبكى

(واستعمل) هذا المعنى صلاح الدين الصفدى فى غير الدولاب فقال

أضحى يقول عذاره * هل فيكم لى عاذر
الورد ضاع نجده * وأنا عليه دائر

(وقال) الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة

أعجب لما ناعورة قلبها * للماء منشى العيش والعشب
تعبانة الجسم ولكنها * كما ترى طيبة القلب

(وقال) سعد الدين بن عربى (ومولده سنة ست وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة اثنين وستمائة)

شاهدت دولابا له أدمع * تكلفت للروض بالرى
فأعجب له من فلك دائر * ما فيه برج غير ماء ى

(ولآخر)

أبدى لنا الدولاب قولا معجبا * لما رآنا قادمين اليه
انى من الحب العجيب كما ترى * قلبى معى وأنا أدور عليه

(قال) أبو حنيفه الدينورى الدولاب بضم الدال وفتحها كذا سمعته من فصحاء العرب (ولآخر)

لله أزهار دوح بات يضحكها * صوت الغمام بدمع منه منسفك
حكت نجوم السما أزهارها فكذا * أضحى يدور بها الدولاب كالفلك

(وقال) ابن نباتة

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي فانى فقدته * وأما دموعى فهى تجرى على جسمى

(ولآخر)

وذات شجو أسالت * مدامعا لم تصنها
تبكى بفرط دموع * وتضحك الروض منها

(ولآخر)

أشبه ما بين القواديس صوتها * ومن كل وجه ماؤها يتحدر
بارملة ضمت اليها بناتها * تنوح بشجو والمدامع تقطر

(ولآخر)

وناعورة قد ضاعفت بنواحها * نواحى وأجرت مقلتاى دموعها
وقد ضعفت مما تان فقد غدت * من الضعف والشكوى تعد ضلوعها

(سأل) الشيخ نجم الدين القحفيرى جماعة من الطلبة المشتغلة عليه عن قول الشاعر (ومولده سنة ثمان وستين وستمائة ووفاته سنة أربع وأربعين وسبعمائة)

يا أيها الحبر الذى * علم العروض به امتزج
أين لنا دايرة * فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال هذا فى الساقية لانه أراد بالبسيط الماء وبالهزج صوت الساقية حال دورانها فقال له الشيخ الا أنك درت فيها زمانا حتى ظهرت لك وهذا الكلام فى غاية الظرافة فمن الشيخ رحمه الله تعالى (وقال ابن تميم)

وناعورة قد ألبستها حبالها * من الشمس ثوبا فوق أوراقها الخضر
كطاووس بستان يدور ويجتلى * وينفض عن ارياشه بلل القطر

(وله)

(وله)

أبدت لنا بالعذر ناعورة * أدمعها فى غاية السكب
تقول لما غاب قلبى وقد * ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمى كله أعينا * تدور فى الماء على قلبي

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

ناعورة مذعورة * للبين تشكى حائره
الماء فوق كتفها * وهى عليه دائره

(وله)

حالة الدولاب دلت * انه فى فرط حزن
كان يسقى ويغنى * صار يسقى ويئن

(وقال) مؤلف الكتاب من مرثيته التى رثى بها دمشق وغيرها عند حلول الواقعه المشهورة من التتار

أعروسنا لك أسوة بحماتنا * فى ذا المصاب فأنتما اختان
غابت بدور الحسن عن هالاتها * فاستبدلت من عزها بهوان
ناحت نواعير الرياض لفقدهم * فكأنها الافلاك فى الدوران

(وقال ابن تميم)

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه فى الرياض طيور
ودولابها كادت تذوب ضلوعه * لكثرة ما يبكى بها ويدور

(وقال جمال الدين بن نباتة)

وناعورة قسمت حسنها * على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت * تدور وتبكى على الضائع

وقال مؤلفه ارتجالا جسيما اقترح عليه والحالة كذا

كأن البحر اذ يزهو صفاه * ونور البدر يشرق والسواقى
دموعى ثم وجهك يا حبيبى * وقلبى اذ شكا ألم الفراق

(قلت) ومن المداعبات اللطيفة ما كتب به المرحوم القاضى فخر الدين بن مكانس الى الشيخ بدر الدين البشتكى سلمه الله تعالى (مولده سنة ثمان وأربعين وسبعمائة) وقد دار فى ساقية الهمائل وهو

دورة البدر فى سواقى الهمائل * تركت أدمع العيون هوامل
آه من الرياض نور أديب * مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سعيا على بنى عجل فى الجـ * ـود وأغنى عن الولى الهاطل
زاد علما على أبى ثور لكن * قال بالدور ماؤه والسلاسل
قد أعاد الجناس حسن نوار * وأتته ثورية فهو كامل
يا سعيدا أثرى من النظم والنثـ * ـر فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض يا شيخ بالدو * رفهاغصتها من السكر مائل
لم تدع من نباتة لم تجدها * انها بالثنا عليك تواصل
وابن قادوس كان طالع فى خد * متك اليوم بالاوامر نازل
وغدا بالظلال كل أديب * فى هجير الرمضاء يفضلك قائل
وبروحى عيون نرجس روض * يغزل الحسن بالنداو يغازل
أنت شنفتها بشعرك زهرا * وبعثت المياه فيها خلاخل
كم غصون أينعتها فعليها * هاج للطير والمحب بلابل
أنت فى الحالتين تصريفك الاحـ * ـرف أو كيمياء ذهنك واصل
أنت لو لم تكن بحار علوم * ماجرت فى الرياض منك جداول
كنت عندى أجل قدرا وقدر * تمن الثور للوجود الحامل
وغدا قس بين لفظك والرو * ض على الحالتين عندك باقل
أنت يا بدر فقت بدر الدياجى * فلهذا تبدو وذلك آفل
يا خليا أبثه الشجو ان لم * يك عنى كدمع عينى سائل
والأديب المحب يشكو هواه * للاديب المحب عند النوازل
أنا مغرى بحب أحور المى * نا فتى يزرى بغصن الحمائل
من بنى الترك قده الادن واللحـ * ـظ كلا الفاتنين أصبح ذابل
أعين الزهر والغصون تراها * شاخصات اذا مشى وموائل
لا تقل فى الاعراب تحكم حسنا * ماترى للاعراب هذى العوامل
ماس عجبا وقصده يقتل الخلـ * ـق دلا لا وللـ * ـدلال دلائل
لا تلم فى عذاره هتك شيبى * أنا قد بعت آجلى بالعاجل
ولعمرى أنت الذكى ولكن * أنت والله عن غرامى غافل

ولئن

ولئن كنت عاقلا انى من * صبوتى فى الهوى عن العقل عاقل
هاك حالى شرحته فاغننى * ان تكن يا أخى لمعنى حامل
واطرح عتبها فعيش المحبيـ * ـن محبون والعيش كالظل زائل
دمت يا جامع المحاسن والشمـ * ـل ولازال غيث فضلك شامل
أنت بدر أم أنت شمس فانا * قد رأيناك غرة فى الاصائل
وكفيت الحرار يا أشرف القو * م ومن جوده يضمى ابن باخل

(الباب الثامن فى الباذهنج وترتيبه)

(قال) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى باذهنج مطل على البحر

أنا نعمى من ابتهج * انعش الروح والمهج
وعن البحر بانسـ * ـيم حدث ولا حرج

وقال ابن سناء الملك (توفى سنة ثمان وستمائة)

وباذهنج علا علاه * لكنه قد هوى هواه
دام عليك النسيم فيه * كأنه يطلب الشفاء

(وقال) أبو الحسن عبد الكريم الانصارى

ونفحة باذهنج أسكرتنا * وجدت بروحها برد النعيم
أتينا من أنيق الشكل سمح * تراه مثل راووق النديم
صفا وجرى الهوى فيه رقيقا * فسميناه راووق النسيم

(ومما) يحسن ان ينشد على لسان الباذهنج قول بعض العرب

اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت * وجدت لرياها على كبدى بردا
وانى بتهباب النسيم موكل * طروب وبعض القوم يحسبنى جلدا

(وللشيخ) برهان الدين القيراطى

يا طيب نفحة باذهنج لم يزل * بهوائه لنفوسنا تنفيس
مغرى بجذب الريح من آفاقها * فكأنه للريح مغناطيس

(وللشيخ) شهاب الدين بن أبى حجلة

وباذهنج لاخلت * ديارنا من أنسه
كأنه متيم * يلقى الهوى بنفسه

(وله)

و باذهنج غدا فى الجو منظر * من فوق منظره تبدو على سنن
فانظر فديتك يا محبوب رفعته * واستنشق الريح من تلقاء ياسكنى

(وله) ياباذهنجى كم كذا * تعلو على بان الحمى
أبديت حقدا زائدا * رفعت رأسك للسما

(وله مضمنا)

ودار حكت قصر السموءل فاغتدت * تباهى ببنيان لها وتقول
أرى باذهنجى فى الهواء ارتفاعه * يعز على من رامه ويطول

(وله مضمنا)

يا باذهنجى أما ترثى لذى حرق * يبدى لهيب الجوى مذبات يخفيها
عود تناصدقات من لطيف هوى * فامنن على بريح منك يجريها

(وله مضمنا)

يا باذهنجى لا برحت من الهوى * مثلى على حب الديار مولها
دارى بجسمك دائما مشغوفة * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

(وله)

وباذهنج تراه * كغصن بان ترنح * يهتز عند العطايا * لانه يتريح

(وله ملغزا فيه)

وذى جناح طوله * أضعاف ما فى العرض
ما جار فى شرع الهوى * وحكمه اذ يقضى
ولم يطر مع كونه * بين السما والأرض

(وقال أبو الفتح) بن قادوس يهجوه

لك باذهنج قلب صب له * نفس يصاعد لوعة الحرق
مات النسيم به فأجمنا * نبكى عليه بأدمع العرق

(ولصدر الدين) بن عبد الحق (توفى تقريبا سنة ثمانين وسبعمائة)

فى الباذهنج لا تنم * فما لمرضاه دوى
لا يأمن الشخص الذى * يسرق فى الليل الهوى

(ولشهاب الدين بن أبى حجلة)

وباذهنج

وباذهنج ريحه * تضرم نيران الجوى
مدحته جهلا به * فراح مدحى فى الهوى

(وله مضمنا فيه)

هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان نسيمه أبدا عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

(وقال) شهاب الدين السنبلى المالكى (توفى سنة أربع وستين وستمائة)

و باذهنج اذا حر المصيف أتى * أهدى النسيم وقد رقت حواشيه
مصغ الى الجو ما ناجاه نافخة * الا ونم عليه فهو واشيه

(وأكثر الناس) ولوعا بالباذهنج القاضى الفاضل فانه قال من رسالة انى من مدة سنتين وما قاربهما وهى المدة من تاريخها فرح بهجرة وكرى وعلو سعر شعرى قد نظمت مائتين وخمسين ألف بيت من الشعر بشهادة عيانها وحضور ديوانها مثل قولى فى باذهنج شديد الحرور كأنما يتنفس نفس مصدور ما يناهز ألف بيت كل مقطوع منها يخرع العقول اختراعه ويعفى المحاسن بديع ابتداعه ومثل قولى فى رجل طويل الآذان كأنهما فى رأسه خفان أو قد عجل له منهما نعلان ما يقارب ألف بيت تجاوزت بهما وأوريت وما ادخلت منها الشاعر الى بيت ومثل قولى فى رثاء الوطن الذى درجت من وكره وخرجت فلم أخرج عن ذكره ما يناهز عشرة آلاف بيت ومثل قولى

فى مدايح منصوصه * واهاجى مخصوصه

قوله فانه قال من رسالة الخ هذا مارأيناه بالاصل فليحرر اه

(وللشيخ) برهان الدين القيراطى ملغزا فيه

أهواءنا المختلفه * قد أصبحت مؤتلفه
فى شامخ بأنفه * على العوالى أنفه
وذى جناح لم يطر * وكل طير ألفه
جناحه طول المدا * يبدى علينا رفرفه
كم من كئيب عاشق * اهدى له مشرفه
ولا يزال مرسلا * لنحوه ملطفه
فى الريح ضاع قول من * على هواه عنفه
عليله الصحيح كم * شفى قلوبا دنفه

ورد وجه لطيفة * وذاته منحرفه
من قبلة الدين أرى * حب الهوى قد صرفه
ولم يكن مع الهوى * أعطافه منعطفه
هواه تحت طوعه * كيف يشاء صرفه
كم همت غمامة * هامته المنكشفه
مازال غيرساكن * ساكنه مذ ألفه
وكلما لاح له * من الهواء التفه
فى الوليد ذاته * بذاته مؤتلفه
سكانها سميها * فى الغرب بيدى حيفه
فيه تشتى عصبة * قد أصبحت مصيفه
ببدر ذوالرشد ولا * ينسبه الى السفه
جدت مع تبذيره * وبذله تصرفه
وكل ما أسرف فى * بلد شكرنا أسرفه
ونصفه مع جبل * ملك سطاه متلفه
تصحيف ثلثيه جلت * فض حديثه الشفه
وثلثه حرفان بل * حرف فدع من حرفه
أنفاسه كم أودعت * محاسنا مستلطفه
كم رنحت من غصن * ذى قامه مهفهفه
معتلة هو الصحيح عند من قد عرفه
وعرفه يعرفه * بالطيب حل عرفه
وثوبه الابيض لا * يزال يبدى صلفه
آخره مصنف * لعالم قد صنفه
وبيت سلطان غدا * يصون فيه تحفه
يكنى بسدسى لفظه * عصابة مستنكفه
وسدسه أرى المها * والارض والماء يألفه
فاكشف معمى قلبه * تمثلكم من كشفه
نهار ذهنكم محى * من الظلام سدفه

يجرى

يجرى لحل المشكلا * ت لم يخف توقفه
وبحركم دروما * صادفت فيه صدفه
وللرقاب قادت * هياتك المؤلفه
كل البرايا نكرة * وأنت فيهم معرفه
وخذ عروسا شنفت * مدجليف مشنفه
زهير لوبان له * زهر جلاها قطفه
أغشى سناه طرفها * اذلاح طرف طرفه
حديقة حاسدها * يرعد مثل الرعفه

(الباب التاسع فى النسيم ولطافة هبوبه)

وانما ذكرت النسيم لانه من لوازم الباذهنج والنسيم الريح الطيبة ونسيم الريح أولها حين تقبل بلين قبل ان تشتد (ومنه) الحديث بعثت فى نسيم الساعة أى حين ابتدأت وأقبلت وما أحسن قول بعضهم * نسيم الريح نسيب الروح (قال) أبوزكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى الرياح المعروفة أربع (الصبا) وهى تسلى عن الكروب (والجنوب) وهى تجمع السحاب (والشمال) وهى تعصره وتفرقه (والدبور) وهى تهدم البنيان وتقلع الشجر وهى المذكورة فى القرآن الريح العقيم وريح عاصف وريح صرصر وكل موضع جرى فيه ذكر الريح فالمراد بها الدبور والمراد بها العقوبة وكل موضع جرى فيه ذكر الرياح فى القرآن فانه يرجع الى الثلاثة التى تقدم ذكرها فيراد به الرحمة (وقيل) الرياح ثمان أربع من الجهات الاربع وأربع تسمى النكب لميلها وتنكبها عن الجهات الاربع فالشمال من ناحية الشام وذلك عن يمينك اذا استقبلت قبلة العراق فهبوبها من تحت بنات نعش ويقابلها الجنوب وهى باردة يابسة صافية من الكدر تشد الاعضاء وتسد المسام وتحصر الحرارة فى الباطن فينهضم الغذاء وتصفو بها كدورة الروح الحيوانى الذى فى القلب من الابخرة الدخانية وتديم الصحة وتقوى حواس الدماغ وذلك ان وصلت الى الجسم باعتدال وهى قليلة الهبوب ليلا ولذلك تقول العرب فى أحاديثها ان الجنوب قالت للشمال ان لى عليك فضلا لانى أسرى وأنت لا تسرى فقالت الشمال

ان الحرة لا تسرى وكان للمتوكل بيت مال يسميه بيت مال الشمال فكلما هبت شمالا تصدق بألف درهم وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قول) سحيم عبد بنى الحسحاس

وهبت شمالا آخر الليل سحرة * ولاثوب الا درعها ورداثيا
فمازال بردى طيبا من نباتها * الى الحول حتى انهج البرد باليا

فقال عمر أنك مقتول فاتهم بعد ذلك بامرأة فقتل (قال) أبونواس (توفى سنة ثمان وتسعين ومائة) وفيه ثلاث روايات

هبت لنا ريح شامية * منت الى القلب بأسباب
أدت رسالات الهوى بيننا * عرفتها مابين أصحابى

(يحكى) ان الصاحب بن عباد رحمه الله تعالى (مولده سنة ست وعشرين وثلثمائة ووفاته سنة خمس وثمانين وثلثمائة) كان اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما (قال) الشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف القيسى حدثنى من دخل سجستان وكرمان ان جميع ارجائهم ودوالهم تدور بريح الشمال قد جعلت منصوبة تلقائها وان هذه الريح تجرى عندهم على الدوام صيفا وشتاء وهى فى الصيف أكثر وأدوم وربما سكنت فى اليوم والليلة مرة أو مرات فيسكن كل رحى ودولاب بذلك الاقليم ثم يتحرك وذكر ان هذه الدواليب المنصوبة بها اثنا عشر ألفا وتنقطع بانقطاعها قال والخصب والقحط فى بلادهم معتبر بكثرة جريان ريح الشمال وقلته قال ولهم فى الارحاء منافس تغلق وتفتح ليقل ويكثر وذلك انها اذا كانت قوية أحرق الدقيق فيخرج به اسود وربما حمى الرحاء فانفلق فهم يحتاطون لذلك بما ذكرناه والصبا تأتى من مطلع الشمس وهى القبول والدبور يقابلها وهى معتدلة ولاسيما ان هبت قبل طلوع الشمس فى زمان الربيع وهى لطيفة صافية تذكى الاذهان وتبسط الأخلاق لاسيما ان مرت بمروج أزهارنا فعسة فانها تحمل قواها الى القلب والدماغ والى نفعها أشار الشاعر

وصبا أتت من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالى
خاضت مياه النيرين عشية * وأتتك وهى بليلة الاذيال

(وقال سيف الدين) المشد (ومولده سنة اثنين وستمائة وتوفى سنة خمس وخمسين وستمائة)

مسكية الأنفاس تملى الصبا * عنها حديثا قط لم يملل
جننت لما ان سرى عرفها * ومانرى من جن بالمندل

(وقال) مجير الدين الخياط (ومولده سنة خمسين وأربعمائة ووفاته سنة أربع وعشرين وخمسمائة)

يانسيم الصبا الولوع بوجدى * حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابنى شذاك فبالله * متى عهده باطلال نجد

(قال المهيار) الديلمى وتلطف (توفى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)

حملوا ريح الصبا انشركم * قبل ان تحمل شيحا وخزاما
وأبعثوا لى فى الدجى طيفكم * ان أذنتم لجفونى ان تناما

(وروى) المرزبانى باسناده ان المجنون خرج مع أصحاب له ليتمار من وادى القرى فمر بجبلى نعمان فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى تتنزله ما قال فأى ريح تجرى من نحو أرضها الى هذا المكان فقالوا الصبا فقال والله لا أبرح حتى تهب الصبا فأقام فى ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا لهم وله ثم أتوهم حتى اذا هبت الصبا رحل معهم وفى ذلك يقول

أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
أجد بردها أو تشف منى حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح متى ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

(وضمن البيت الاول) الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح اسمه نعمان فقال

أقول وقد عانقت نعمان ليلة * بنور محياه أنار اديمها
وقد أرسلت الياه نحوى فسوة * يروح كرب المستهام شميمها
أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

(أقول) وعلى ذكر نعمان والكناية عنه فما ألطف ماذكره الشيخ بدر الدين حسن بن زفر المتطبب الاربلى فى كتابه روضة المجالس ونزهة الانيس وهو ان بعض الرؤساء قال أخبرنى بعض الاصحاب قال كنت يوما جالسا عند صديق لى بالموصل اذ جاءه كتاب من بغداد من صديقة له فيه تشوق وفيه هذا البيت عتاب وهو

تناسيتم العهد القديم كأننا * على جبلى نعمان لم نتجمعا

فأخذ يستحسن هذا البيت ويهتز له فقلت له بالله عليك يا فلان أسألك شيأ ولا تخفه عنى قال سل قلت هذى معشوقتك صاحبة هذا الكتاب هل كنت تأتيها من وراء الدار فقال أى والله ومن أين علمت ذلك قلت من هذا البيت لأنها ذكرتك فيه بجبلى نعمان وجبلى نعمان كناية عند الظرفاء من الناس عن جانبى كفل المليحة والمليح فقال والله ما أدركت من هذا البيت الذى أدركت (وكان) لبيد بن ربيعة العامرى آلى فى الجاهلية ان لا تهب صبا الا نحر وأطعم الناس حتى تسكن والزم نفسه ذلك فى الاسلام فلما كانت أيام عثمان جعل ديوان لبيد بالكوفة وخطب الوليد بن عقبة الناس بها فى يوم صبا فقال معاشر الناس ان أخاكم لبيدا آلى فى الجاهلية الا تهب صبا الا أطعم الناس حتى تسكن وقد ألزم نفسه ذلك فى الاسلام وهذا اليوم من أيامه فأعينوه وأنا اول من يعينه ونزل فبعث اليه مائة بكرة وكتب اليه يقول

أرى الجزار يشحذ شفرتيه * اذا هبت رياح أبى عقيل
أشم الانف أصيد عامرى * طويل الباع كالسيف الصقيل
ووفى الجعفرى بما عليه * على الغلات والمال الثقيل

(فلما) أتاه الشعر قال لابنته يا بنية أجيبيه فقالت

اذا هبت رياح ابى عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الانف أصيد عبشميا * أعان على مروته لبيدا
بأمثال الهضان كأن ركبا * عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظنى يا ابن أروى ان تعودا

(فقال) أبوها أحسنت لولا انك استطعمتيه (ولبيد هذا صحابى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مع قومه بنى جعفر بن كلاب وهو صاحب احدى القصائد المعلقات التى أولها)

عفت الديار محلها فمقامها * واسما أمر ابنته ان تجيب الوليد

لانه لم يقل شعرا منذ أسلم وقال بعضهم لم يقل فى الاسلام الا قوله

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

وقيل

وقيل هذا البيت لغيره وهو أصح وقيل هذا البيت الذى قاله فى الاسلام بيت عجزه * والمرء يصلحه القرين الصالح * وقال له عمر رضى الله عنه يوما يا أبا عقيل أنشدنى شيأ من شعرك فقال ما كنت لأقول شعرا بعد ان علمنى الله البقرة وآل عمران فزده فى عطائه خمس مائة وكان ألفين وقالت عائشة رضى الله عنها روت من شعر لبيد مائتى عشر ألف بيت وقالت أيضا رحم الله لبيدا (حيث قال)

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

(قلت) كيف لو أدرك زماننا (وكان) لابن الجوزى رحمه الله تعالى زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق انه طلقها فحصل له بعد ذلك ندم وهيام أشرف به على العدم فحضرت فى بعض الايام مجلس وعظه فحين رآها عرفها فاتفق انه جاء امرأتان وجلستا امامه فحجبتاها عنه فانشد فى الحال * أيا جبلى نعمان بالله خليا

وهذا من جملة لطائفه وظرائفه ومنها انه أنشد فى بعض مجالس وعظه

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى * على الرياض يكاد الوهم يؤلمنى
من كل معنى لطيف أجتنى قدحا * وكل ناطقة فى الكون تطربنى

فقام اليه انسان وقال فان كان الناطق حمارا فقال أقول له يا حمارا اسكت

(وقال) صلاح الدين الصفدى

صدق خلى نسمات الصبا * فيما روت عنكم وماشك
قال لا أخبر منها بما * جاءت به قلنا ولا أذكى

(وقال جمال الدين بن نباتة)

يداوى أسا العشاق من نحو أرضكم * نسيم صبا أضحى عليه قبول
بروحى من ذاك النسيم اذا سرى * طبيب يداوى الناس وهو عليل

(وقال) شهاب الحاجبى (توفى قريبا من سنة سبعين وسبعمائة)

لا تبعثوا غير الصبا بتحية * ما طاب فى سمعى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيا لله ما أذكاها

(وقال بدر الدين) بن الصاحب

أسكرتم ريح الصبا بالشذا * حتى أذاعت سرنا بالبطاح
لا تعتبوها ان اذاعت مرى * فما على السكرى بهذا جناح

(وقال) بدر الدين حسن العربى (ومولده سنة ست وسبعمائة ووفاته سنة

خمس وخمسين وسبعمائة)

سمرت من بعيد الدار لى نسمة الصبا * فقد أصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندا * ومن تعب أنفاسها متتابعه

(ولما أنشدتهما) السيد القاضى صدر الدين بن الأدمى فسح الله فى أجله (مولده سنة ثمان وستين وسبعمائة) قال لو قال الشيخ بدر الدين فقد أصبحت معتلة وهى ظالعة لكان أحسن من قوله حسرى (ولعمرى صدق فيما قاله) وما ألطف القاضى أمين الدين عثمان بن عطايا فى قوله

أنا اهوى غصن النقا وهو لاه * وفؤادى بحبه فى التيه
يا نسيم الصبا ترفق عليه * وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس الا * كأمين فى حملها ارتضيه
واذا لم يكن رسولى نسيم * نحو غصن النقا فمن يثنيه

(وللشيخ) شمس الدين الواسطى من متأخرى شعراء الديار المصرية من موشحه

نسائم الاسحار * بنشرها الفواح * تحرك الاغصان * لانها أرواح
فقم بنا نسعى * لمربع يانع * للماء والمرعى * فيه غدا جامع
قد أطرب السمعا * قريه الساجع
كأنما تكرار * غناه فى الارواح * ضرب من العيدان * لمن غدا أوراح

(ولمؤلف الكتاب) لطف الله به

ان هبت الارواح من نحوهم * فانتشت الاشباح من راحها
لا تعتبونا فى الهوى واسكنوا * أشباحنا حنت لارواحها

ولم أر أحدا وصف الريح غير الأديب أبى القاسم أسعد بن على الكاتب المترسل (فى قوله) كأن شكل الهلال قرط * أو عطفة النون أو قلامه
كأن لون الهواء ماء * أو سندس رق أو غمامه

(حكى ان نور الدين) على بن سعيد المغربى صاحب المرقص والمطرب مر مع جماعة من الادباء المصريين ومنهم أبو الحسين الجزار فرأوا فى طريقهم بمليح نائم تحت شجرة وقد هب الهوى فكشف ثيابه عنه فقال ابو الحسين الجزار تفوا لينظم كل واحد منا فى هذا شيأ قال فغالبت ان قال نور الدين

الريح أقود ما يكون لانها * تبدى خبايا الرد والأعكان

وتميل

وتميل بالاغصان عند هبوبها * حتى تقبل أوجه الغدران
وكذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الاحباب والاوطان

(فقال) أبو الحسين ما بقى أحد منا يأتى بمثل هذا سير وابنا * وقال النور الاسعردى (ووفاته سنة ست وخمسين وسبعمائة)

تميل الريح بالاغصان لطفا * كما مالت بشار بها العقار
وتجمع بينها من بعد بعد * واوراق الغصون لها ازار
وتخفق غيرة عند التلاقى * فهل أبصرت قواد يغار

(وما احسن قوله) وان كان فى غير ما نحن فيه

اعدى سقام جفونه * جسمى وأعدمنى الكرا
حتى اعتللت بسرعة * مثل النسيم اذا سرى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه الشيخ العلامة عز الدين أبى الخير على ابن الشيخ بهاء الدين الحسين الموصلى تغمده الله بالرحمة

رب نسيم قد سرى * تحدو سحابا ممطرا
أذ يا له بليلة * تخبرنا بما جرى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه سيدى الشيخ وأخى تقى الدين أبى بكر بن حجة الحموى فسح الله فى أجله من قصيدة تبوية أولها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم
وضاع شذاكم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم
ولما روى أخبار نشر ثغوركم * أراك الحمى جاء الهوى يتبسم

(وقال) القاضى مجير الدين بن عبد الظاهر

شكر النسمة أرضهم * كم بلغت عنى تحيه
كم قد أطالت بل أطا * بت فى رسائلها الزكيه
لاغروان حفظت أحا * ديث الهوى فهى الذكيه

(ومن) هنا أخذ صلاح الدين الصفدى قوله وهو حسن عندى

يا طيب نشر هب لى من أرضكم * فآثار كامن لوعتى وتهتكى
اهدى تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذاكم ان ذا نشر ذكى

(وقال) شهاب الدين بن أبى حجلة مخاطبا صلاح الدين

ان ابن ابيك لم تزل سرقاته * تأتى بكل قبيحة وقبيح
نسب المعانى فى النسيم لنفسه * جهلا وراح كلامه فى الريح

(وكان) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى يحب مغنيا اسمه النسيم وله فيه عدة مقاطيع وقد ذكر بعضها الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة من رقعة كتبها الى القاضى علاء الدين بن فضل الله فى منزلة الاهرام قال وقد كان تقدم من انعامه ثوب صوف أحمر * ونصفه فى يوم ماطر ونسأل الله تعالى ان لا يخلى ذوى العارض الممطر من جاه مولانا العريض وحلل انعامه التى هى كالدنانير الحمر والدراهم البيض ونصف مبيته فى هذه المنزلة التى اصبحت كليلة القدر عندى ذات أنديه وخيامها التى ودلو كان طائعة بها سعد الاخبية وبردها اليابس الذى لم يترك منه رطبا سوى لسانه بصالح الادعيه هذا والغرم يضرب حتى اللحية بالشيب وأبو الهول الى جانبه يرجم حين يرجع بالغيب فان شبت من هوله فالغرم امامى وان فررت من نسيمه فهوى ناقتى خلفى وقدامى

هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فلو حكم به على القاضى محيى الدين بن عبد الله الظاهر رحمه الله تعالى وقدمى بهبو به الوطيس لاشتغل بنفسه وترك محبوبه النسيم فى الريح المريس وذلك بعد ان قال فيه

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلوهم ياليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

(فقلت) كأنى حاضرا خاطبه

ان كنت فى عشق النسيم متيما * وزعمت ان هواه ليس بمتلف
فأنا أقول لمن تحرش بالهوى * عرضت نفسك للبلاء فاستهدف

(وقال القاضى محيى الدين) بن عبد الظاهر فيمن اسمه نسيم

يامن غدا لى من عوا * صف هجره الريح العقيم
أترى يطيب لى الهوى * ويقال لى رق النسيم

فقلت له مجاوبا

بالله ان رق النسيم وأخذت * نار تؤججها يد التبريح

نقل

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العذول وقوله فى الريح

(قلت) وعلى ذكر الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى رسالته المذكورة فى ليلة من جمادى ذات أنديه (ذكرت) ماقاله الشيخ المحدث الرحلة فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس رحمه الله تعالى قال كان القاضى فخر الدين بن نعمان والقاضى تاج الدين أحمد بن الأثير (توفى تاج الدين سنة سبعين وستمائة) صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا فاتفق انه دعى للملوكه المذكور بالطنبا فقال له نعم ولم يأته وتكرر طلبه له وهو يقول نعم ولم يأته وكانت ليلة مظلمة مطيرة فاخرج فخر الدين رأسه من الخيمة وقال تقول نعم ولم أرك (فقال تاج الدين)

فى ليلة من جمادى ذات أنديه * لا يبصر الكلب فى ارجائها الطنبا

وقال بعض العشاق)

ألا يا نسيم الريح مالك كلما * تدانيت منا زاد نشرك طيبا
أظن سليمى خبرت بسقامنا * فاعطتك رياها فخبت طبيبا

(وكان) أبو الفرج الوأواء محمد بن أحمد الدمشقى من حسنات الشام وصناعة الكلام وكان مبدأه منا ديا بدار البطيخ بدمشق قال قال ابن حمدون كان الفتح بن خاقان يأنس بى ويطلعنى على الخاص من أموره فقال مرة يا أبا عبد الله لما دخلت البارحة الى منزلى استقبلتنى جارية من جوارى فلم أتمالك دون أن قبلتها فوجدت بين شفتيها هوى لورقد المخمور فيه لصحا فكان ذلك مما يستملح ويستظرف من الفتح بن خاقان فسمع الوأواء ذلك (فقال)

سقى الله ليلا طاب اذ زار طرفه * فأفنيته حتى الصباح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرى * فلو رقد المخمور فيه أفاقا

(وقال علاء الدين الجوينى) صاحب الديوان دوبيت

لله مبيتنا بضوء القمر * والحب نديمنا وصوت الوتر
قد فرق بيننا نسيم سحرا * ما أبرد ماجاء نسيم السحر

(وما ألطف) ماقال سيدى تقى الدين بن حجة أبقاه الله تعالى من مرشحة امتدح بها سيدنا ومولانا الامام العلامة المفنن قاضى القضاة أبى الحسن علاء الدين الشهير بالقصاع الحاكم بمدينة حماه المحروسة أسبغ الله عليه ظلاله مضمنا

بالله يابرق ان أومضت فى الثغر * وحارس اللحظ فى شك من الخبر
قف بالتنيات واذكرنى اذا عذبت * مسهلات عذيب الثغر فى السحر
وارسل عليل النسيم خلفى * معرفا بالشذا ومشفى
ولا تقل انه المعتل فى شغل * فربما صحت الاجساد بالعلل

(وللقاضى الفاضل)

يالمعة البرق بل ياهبة الريح * روحى يجمعى الى من عنده روحى
خذى لهم من دموعى عنبرا عبقا * وأوقديه بنار من تباريحى
ناشدتك الله الا كنت مخبرة * عنى بأنهم ذكرى وتسبيحى

(وذكر الوهرانى) فى أول منامه هذه الابيات ولم أدر هى له أم لغيره (توفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة)

أيا نفحة أهديت الى تحية * ينم عليها العرف من أم سالم
مشت فى اراك الوادين فنبهت * به كل نشوان المعاطف ناعم
ألا انما أحكى بدمعى ولوعتى * بكاء الغوانى وانتحاب الحمائم

(حكى عن الاصمعى) أنه قال كانت امرأة من العرب تأتى بصبية لها قبل الصبح فتقف على تل عال هناك وتقول أى بنى خذوا صفو هذا النسيم قبل ان تكدره الخلائق بأنفاسها (ولمؤلف الكتاب) لطف الله به من قصيدة

ألا يانسمة الريح * وفى أيديك تبريحى
فمى أسألك عن قلبى * وان شئت أقل روحى

(الباب العاشر فى الفرش والمساند والأرائك)

ذكر القاضى الرشيد أبو الحسين أحمد بن القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه الهدايا والطرف والهدايا والتحف انه لما عزم المتوكل على اعذار المعتز أمر الفتح ابن خاقان بالتأهب لذلك وأن يلتمس فى خزائن الفراش بساطا للايوان فى طوله وعرضه وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسين ذراعا فلم يوجد الا فى ما مضى من بنى أمية فانه وجد فى أمتعة هشام بن عبد الملك على طول الايوان وعرضه وكان بساطا لم ير لاحد مثله ابريسمى مذهب مقزوز منبطن فلما رآه المتوكل استحسنه وبسطه فى الايوان بعد أن قوم فى أوسط التقويم بعشرة آلاف دينار ونصب

للخليفة

للخليفة فى صدر الايوان سرير ومد بين يديه أربعة آلاف مرفع ذهب مرصعة بالجوهر فيها تماثيل العنبر والمسك والكافور المعمول على مثل الصور منها ما هو مرصع بالجوهر مفردا ومنه ما عليه ذهب وجوهر وجعلت بساط ممدودا وقعد المتوكل والناس جلوس وهو على سريره وحضرت القواد والامراء والندماء وأصحاب المراتب وجلسوا على مراتبهم ووضعت بين أيديهم من الجانبين والبساط فرجة وجاء الفراشون بزمل غشيت بأدم مملوءة دنانير ودراهم نصفين وصب فى تلك الفرجة حتى ارتفعت وقام الغلمان دونها وأمر الناس بالشرب وأن ينتقل كل من يشرب من تلك الدنانير والدراهم ثلاث حفنات بمقدار ما حملت يداه وكلما فرغ صب فيه من الزمل حتى يرد الى حالته ووقف غلمان فى آخر المجلس فصاحوا ان أمير المؤمنين أمر أن يأخذ من شاء ما شاء فمدوا أيديهم الى المال وأخذوه وكان اذا أثقل الواحد ما فى كمه ناوله الى غلمانه ثم يعود الى مجلسه وخلع على من حضر ثلاث خلع حسان على مراتبهم وأقاموا الى أن صليت العصر والمغرب وحملوا عند انصرافهم على الخيل والمهارى وأعتق المتوكل عن المعتز ألف عبد وأمر لكل واحد منهم بمائة درهم وثلاثة أثواب وكان فى حصن الدار بين يدى الايوان أربعمائة مكبة عليها أنواع الثياب وبين أيديهم مكبة فيها أنواع الفاكهة وتقدم الى صاحب الباب ان ينثر وعلى خدام الدار والحاشية ما كان أعدلهم وهو ألف ألف درهم فلم يقدر أحد على التقاط شئ فأخذ الفتح درهما فاكب الجماعة على المال فنهبوه وكانت قبيحة أم المعتز بالله قد تقدمت بضرب دراهم عليها مكتوب بركة من الله واعذار أبى عبد الله فضرب ألف ألف درهم نثرت على وجوه الغلمان والشاكرية وقهرمانات الدار والخدام والخاصة من الصبيان والسودان (وسأل) أبو العباس الصولى حرملة المزنى كم وصل اليك من اعذار المعتز فقال صار الى أن وضع الطعام نيفا وثمانين ألف دينار سوى المصاغات والخواتيم والجواهر وحضر المجلس محمد المنتصر وأبو أحمد وأبو سليمان ابنا الرشيد وأحمد وأبو العباس ابنا المعتصم وموسى بن المأمون وأبناء حمدون النديم وأحمد بن أبى رويم والحسين بن الضحاك وعلى بن الجهم وعلى بن يحيى المنجم وأخوه أحمد ومن المغنين عمرو بن بانة وأحمد بن أبى العلاء والحفصى بن المكى وسلم الرازى وثمرة وسلمان

الطبال والمسدود وأبو حشيشة بن الفضل وصالح الدفاف وزنام الزامر وتفاح الزامر ومن المغنيات غريب وبدعه جاريتها وشراب وجواريها وندمان ونغم ونخلة وتركية وقديرة ورائك وعرفان قال وأقام المتوكل بالقصر ثلاثة أيام ثم صعد الى قصره الجعفرى وتقدم الى ابراهيم بن العباس بعمل حساب ما انفق فاشتمل على ستة وثمانين ألف ألف دينار وفضل بعد القسم عن الناس واخراج الخمس مما فى المدائن بساط كسرى أنفذه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقسمه بين الناس فأصاب على قطعة منها بعشرين ألف دينار وما كانت بأجود القطع وكانت الفرس تسميه القطف وكان طوله ستين ذراعا فى عرض ستين حرير فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار وخلال ذلك فى الافريز وفى حافاته كالارض المذروعة المقبلة بالنبات فى أوان الربيع فى قضبان الذهب والفضة ونواره كالجواهر واشباه ذلك وشبه فصوص ورسمه بالجواهر وزخرفته بحرير وذهب وكانوا يدخرونه للشتاء اذا ذهبت الرياحين وأرادوا الشرب شربوا عليه فكأنهم فى رياض وكان أفضل مال أصيب بالقادسية وكانت قيمته ستة وثلاثين ألف ألف دينار (ووجد) لام المعتز بالله ثلاث دواويج كانت تستعمل من فقوم الدواج بأكثر من ألف دينار ووجد لها جلود السمور فتحلق ما عليها من الوبر وترمى الجلود فاذا اجتمع من ذلك ما يكفى الدواج تنثر فيه مع فتت من المسك والعنبر وتجعله بين البطانة والظهارة عوضا عن القطن (وقال) القاضى الفاضل

بساط يرى التيجان تهوى لثمه * فما هو الا قبلة أو مقبل
اذا نشرت من نقشه لك روضة * بدا فوقها من كفه لك جدول
وأفضل أجزاء الجسوم رؤسها * وأرجلها فى وطئ بسطك أفضل

(دخل) محمد بن عمران على المأمون ذات ليلة فجعل يأمره وينهاه ثم دعا له بمتكاء فقال أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ما كنت لاتكئ فى مجلسك فقال له ان على قلبك من بدنك ثقلا ومؤونة فأردنا ان يستريح بدنك ليفرغ لنا قلبك (وقال محيى الدين بن عبد الظاهر) ملغزا فى شبرية

وهندية موطوءة غيرانها * اذا افترشت أغرتك بالبيض والحمر
تعانق من أعطافها خيزرانة * وتلمح من أزرارها طالع البدر

وأعجب

وأعجب من ذا انها اذ تقسما * تقوتك لولا وهى تعزى الى شبر

(وأنشدنى من لفظه) لنفسه الشيخ الفاضل بقية المتأخرين شمس الدين محمد بن بركة الجرائحى سلمه الله تعالى (مولده سنة خمس وثلاثين وسبعمائة)

يقول محدثى لما اضطجعنا * ووسدنى حبيب القلب زنده
قصدتم عند طيب الوصل هجرى * خذونى تحت رأسكم مخده

(وأنشدنى لنفسه أيضا)

بشعانه تطرزت * قالت بلفظ موجز
على الحرير قد سما * قدرى والمطرز

(وقال) الشاعر الظريف محمد بن العفيف

بساط يملأ الابصار نورا * ويهدى للقلوب به سرورا
ويشرح حين يبسط كل صدر * وخير البسط ما أرضى الصدورا

(وقال ظافر الحداد) فيما يكتب على كرسى

نزه لحاظك فى غريب بدائعى * وتعجب تشبيهى وحكمة صانع
فكأننى كفا محب شبكت * يوم الوداع أصابعا بأصابع

(وذكر القاضى الرشيد) بن الزبير فى كتابه النجائب والطرف قال الفضل بن الربيع لما ولى محمد الامين الخلافة فى سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرنى أن أحصى ما فى الخزائن من الكسوة والفرش والآنية والآلة فاجتمعت كتاب الخزائن وأقاموا أربعة أشهر يحصون فأشرفت على مالم أتوهم أن خزائن الخلافة تحويه ثم أمرهم أن يعملوا لكل صنف جملة فكان فى خزائن الكسوة أربعة آلاف جبة منسوجة بالذهب وعشرة آلاف قميص وغلالة وعشرة آلاف خف وألف سروال وكثير من أصناف الثياب وأربعة آلاف عمامة وألف طيلسان وخمسة آلاف منديل من أصناف المناديل وخمسمائة قطيفة خز ومائة ألف وسادة ومخدة خز وألف بساط ملون وألف مخده ميسانى وألف وسادة ميسانى وألف بساط طبرستانى وألف وسادة ديباج وألف وسادة خز مرقوم وألف ستر حرير ساذج وثلثمائة ستر مرقوم وخمسمائة بساط طبرى وألف وسادة طبرى وألف مرقعة وألف مخدة طبرى ومن الآنية ألف طست ذهب وألف ابريق ذهب وثلثمائة كانون فضة وذهب وألف

نور شمع ذهب والف قطعة نحاس من سائر الاصناف والف منطقة ذهب ثم ذكر السلاح وأصنافه وقد ذكرته فى بابه

(الباب الحادى عشر فى الاراييح الطيبة والمروحة وماشاكل ذلك)

(قال انس بن مالك) رضى الله عنه دخل علينا النبى صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق وجاءت امى بقارورة فجعلت تسلت فيها العرق فاستيقظ فقال يا أم سليم ماهذا الذى تفعلين قالت عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب وما أحق هذا الطيب بقول القائل وهو الشيخ (عز الدين الموصلى)

تنشق مسك اصداغى حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين

(وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه لو كنت تاجرا ما اخترت غير المسك ان فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه (أهدى) عبد الله بن جعفر لمعوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا كثيرا فقال هذه غالية فسميت بذلك (وما أحسن) قول أبى بكر الخوارزمى (توفى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة)

وطيب لايحل بكل طيب * يحيينا بأنفاس الحبيب
متى تشممه أنف حن قلب * كأن الانف جاسوس القلوب

(وكان) يوزن بين يدى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مسك للمسلمين فيأخذ بأنفه لئلا يصيب الرائحة ويقول وهل ينتفع الا بريحه وقال جعفر بن سليمان الهاشمى فى الطيب أربع خصال لذة ومروءة ومنفعة وسنة ولما دخل عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك بن مروان ابنة عمه أوقد فى مسارجها تلك الليلة الغالية فقوم ثمن ذلك فبلغ عشرين ألف دينار (نادرة) تبخر بعض الامراء وعنده مزيد فهرطت منه ريحة خفيفة وأراد ان يدرى هل فطن لها مزيد فقال ما أطيب هذه المثلثة فقال نعم الا أنك ربعتها (سئل) جالينوس عن منافع الطيب فقال المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يصلح الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحلل الزكام والمثلث ينشف العرق (وقال ضياء الدين المناوى) فى المسك

المسك انفاس طيب * مثل الشباب وزينه
ان كان للطيب عين * فالمسك انسان عينه

(وله فى العود)

المندلى كريم * سقياله ولغرسه
لما أرادير بنا * للهند نسبة جنسه
غدا على النار ملقى * يجود فيها بنفسه

(وقال الشيخ زين الدين ابن الوردى)

تجادلنا أماء الزهر أذكى * أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ولبعضهم فى مبخرة

عطرت مجلسى بنية طيب * اعربواشكلها بحسن البخارى
واذا اعتل للنسيم بخار * اسندوا نحوها صحيح البخارى

وللشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة فيها

ومبخرة تحكى المتيم فى الهوى * تبوح بما تلقاه من شدة الكرب
تقول وقد نمت بعرف بخورها * أكتم ما ألقاه والنار فى قلبى

(ولمؤلفه) اطف الله به وان كان غير مقصودنا

مذ باعنى بالامس لا * بالبان من اعطافه
حكموا بصحة بيعه * مع علمهم بخلافه

(وله)

سرحت مشطى سائلا * تصحيف قولى غاليه
ان لم تجد برخيصها * فالنار منها غاليه

(وقال الشيخ) جلال الدين بن خطيب داريا

حكيت فى اللطف نسج العنكبوت على * انى ظهرت لكم من جوهر قامى
يكاد أن لا يرانى غير ذى نظر * من اللطافة الا طيب أنفاسى

(صفة غالية طيبة لذيذة) يؤخذ مسك جيد جزء وعنبر ربع جزء ومسك جزآن وسنبل الطيب جزء يسحق الجميع ناعما ويعجن بدهن بان ويرفع ويستعمل (صفة ند) له فى تفريح القلب أمر عجيب وفعل بالغ غريب يؤخذ عنبر جيد فيوضع فى اناء مسطح من نحاس على نار ويصب عليه شئ يسير من ماء ورد ويترك الى ان يلين ويدعك ويعلق به وزنه مسك جيد ومثل نصف وزنه عود امسح وقا

ويدعك دعكا جيدا ويبسط على رخامة ويقطع قطعا ويخبر به فانه عجيب
فى تقوية القلب والقوة واحداث التفريح (صفة ذريرة) منسوبة الى جعفر
البرمكى وكان كثير التبخير بها فى أكثر ساعات نهاره وليله يؤخذ سليخة وقرنفل
وفاغرة من كل واحد جزء وسنبل الطيب وقسط مر وصندل مقاصيرى وعود
وكبابة وقاقلة من كل واحد نصف جزء وزعفران ربع جزء يدق الجميع ناعما
ويوضع فى اناء من صينى ويسقى بماء الورد وماء القرنفل والنمام وماء الآس
كل يوم مدة ثلاثة ايام ثم يترك الى أن يجف ويسحق ناعما ويضاف اليه كافور
ومسك ويتبخر به نقلت هذه الصفحة من كتاب مفرح النفس تأليف الحكيم
الفاضل بدر الدين مظفر بن قاضى بعلبك الذى ألفه للامير الفاضل سيف الدين
عمر ابن قزل المشد تغمده الله بالرحمة

(القول فى المروحة) وهى ثلاثة انواع مروحة الخيش ومروحة الاديم ومروحة
الخوص ومن احسن ما سمع فيها قول عرقلة

ومحبوبة فى القيض لم تخل من يد * وفى القر يسلوها اكف الحبائب
اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا * اتت بالهوى الممدود من كل جانب

(وقال ابن معقل)

ومروحة اهدت الى النفس روحها * لدى القيض منبوتا باهداء ريحها
روينا عن الريح الشمال حديثها * على ضعفه مستخرجا من صحيحها

(وقال نور الدين) على بن صاحب تكريت ولله دره

يا سائلى عن نسيم طى مروحة * أهدت سرورا بترجيع وترويح
أما ترى الخوص أهدى من مراوحه * ما أودعته قديم نسيمة الريح

(قلت) وعلى ذكر الخوص فما احسن ما قاله الشيخ برهان الدين القيراطى فى
وصف النوق

صاح هذى قباب طيبة لاحت * وفؤادى على اللقاء حريص
وتبدت نخيلها للطايا * فعيون المطى للنخل خوص

(قال) أبو الفوارس سوار بن اسرائيل الدمشقى (مولد ابن اسرائيل سنة ثلاث
وستمائة ووفاته سنة سبع وسبعين وستمائة) كنت عند صلاح الدين يوسف بن أيوب
فحضر اليه رسول صاحب المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ومعه

قرد

قرد وهدايا فلما جلس أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران من نساجة
السعف الاحمر وقال الشريف يخدم السلطان وقال خذ هذه المروحة
فما رأيت أنت ولا أبوك ولا جدك مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا
فقال الرسول لا تعجل بالغضب قبل تأملها وكان صلاح الدين ملكا حليما
فاذا فيها مكتوب

أنا من نخلة تجاور قبرا * سادمن فيه سائر الناس طرا
شملتنى سعادة القبر حتى * صرت فى راحة ابن أيوب أقرا

واذا هى من خوص النخل الذى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها
صلاح الدين ووضعها على وجهه وقال بعضهم فيها

انى أجلب الريا * ح وبى يذهب الخجل
وحجاب اذا الحبيـ * ـب ثنى الرأس للقبل

(وأما مروحة الاديم) فانها على نوعين أحدهما مستديرة الا موضع النصاب
لاغير والآخرى مستديرة ثم يقطع ربع دائرتها التى تلى الوجه وفيها يقول
ابن خروف

ومروحة اذا ما تأملتها * ترى فلكا دائرا باليد
وتطوى وتنشر من حسنها * فتشبه قنزعة الهدهد

(وأما) مروحة الخيش فقد ذكرها الحريرى فى المقامات حيث قال اسمعوا وقيتم
الطيش ومليتم العيش (وانشد) ملغزا فى مروحة الخيش

وجارية فى سيرها مشمعلة * ولكن على أثر القفول تقولها
لها سائق من جنسها يستحثها * على انه فى الاحتثاث رسيلها
ترى فى أوان القيض تنطق بالندا * ويبدو اذا ولى المصيف تحولها

(قال الشريشى) فى شرح المقامات هذه المروحة تكون شبيه الشراع للسفينة
وتعلق فى سقف ويشد بها حبل تدير به مشيها وتبل بالماء وترش بماء الورد
فاذا أراد الرجل فى القائلة ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجئ
فيهب على الرجل منها نسيم بارد طيب الريح فيذهب عنه أذى الحر ويستطيب
وهى فوقه ذاهبة وجائية ولذلك سماها جارية ومشمعلة سريعة الذهاب
وقفولها رجوعها والسائق الشريط الذى يسوقها اذا جذبت به يستحثها يستعجلها

قوله أقرا هكذا وجد فى الاصل اه

قوله ومروحة الخ لا يخفى ما فى هذين البيتين من الكسر اه م ح

٢ القود الخيل أو التى تقاد بمقاودها كما فى القاموس اه

ومن جنسها أى هو من كان مثلها رسيلها أى يرسل معها الزاوية البيت وترجع معها أوان القيض وقت الصيف وتنطف تقطر وقحولها يبسها انتهى كلام الشريشى قال الشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة وهذه المروحة محدثة فى زمن بنى العباس وكان سبب حدوثها أن هرون الرشيد دخل يوما على أخته علية بنت المهدى فى قيض شديد فألفاها قد صبغت ثيابا من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف فجلس هرون قريبا من الثياب المنشورة فجعلت الريح تمر على الثياب فتحمل منها ريحا بليلة عطرة فوجد لذلك راحة من الحر واستطابة فأمر ان يصنع له فى مجلسه مثله على الوجه المشروح فى كلام الشريشى فاشتهرت واستعملها الناس ومن ملح ألغاز الصاحب بن عباد فيها قوله لابى العباس الحرث فى يوم قيض ما يقول الشيخ فى قلبه فلم يفهم عنه اراد فى قلب الشيخ وهو خيش (وقال السرى الرفاء)

وخيش كما نجرت ذيول غلائل * مصندلة تختال فيها الكواعب
وقد أطلعت فيها الشمائل وانثنت * مقبلة فى جانبيها الجبائب

(الباب الثانى عشر فى الطيور المسمعة)

(القول على الببغا) وهو طائر هندى وحبشى دمث الخلق ثاقب الفهم له قوة على حكاية الاصوات وتلقى التلقين تتخذه الملوك فى منازلهم لينم بما يقع فيها من الاخبار وفى لونه الاغبر والاخضر والاسود والاحمر والاصفر والابيض وقد أهديت لمعز الدولة هدية من اليمن فيها ببغا بيضاء سوداء المنقار والرجلين وعلى رأسها ذؤابة فستقية وكل هذه الالوان معدومة خلا الاخضر وفى طبع هذا الطائر ان يتناول طعمه برجليه كما يتناول الانسان الشئ بيده وله منقار معقف يكسر به الصلب وينتف به ما يعسر نقبه يتزاوج ويتعاشق ويسكن الذكر الى انثاه وله عفة فى مأكله ومشربه ومنكحه ليس بشره ولا أشر وهو بمثابة الانسان الظريف والناس يحتالون على تعليمه بان ينصب له تجاهه مرآة بحيث يرى خياله فيها ويتكلم الانسان من ورائها فيتوهم أن خياله فى المرآة وهو المتكلم فيأخذ نفسه بحكاية ما يسمعه من صوت الانسان (الوصف) كتب أبو اسحق الصابى الى أبى الفرج الببغاء أبياتا فى الببغاء منها (توفى الببغاء

سنة

سنة ثمان وتسعين وثلثمائة)

زارتك من بلادها البعيده * واستوطنت عندك كالقعيده
ضيف قراه الجوز والارز * والضيف فى أبياتنا يعز
تراه فى منقاره الخلوقى * كلؤلؤ نقط بالعقيق
ينظر من عينين كالفصين * فى النور والظلمة بصاصين
يميس فى حلته الخضراء * مثل الفتاة الغادة العذراء
خويدة حذورها الاقفاص * ليس لها من حبسها خلاص

فأجابه بابيات منها

وحسن منقار أشم قان * كأنما صيغ من المرجان
صيرها افرادها فى الجفس * بنطقها من فصحاء الانس
يحكى الذى تسمعه بلا كذب * من غير تغيير لجد أو لعب
ذات غشا تحسبه ياقوتا * لا يرتضى غير الارز قوتا
كأنما الحبة فى منقارها * حبابة تطفو على عقارها
أقدامها ببأسها الشديد * أوقعها فى قفص حديد

وهذه المذكورة تنمى فى هذه البلاد الدرة ومن ظريف ما سمعته فيها قول الشيخ الامام العالم النحوى المفنن زين الدين عمر بن المظفر أبى الفوارس الشهير بابن الوردى رحمه الله تعالى فبينما الطاوس مصغ الى الياسمين وهو على ما ساقه الذنب على ساقه حزين واذا بدرة خضراء لابل درة عذراء تقول أف لطاوس الطير من طاوس القراء أيها الطاوس الطريد المعكوس الشريد شغلك ظاهر الثياب عن باطن العيوب ان الله لا ينظر الى الثياب ولكن ينظر الى القلوب هلا شغلت بمداواة أمراضك عن بساتينك وغياضك ولم لا أفنيت عن ملبوسك وعجبك ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك شاركت آدم فى الخروج من الجنة والاسف عليها فشاركه فى التوبة والاستغفار والعودة اليها على أن آدم خرج من الجنة قهرا ليزرع فى الاولى ما يحصده فى الاخرى وأما أنا أيها الطاوس فانى رأيت نفوس البشر أشرف النفوس كرمهم الرب وفضلهم وخلق الموجودات لهم فشاركتهم نطقا ورزقا ونادمتهم وديم السعداء لا يشقى فسبحان من بيده الخير المؤلف بين البشر والطير ومن أعجب أحوالى ان الصمت

محمود أفعالى لانى طائر ضعيف ولا اقاس على البشر فى التكليف

غائب فى القلب حاضر * كاسر للصب جابر
أنا من خوف جفاه * واقع والقلب طائر
أنا بالمحبوب فخرى * فانتصب يا من يفاخر
أنا من جودة فكرى * عرفت باسمى الجواهر
ها أنا الدرة فاعرف * قيمتى ان كنت تاجر

(القول على القمرى) سمى بذلك لبياضه وحكاية صوته وهو يضحك كما يضحك الانسان ومن طبعه انه شديد المودة والرحمة أما مودته فانه يفرخ على فنن من أفنان شجرة كلها اعشاش لابناء جنسه يصاحبها كل يوم ولا يعتزل اعتزال الغراب وأما رحمته فانه يربى ولده ويعف عن انثاه مادام ولده صغيرا وهو يطاعم انثاه وتطاعمه ويظهر منه عليها وله وفيه من المروءة انه متى تزوج لا يبتغى بانثاه بدلا وله اعتناء بنفسه واعجاب بها ومن عادته انه يعمل عشه فى طرف فنن دائم الاهتزاز احترازا على فرخيه ليلا يسعى اليه من الحيوان الماشى ما يقتلها (الوصف) قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فيه

ما معنى رأيته * فى عداد المطير * كم له من مترجم * كم له من مشجر
كم له من كآبة * ظهرت بالتدبر * كم خواف له بدت * لا تتماح المبصر
كله معجم وان * زال بعض له قرى

(ذكرت) بقوله كم خواف له ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ونقلته من خطه المعز الاشرف المرحوم أوحد الدهر ونخبة العصر القاضى أمين الدين محمد الانصارى صاحب ديوان الانشاء بالشام المحروس من قصيدة امتدح بها المعز الصاحب المرحوم فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس ناظر الدولة الشريفة بالديار المصرية سامحه الله تعالى أولها

جفون من تأرقها دوامى * مدامعها تفيض على الدوام

ويقول فى آخرها

قوادمها ينرن ولسن عنه * خواف تحت أجنحة الظلام

(وقال الشيخ برهان الدين القيراطى)

تنفس الصبح فجاءت لنا * من نحوه الانفاس مسكيه

واطربت

وأطربت فى العود قمرية * وكيف لا تطرب عوديه

(وأنشدنى) سيدى القاضى شهاب الدين بن حجر فسح الله فى أجله من لفظه لنفسه بتاريخ ثالث عشر ربيع الاول من شهور عام اثنين وثمانمائة بالقاهرة المحروسة بمنزله عمره الله ببقائه بحارة بهاء الدين

تخيرت رسلا سرنا عندهم خفا * اليكم وتلك الرسل فهى الحمائم
اذا قدمت منى عليكم فيالها * خوافى سر حملتها قوادم

(وأما الفاخت) فهى عراقية وليست بحجازية وفيها فصاحة وحسن صوت وصوتها فى الحجازيات يشبه صوت المثلث وفى طبعها تأنس بالناس وتعشش بالدور وهذا الحيوان يعمر وقد ظهر منه ما عاش خمسا وعشرين سنة وما عاش أربعين سنة على ما حكاه أرسطو (الوصف) أنشدنى من لفظه لنفسه اجازة أوحد المتكلمين العالم المفنن فريد الدهر المرحوم القاضى أمين الدين الانصارى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس ملغزا فى فاختة

وما طائر يهوى الرياض تنزها * ويمرح فى أفنانها ويغرد
هجاء اسمه خمس حروف تعدها * وخمساه حرف ان تأملت مفرد
وبعدهما تحجيف باقيه ان ترد * بيانا له أفعى يبين ويشهد
وفيه أخ ان تهت عنه فأخته * تدل على ما قد عنيت وترشد

(قلت) أنشأت هذا اللغز الظريف التركيب للشيخ العلامة بقية السلف الصالح زين الدين أبى بكر بن عثمان الشهير بابن العجمى بمنزله بمدرسة السكاملية بشارع بين القصرين عند ارتحالى فى أوائل سنة خمس وتسعين وسبعمائة فأجاب بهذه الابيات

أيا من له مجد أثيل وسؤدد * غدا دون مرماه سماك وفرقد
تفيد يسار المقترين يمينه * ويسراه من يمنى الغمامة أجود
سؤالك عن أنثى طروب ولم تزل * على عودها فى الروض تشدو وتنشد
وتجذبنى بالطوق حين نشيدها * لنحو التصابى لا أطيق أفند
يطير بها نحو النجاح جناحها * فتبلغ ما تختار ثم وتقصد
وفى بطن انثى لم تصور وانما * تصورها من جنسها من يرفد
تذكرنى تذكارها أم هانئ * فتشرف فى نفسى اذا وتمجد

ومذبان منها الطرف أمست بعكسها * تخاف الردى ممن لها يترصد
وان حذفت ثانى الاخير فانه * على الحذف خاف بل يلوح ويشهد
وأولها مع مايليه وطرفها * لنافاه بالمعنى الذى منه يقصد
وحوفان منها فرد حرف لناطق * واف لمن للعكس من ذاك يجحد
وتفتح فاها حين يفقد ثالثا * وثالثه يخشاه من يتصيد
فخذه مبينا مغضيا عن اسائتى * فانك للاحسان أهل ومقصد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ * وفى مفرق الجوزا لواءك يعقد
ولازلت فى الدنيا سعيدا مملكا * وحظك فى الاخرى النعيم المخلد

٣ لم أر ذلك فى كتب اللغة فلعله تحريف فى الاصل اه

(وأما الشعين) وهو الذى تسميه العامة اليمام وصوته فى الترنم كصوت الرباب فى الاوتار صوتا محزونا جدا وهى متى اختلطت مع أصواتها غيرها حسنت وأما مفرده فلا لان الزأر مستحسن مع الغناء وغير مستحسن وحده وفى طبعه انه متى فقد انثاه لم يزل عن يأوى الى بعض فراخه حتى يموت وكذلك الانثى اذا فقدت الذكر وفى تركيبه انه اذا سمن سقط ريشه وامتنع من السفاد فهو لذلك لا يشبع نفسه وهو طائر ساكن جدا وقد ألهم انه يحترس من أعدائه بالسوسن يتخذه فى وكره (الوصف) ولنذكر الآن ما وقع للشعراء فى أصواتهن جملة لا تفصيلا فمن ذلك قول الحمام الحجازى (توفى مقتولا سنة اثنين وثلاثين وستمائة)

انى لا أعذر فى الاراك حمامة * الشادى كذلك تفعل العشاق
حكم الغرام الحجازى بأسرها * فغدت وفى أعناقها أطواق

(قال القاضى الفاضل)

لو كنت جاوبت الحمائم نائحا * قال الوشاة اذاع سرك بائحا
سر طائر اصدع الفؤاد بسحره * أتراه غرد صادعا أم صادحا
يا ضعف من أمسى الفريسة فى الهوى * وغدا الحمام له هنالك جارحا

(وقال المنارى)

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحا
شجى قلب الخلى فقيل غنى * وبرح بالشجى فقيل ناحا

(قلت) وبعد هذين أبيات فلا بأس بذكرها وان لم يكن مما نحن فيه

وكم للشوق فى أحشاء صب * اذا اندملت أجد لها اجراحا

ضعيف

ضعيف الصبر عنك وان تقاوى * وسكران الفؤاد وان تصاحا
كذاك بنو الهوى سكرى صحاة * كأحداق المهى مرضى صحاحا

(قلت) ولهذه الابيات حكاية غريبة نقلتها من خط الحافظ اليعمورى (ولد سنة ستمائة وتوفى سنة اثنين وسبعين وستمائة) روى أن أبا نصر المنارى المذكور واسمه أحمد بن يوسف دخل على أبى العلاء المعرى وهو فى الشام فى جماعة من الادباء فأنشده كل واحد من شعره ما تيسر حتى أنشده المنارى أبياتا له فى وصف واد وهى

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحة فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظماء زلالا * أرق من المدامة للنديم
يصد الشمس أنا واجهتنا * ويحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

(فقال أبو العلاء) أنت أشعر من بالشام ثم رحل الى بغداد فدخل المنارى عليه فى جماعة من أهلها من الادباء وأبو العلاء لا يعرف منهم أحدا فأنشده كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنارى فأنشده نفسه الابيات المتقدمة (فقال) أبو العلاء ومن بالعراق اشارة الى قوله من بالشام (توفى المنارى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة) وقال الشيخ صفى الدين الحلى

وبشرت بوفاة الليل ساجعة * كأنها فى غدير الصبح قد سبحت
مخضوبة الكف لا تنفك نائحة * كأن افراخها فى كفها ذبحت

(وقال) محيى الدين بن عبد الظاهر

نسب الناس للحمامة حزنا * وأراها فى الحزن ليست كذلك
خضبت كفها وطوقت الجيد وغنت وما الحزين كذلك

(وقال) جمال الدين محمد بن نباتة

مالى نديم سوى ورقاء ساجعة * من بعد مغتبقى فيكم ومصطبحى
اذا أدار ادكار الوصل لى قدحا * من أحمر الدمع غنانى على قدحى

(وله)

ناجتك من مغنى دمشق حمائم * فى دف أشجار تشوق بلطفها

فاذا أشار لها النديم بلطفه * غنت عليه بجنكها وبدفها

(وقال) علاء الدين الوداعى

وفى أسانيد الاراك حافظ * للعهد يروى صبره عن عاقمه
وكلما ناحت به حمامة * روى حديث دمعه عن عكرمه

(وقال) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * بالواديين فنبهت أشواقى
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن * يعقوب والاحسان عن اسحاق
قامت تطارحنى الغرام جهالة * من دون صحبى بالحمى ورفاقى
انا تبارينى جوى وصبابة * وكآبة وأسى وفيض مآقى
وأنا الذى أملى الهوى عن خاطرى * وهى التى تملى من الاوراق

(وقال) ناصح الدين الارجانى (ولد سنة ستين وأربعمائة وتوفى سنة أربعين وخمسمائة)

من كل أخطب مسكى الاهاب له * فى منبر الايك تسجاع وتهدار
خطيب خطب وقد أفنى السوادنبه * فمن بقيته فى الجيد ازوار

(قلت) وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى

مذ غنت الورق على عيدانها * كم خلع الجو عليها من ملح
تدرعت سحبا وخاضت شفقا * وطوقت أعناقها قوس قزح

(وقال) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

ذات طوق وذات ريق تغنى * فتثنى بالوجد من ليس يدرى
زيقت ثم كاشفتنا فقلنا * لك زيق وزيق بالقمر
ماتراها قد حدثت خاطر النهـ * ـر بما قد يجرى وما منه يجرى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه سيدى وأخى تقى الدين أبى بكر بن حجة

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * دمعى تلون بعد فرقة حبه
لكن بتلوين الدموع تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

(وقال) الشيخ بدر الدين بن الصاحب

ناحت حمام البان أم تاهت أسى * لم أدر ما غناؤها من شوقها
عجماء لا تظهر حرفا من شجى * لانها مخنوقة بطوقها

(وقال

(وقال أيضا)

وذات طوق على الاغصان تذكرنى * قوام حسنك فى ضمى لمعتنقك
قد سودت مهجتى نوحا فقلت له * سواد قلبى يا ورقاء فى عنقك

(وقال) الامير مجير الدين بن تميم

لم أنس قول الورق وهى حبيسة * والعيش منها قد أقام منغصا
قد كنت ألبس أخضرا من أغصن * فلبست منها بعد ذاك مقفصا

(وقال الامير) سيف الدين المشد فى قفص

أنا للطائر سجن * اقتنى كل مليح
قضب البان ضلوعى * وحمام الايك روحى

(وله على لسان الطائر)

ياغصون البان ماذا * بلغ الاحباب عنى
ماشجاهم طول نوحى * ما كفاهم فرط حزنى
حبسونى عن مطارى * لا معنى ولفنن
غيرانى كنت مهما * يشرب الراح أغنى

(ولمؤلفه) لطف الله به من قصيدة

حمام الايك أسعدنى * فانى حلف تبريح
وحزنى حزن يعقوب * فأبكى الصب أو نوحى

(وأما الديك) فما ورد فيه ان النبى صلى الله وسلم قال الديك الابيض صديقى وعدو عدوى الله يحرس دار صاحبه وسبع دور حوله وكان ببيته معه وزعم أهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (قيل) والفرخ يخلق من البياض والصفرة غذاؤه وقيل ليس فى الدنيا أبخل من أهل مرو حتى ان الديك ينزع الحبة من أفواه الدجاج مع ان العادة خلاف ذلك وكأن ماء مرو يقضى ذلك فيسرى فى جميع حيوانها (كان مروان) ابن أبى حفصة من أبخل الناس مع يساره وما أصابه من الخلفاء لاسيما من بنى العباس فانه كان رسمه ان يعطوه لكل بيت يمدحهم به ألف درهم (قال دعبل) كنت عنده فى بعض الايام أنا وجماعة فأخذنا فى الحديث وطال المجلس حتى أضر به الجوع فدعا بغداء فأتى بصحيفة فيها مرق فيها لحم ديك قدهرم لا تجز فيه السكين

ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ قطعة من خبز فمسابها جميع المرق وفقد رأس الديك فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه الى الغلام فقال له أين الرأس فقال رميت به قال ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك والله انى لامقت من يرمى برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه عيناه التى يضرب بها المثل فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجب لوجع الركبة فان كان بلغ من جهلك ان لا تأكله فعندنا من يأكله فانظر أين هو قال والله لا أدرى أين رميت به فقال لكن أنا أدرى أين رميت به فى بطنك وكان أيضا لا يأكل اللحم حتى يجوع فاذا جاع أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له لاتراك تأكل الا الرؤوس فى الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الرأس أعرف سعره فلا يستطيع الغلام ان يخوننى فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان يأكل منه ان مس عينا أو أخذ أذنا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا شتى آكل عينيه لونا وأذنيه لونا ودماغه لونا ولسانه لونا فقد اجتمعت لى فيه مرافق (نادرة) قال أبو حاتم الاصمعى قدمت بغداد فدخلت مسجدا يحضره جماعة فسألنى بعضهم عن قوله تعالى قوا أنفسكم ما يقول للواحد قلت ق قال فالاثنين قلت قيا قال فللجماعة قلت قوا قال فاجمع الثلاثة قلت ق قيا قوا وفى ناحية المسجد جماعة فمضوا الى صاحب الشرطة فقالوا له ان هنا قوما زنادقة يفسرون القرآن على صياح الديك فاشعرنا الا باعوان فأحضرونا بين يديه فأعلمته ماسئلت فعنفنى وأمر بضرب أصحابى عشرة عشرة (وما أحسن) قول بعضهم فيه

قد قلت شعرا مليحا * فسره لى يا مليكى
أكلت ديكا وديكا * وليس لى غير ديك

(وقال) ابن المعتز فيه (مولده سنة سبع وأربعين ومائتين ووفاته سنة ست وتسعين ومائتين)

بشر بالصبح طائر هيفا * مسترقيا للجدار مشترفا
مذكرا بالصبوح صاح نبا * كمخاطب فوق منبر وقفا
صفق اما ارتياحة لسنا الصبح وأما على الدجى أسفا

(ولله أبو على) ابن رشيق (توفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة) حيث مزق عنه جلباب

المادح

المادح وتركه من شمل الذم فى الزى الفاضح فانه قال

قام بلا عقل ولا دين * يخاط تصفيقا بتأذين
فنبه الاحباب من نومهم * ليخرجوا فى غير ماحين
بصرخة تبعث موتى الكرى * فرأذكرن نفخ سرافين
كأنها فى خلقه عضة * أعصه الله ببكين

(وقال الشيخ) زين الدين بن الوردى من رسالة منطق الطير فصاح الديك ها أنا أنا ديك أنا قد أذنت فأقم الصلاة أنت هذا أوان صف الاقدام ووضع الحياه ومن أحسن قولا ممن دعى الى الله كم أوقظك وبانقضاء الاوقات أعظك فأشفق عليك بصياحى وأرفرف عليك بجناحى أقسم لك الوظائف بلاحساب وأعرف المواقيت بغير الاصطرلاب أنهاكم عن معصية الله بخروج الوقت فلا تعصوه والله بقدر الليل والنهار علم ان تعصوه فمن ادعى حسن الصحبة فليؤثر كاشتارى ولا يختص من رفاقه بحبه كم منحت أهل الدار اخائى ووليتهم ولائى وهم يذبحون أبنائى ويستحيون نسائى

(الباب الثالث عشر فى الشطرنج والنرد وما فيهما من محاسن مجموعة)

(قال) الشيخ شمس الدين بن خلكان فى تاريخه رأيت خلقا كثيرا يعتقدون ان الصولى هو واضع الشطرنج وهو غلط وانما واضعه صصه بصادين مهملتين أحدهما مكسورة والثانية مشددة مفتوحة وفى آخرها ساكنة وأذ شير بن بابك أول ملوك الفرس الاخيرة هو الذى وضع النرد ولذلك قيل النرد شير نسبوه اليه وازدشير لفظ عجمى تفسيره بالعربى دقيق وحليب فأزد دقيق وشير حليب وقيل دقيق وحلاوة وقيل هو بالزاى لا بالراى وضعه مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر والفصوص مثل الافلاك وريمها مثل ثقلها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش ويقابله اليك والبنج ويقابله الجو والجهار ويقابله الما وجعل ما يأتى به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر والجهار تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش لكنه اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى

وكيف يتحيل على الغلب وقهر خصمه مع الوقوف عند ما حكمت به النصوص ولما تم وضعه واشتهرت افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذ بلهيت فوضع له صصه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله على النرد ولما عرضه على الملك وأوضح له أمره سأله ان يتمنى عليه عدد تضعيف بيوته قمحا فاستصغر الملك ذلك من همته وأنكر عليه ما قابله من النزر القليل فى ذلك (فقال) له ما أريد غير ذلك فأمره بذلك فلما حسب أرباب الديوان ذلك قالوا للملك ما عندنا ما يقارب القليل منه فأنكر ذلك فاوضحوه له بالبرهان فاعجبه الامر الثانى أكثر من الاول قال القاضى شمس الدين بن خلكان ولقد كان فى نفسى حزازة من هذه المبالغة حتى اجتمع بى بعض حساب الاسكندرية وذكر لى طريقا بينى لى ما ذكروه وأحضر لى ورقة بصحة ذلك وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فانبت اثنين وثلاثين ألف وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال نجعل هذه الجملة مقدارة قدح وقد عبرتها فكان الامر كما ذكروه والعهدة عليه فى هذا النقل ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه وبية ثم انتقل من الويبات الى الاردب ولم يزل يضعفها حتى انتهى فى البيت الاربعين الى مائة الف اردب وأربعة وسبعين الف اردب وسبعمائة اثنين وستين أردبا وثلثى أردب وقال فى هذا المقدار شونة ثم ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة الفا وأربعة وعشرين شونة ثم قال هذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر ألف مدينة وثلثمائة وأربعا وثمانين مدينة وقال يعلم انه ليس فى الدنيا مدن أكثر من هذا العدد انتهى (قال) أبو عبد الله محمد بن الاكفانى اذا جمع هذا هرما واحدا مكعبا كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك وارتفاعه كذلك بالميل الذى هو أربعة آلاف ذراع بالعمل الذى هو ثلاثة أشبار معتدلة على ان الاردب المصرى مساحته ذراع مكعب وزنه مائتان وأربعون رطلا وكل رطل مائة وأربعة وأربعون درهما والدرهم أربعة وستون حبة من القمح (قال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد ذكر عنده الشطرنج انى لاعجب من ذراع فى ذراع يدبرها الحكماء مذ وضعت لم يتفقوا لها على غاية قيل سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا

يروا

يروا القتال فاذا تنازعوا فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال (ذمها) ذكر الصولى فى كتابه كتاب شعراء مصر أن خوسان الشاعر كان حاذقا بلعب الشطرنج فعابها الحسين الجمل مكائدة له فقال صاحبها أبدا مشغول بهموم يحالف بالله كاذبا ويعتذر مبطلا ويشتم نفسه ويسخط ربه وكل صناعة يجوز المكاثرة فيها غيرها فان صاحبها يغلب فى ساعة فيقضى دعواه وهو لعب الصائم اذا جاع والعامل اذا عزل والمخمور حتى يفيق وانما يهزم خشب خشبا ثم ان الرجل يسأل عن غلامه فيقال له هو يلعب فيضربه ولا يستحى ان يقول قم حتى نلعب وهو يلاعبه وان تقول فى الكاس ما أحذقه وفى الطنبور ما أضربه واذا اعترف عن الشطرنج قلت ما ألعبه فما يقول فى صناعة العبارة عن الكاس أحسن من العبارة عن صاحبها قال الجاحظ سمعت النظام يقول فى الشطرنج غنيان عجزا عن الادب فتلاعبا بالخشب دخل أبو العبيس على أبى تمام وهو يلعب بالشطرنج وكان وسخا فقال ما أوسخ هذا الشطرنج فقال أبو تمام واللعب أوسخ (نادرة) حكى ان بعضهم كان اذا لعب الشطرنج ضارب خصمه فوصف لبعض الظرفاء فقال أنا ألتزم اللعب معه وما يحصل بيننا ضراب فلما أتى به ولعبا قال له فى أثناء اللعب شاه استر فقال مليح والله القرنان أنت والقواد أنت فقال يا أخى ما الذى قلت لك قال قلت استر وهى اشتر وما يشتر الا الجمل والجمل تصحيفه حمل والحمل اسم نجم فى السماء يقارب الجدى والجدى كبش والكبش القرنان والقرنان هو الذى يقود فقال يا أخى ما رأيت من يضارب بتصحيف وتفسير الا أنت (نادرة) سأل بعض الاكابر انسانا فقال تعرف اللعب بالشطرنج فقال لا والله يا مولانا ولكن لى أخ اسمه عز الدولة وهو أخى لامى أكبرنى بسنتين وأكبر شئ يسير كان قد حصل بينى وبينه خصومة غاظته فسافر من مدة عشرة أعوام وسكن مدينة قوص وبلغنى انه فتح له دكان عطر والى الآن ما ورد على المملوك منه كتاب وهو أيضا ما يعرف يلعب الشطرنج (ومشى) البيدق البريدى مع شاب موسوم بالجمال فقال شمس الدين المنجم الشاعر أراك يا بيدق تفرز حول هذا النفس فقال له واذا كان ذلك فقال أخشى عليك من ذلك الرخ لا يقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس ويقطع عليك الرقعة ولو كان فى كفيك الفيل يشير بقوله ذلك الرخ الى أحد الاعيان كان

يحب الشاب المذكور (نادرة) بعض الاجناد كان كثيرا يلعب الشطرنج مع مخدومه وكان الجندى خليعا فأعطاه الامير فرسا وقال له لا تفرط فيها قال نعم وبعد ذلك القاه راجلا وهو لابس جوخه قال ويلك أين الفرس فقال ياسيدى ضربنى الشتاشاه مات سترت بالفرس وما أحسن قول القاضى الفاضل يصف حصار قلعة وجثا المنجنيق يحاكمها واسان حبله يخاصمها والخادم تحت المنجنيق الاسلامى يعرض وجهه للمنجنيق الفرنجى ونقل قطع الستائر نقل قطع الشطرنجى جنب التراس بيادق والجناب رخاخ وجنب القلاع صيد والمنجنيقات فخاخ (وقال) الشيخ جمال الدين ابن نباتة وظرف

قوله وما أحسن الخ هذا ما وجدناه بالاصل فنقلناه بحروفه اه

أشكوا السقام وتشكو مثله امرأتى * فنحن فى الفرش والاعضاء نرتجح
نقسان والعظم فى نطع يجمعنا * كأننا نحن فى التمثيل شطرنج

وله ملغزا فيه

وما صامت يمضى ويرجع حائرا * ويقضى على أوصاله الوصل والصد
كأن الاسى آلى عليه اليمة * فخافيه الا النفس والعظم والجلد
وأحرفه خمس على ان شطره * ثلاثة أخماس الحروف التى تبدو

(وله فيمن يلعب غائبا)

ولاعب يعرب شطرنجه * عن ذهنه المتقد الصائب
يغيب لكن ذهنه حاكم * ياحبذا من حاكم غائب

(وله)

لله فى الشطرنج فكرة لاعب * ان غاب أو حضرا جتنيت حدائقه
شكرته نفس اللعب أو نفس النهى * هاتيك صامتة وهذى ناطقه

(وقال الشيخ) بدر الدين بن الصاحب

تأمل تر الشطرنج كالدهر دولة * نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما
محركها باق ويفنى جميعها * وبعد الفناتحيى وتبعث أعظما

(قلت) وهذا يشبه قول القاضى الفاضل وقد أخرج له السلطان الملك الناصر صلاح الدين من القصر من يعانى خيال الظل ليفرجه فقام الفاضل فقال له صلاح الدين ان كان حراما فما نحضره وكان حديث عهد بخدمته قبل ان يلى السلطنة فما أثر انه يتكدر عليه فقعد الى آخره فلما انقضى ذلك قال له السلطان

كيف رأيت ذلك فقال موعظة عظيمة رأيت دولا تمضى ما كأنها كانت ودولا تأتى ولما طوى الازار طى السجل للكتاب اذا بالمحرك واحد فأخرج هذا الجد فى هذا الهزل (وللشيخ) بدر الدين أيضا مضمنا

أميل لشطرنج أهل النهى * وأسلوه من ناقل الباطل
وكم هذبت طبع لاعبها * وتأبى الطباع على الناقل

(وقال)

لعبت بالشطرنج فى غاية * تقصر الاوصاف عن حدها
ان صاح فى الاقران لى بيدق * تموت منه الشاة فى جلدها

(وقال) أيضا وكان يلعبها غائبا وله يد طولى فيها

لى فى الشطرنج نقل * أتقن الادمان حفظه
ألعب الغائب منها * فأراه طيف يقظه

(وكتب) الى شيخنا العلامة عز الدين الموصلى من حماه المحروسة كتابا وفيه من المتجددات قوله مضمنا

جاهل شطرنج ينادى وقد * أمات نفس اللعب من عكسه
ما تفعل الاعداء فى أحمق * ما يفعل الجاهل فى نفسه

(وقال) جمال الدين ابن نباتة

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * فى شكله معانى الحسن أشتاتا
عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخد فيه لقتل النفس شامات

(وقال) صلاح الدين الصفدى

ألاعب بالشطرنج بدر ملاحة * محاسنه تزهى على طلعة الشمس
سترت ضناجسمى فلما رأيته * يروم قطاعى خفت منه على نفسى

(وقال) زين الدين بن الوردى

لاعبت بالشطرنج من * أضحى كشمس طالعه
نفسى به ماتت وما * تحيى نى المقاطعه

(ومن) الاستشهادات اللطيفة ما أنشده الشيخ نور الدين على بن سعد المعرى صاحب المرقص والمطرب وغيره وقد رأى شخصا يلعب الشطرنج ويضرب بالرقعة القطع ضربا عنيفا (فقال)

رفقا بهن فما خلقن حديدا * أوماتراها أعظما وجلودا

(قلت) وهذا البيت أول قصيدة للشريف البياضي في وصف النوق ولقد أجاد نور الدين رحمه الله تعالى وعلى ذكر نور الدين فما أحسن ما كتب به الى القاهرة المحروسة سيدنا ومولانا الفاضل المؤرخ المحدث المفتن شهاب الدين أحمد بن القاضي نور الدين علي الشهير بابن حجر (مولده سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة) نفسح الله في أجله وذلك من بعض متجدداته

مولاي نور الدين صبحك الهنا * بسعادة تبقى لديك سرورها
لاتحتجب عن مقلتي فأنا امرء * ان لم تكن عيني فانك نورها

(ونقلت) من خط الشيخ بدر الدين ابي المحاسن محمد بن ابراهيم البشتكي أحد فضلاء الديار المصرية وبقية متأخريها سلمه الله تعالى في القاء العاشر من الشطرنج على قاعدة الحكاية المشهورة ولم أعلم الضابط في هذه الاعداد جميعها له أم لغيره وأنسيت ان أسأله

موت عدوي يزين حزمي * والحق سيف به قتالي (القاء التاسع)
ولما فتنت بلحظ له * عذرت فخفت من شامت (القاء الثامن)
أبثك يا عزشوقي لعل * تمني بعطف به راحتي (القاء السابع)
ياملبح بت شاكي بثه * ومجرق ظلوم لشكي (القاء السادس)
ان كان في صدك قتلي فقد * أنالني فقد أحبابي (القاء الخامس)
تنكر في حبه جائرا * فبات وفوه بيث الحرق (القاء الرابع)
وفاتن منظره فتنة * ليس يرى حرف الجفا عاشقة

اللام ألف بحرف واحد قال المنقول من خطه أنشدني من لفظه لنفسه صاحبنا جلال الدين بن خطيب داريا سلمه الله تعالى في القاء الثالث

بك يا خير منجد يجب الغـ * ـنى اذ اقيل أي حر تصيد

(وقال) القاضي السعيد بن سنا الملك

ويوم مطير قد ترنم رعده * وصفق لما أحس القطر في الرقص
ورقعة ماء تحت برد فواقع * وأفق عليه البرق يلعب بالقص

(وقال) الشيخ شمس الدين بن الصائغ (ولد سنة عشر وسبعمائة وتوفي سنة ست وسبعين وسبعمائة)

لما غدا بدر الدجى لاعبا * بالنرد يلقى الفص مثل الشرك
وفاق في الحسن وفي لعبه * ناديت يالله ما أقـ * ـدرك

(وقال) زين الدين بن الوردي

مهفهف لعبا * بالنرد أنثى وذكر
قالت أنا قمرية * قلت اسكتي فهو قمر

(ولبعضهم) يورى باعداد النرد

ساعدني جاري على شادن * أعطيته خمسا بقدار
فما أتى اليك من بكه * الا بهذا البيض والمجار

في القاء الخامس من قطع النرد من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدي

لاتبك ان هب ريح نجد * انك يا بئس ما بليت (اللام الف حرفان)

(وله) في القاء السابع

قد رد شاني بكل شين * عدمت في ذا صلاح خبري

(الباب الرابع عشر في الشمعة والفانوس والسراج)

من رسالة للامام ضياء الدين محمد بن نصر الله الجزري المعروف بابن الاثير (مولده سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة سبع وثلاثين وستمائة) وكان بين يدي شمعة تم مجلسي بالاتيناس وتغني بوجودها عن كثرة الجلاس وينطق لسان حالها انها أحد طائفة من مجالسة الناس ولا الاسرار عندها بملفوظه ولا السقطات لديها بمحفوظه وكانت الريح تلعب بلهبها وتخلف على شعبة بشعبها فطورا تقيمه قصيرا أنمله وطورا تمله فتصير سلسله وتارة تجوفه فتصير مدهنه وتارة تجعله ذا ورقات فيتمثل سوسنه وآونة تنشره فتصير منديلا وآونة تلفه على رأسها فيستدير اكليلا ولقد تأملتها فوجدت نسبتها الى الفص العسلي وقدها قد العسال وبها يضرب المثل للحكيم غيران لسانها لسان الجهال ومذهبها مذهب الهنود في احراق نفسها بالنار وهي شبيهة بالعاشق في انهمال الدمع واستمرار السهر وشدة الاصفرار وكل ذا تجدد لها بعد فراق أخيها ودارها والموت في فراق الاخ والدار وقد نزع هذا المنزع في رسالة أخرى (فقال) وذلك ان لها قدا ألفي القوام مشبها في نحوله و فراره بحال

المستهام وهى والقلم شيآن فى انهما اذا قطع رأسهما صحا بعد السقام ومن عجيب شأنها ان روحها تحيى بفناء جسمها وبالارواح تكون حياة الاجسام وقد وصفها قوم بان لها خلقا كريما فى رعاية حقوق الاخوان وان بكاها ليس الا لمفارقة اخيها الذى خرجت معه من بطن ونشأت معه فى مكان وهذا الوصف من الطف أوصافها وهو مما يزيد الاحباب وجدا بأحبابها ويهيج الآلاف شوقا الى آلافها وكانت الريح تلعب بلهبها الذى الخادم فتساطه هلالا فتارة تبرزه نجما وتارة تبرزه هلالا ولربما سطع طورا كالجلنارة فى تضاعف أوراقها وطورا كالاصابع فى انضمامها وافتراقها وآونة تأخذه فتلقيه على رأسها كالقناع ثم ترفعه عنها حتى تكاد تزاوله بذلك الارتفاع ثم قال بعد ذلك كلاما ليس فيه تشبيه فكما كانت الريح تلاعب بالشمعة فتنقلها من مثال الى مثال كذلك الشوق يلعب بالقلب فينقله من حال الى حال وهذا الوصف وان مدباعه لمعانقة الابداع وأودع اسرار المعانى فى صدور الالفاظ فصانها بالايداع مأخوذ من موضعين احدهما من قصيدة الارجانى والآخر من كلام ابى محمد عبد الله ابن أبى الخصال فانه مذكور فى آخر هذا الباب عند ذكر السراج أما قصيدة الارجانى فهى

غمت باسرار صبيح كان يخفيها * وأطلعت قلبها للناس من فيها
قلب لها لم يرعنا وهو مكتمن * الا برقيه نار من تراقيها
سفيهة لم يزل طول اللسان لها * فى الحى يجنى عليها ضرب هاديها
غريقة فى دموع وهى تحرقها * انفاسها بدوام من تلظيها
تنفست نفس المهجور فادكرت * عهد الخليط فبات الوجد يبكيها
يخشى عليها الردى مهما ألم بها * نسيم ريح اذا وافى يحييها
بدت كنجم هوى فى أثر عقربة * فى لارض فاشتعلت منها نواصيها
نجم رأى الارض أولى ان يبوئها * من السماء فأمسى طوع أهليها
كأنها غرة قد سال سادخها * فى وجه دهماء يزهيها مجليها
أو ضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما جبهت قامت تحاكيها
وحيدة وهى مثل الرمح هازمة * عساكر الليل ان حلت بواديها
ما طنبت قط فى أرض مخيمة * الا وأقسر للابصار داجيها

قوله سادخها لم نر معناه فى القاموس وفيه فى باب الجيم انسدج انكب على وجهه فلعله من هذه المادة اه

لها

لها غرائب تبدو من محاسنها * اذا تفكرت يوما فى معانيها
فالوجنة الورد الافى تناولها * والقامة الغصن الافى تثنيها
قد أثمرت وردة حمراء طالعة * تجنى على الكف ان أهويت تجنيها
ورد تشاك به الايدى اذا قطفت * وما على غصنها شوك يوقيها
صفر غلائلها حمر عمائمها * سود ذوائبها بيض لياليها
كصعدة فى حشا الظلماء طاعنة * تسقى أسافلها ريا أعاليها
وصيغة است منها قاضيا وطرا * ان أنت لم تكسها تاجا يحليها
صفراء هندية فى اللون ان نعتت * والقد فى اللين ان أتممت تشبيها
ما ان تراك تبيت الليل لاهنه * وما بها علة فى الصدر تصميها
تحيى الليالى نورا وهى تقتلها * بئس الجزاء لعمر الله يجزيها
ورهاء لم يبد للابصار لابسها * يوما ولم يحتجب عنهن عاريها
قدت على قد ثوب قد تبطنها * ولم يقدر عليها الثوب كاسيها
غراء فرعاء ما تنفك قالية * تقص لمتها طورا وتقليها
شيباء شعثاء لا تكسى غدائرها * لون الشبيبة الا حين تبليها
فتاة ظلماء ما ينفك ثاكلها * سنانها طول طعن أو بشظيها
مفتوحة العين تفنى ليلها سهرا * نعم وافناؤها اياه يفنيها
وربما نال من أطرافها مرض * لم يشف منه بغير القطع شافيها

(وقال القاضى الفاضل)

ولما أراد الليل ينظر وجهه * تقدم ان يذكى له الشمع أعينا
وما هى الا أعين وجفونها * دجاها وانسان السعود نهارنا
رياض دجى فتحن عند وقودها * أزاهر نار ترتكب الشمع أغصنا
عجبت لروض منه بالنار يزدهى * والازهر منه بالعين يجتنى
فتكن الدجى والنور فيض دمائها * اذا النار نصل والشموع لها قنا

(وقال فيها)

بكت مثل ما أبكى وفاضت دموعها * ولم تفش أسرارا كفيض دموعى
اشارة مظلوم وعبرة عاشق * ووقفة مأمور ولون مروع
أقامت الى نحر الظلام أسنة * فلم تلقها الا بخلع دروع

وقال أيضا

والشمع فوق البحر تحسب انه * من لجة قد اطلع المرجان
والماء درع والشموع أسنة * ولها اذا خفق النسيم طعان

وقال محمد بن على الوزير حاجب النعمان

وطفلة كالرمح شاهدتها * سنانها من ذهب قد طبع
دموعها تنهل فى نحرها * ورأسها يحيى اذا ما قطع

وقال آخر وأجاد

اذا مرضت طال منها اللسا * ن ومد المداوى اليها يدا
ويقطع من رأسها الجلنا * ر فيرجع أهليلجا اسودا

(وقال) ابن خفاجة (ومولده سنة خمسين واربعمائة ووفاته سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة)

وصعدة لبست سربال مشتهر * بالحب منغمس فى الدمع والحرق
مازال يطعن صدر الليل يهدمها * حتى بدا سائلا منه دم الشفق

وقال آخر وأغرب

وباكية من غير حزن بأدمع * تذوب بها أحشاؤها حين تهمل
دموعا اذا اردت اليها بكت بها * ولم أر دمعا غيره رد فى المقل

(وقال) سيف الدين المشد

ولم أر مثل شمعتنا عروسا * تجلت فى الدجى ما بين جمع
كأن عقود أدمعها عليها * سلاسل فضة أو قضب طلع

(وقال) محاسن الشوا (مولده سنة اثنين وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة خمس وثلاثين وستمائة)

حكتنى وقد أودى بى السقم شمعة * وان كنت صبادونها متوجعا
ضنا وسهادا واصفرارا وزفرة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

وقال نور الدين ابن سعيد

ومجلس انس زينته مراشف * تزيد لنا وصلا اذا ما قطعناها
اذا طعنت صدر الظلام برمحها * تردبسيف الصبح منها فأفناها

الشيخ زين الدين ابن الوردى

ممشوقة مثل صدر الرمح عارية * قد توجت بنظير الكوكب السارى
تبكى اذا ضحكت جلاسها فرحا * فالقوم فى جنة والشمع فى نار

(وقال) ابن الجلال وأجاد الى الغاية توفى سنة ست وخمسين وخمسمائة

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

(مجير الدين ابن تميم) وقد طفئت شمعة بمجلس فزارهم ملهج عقيب طفيها

وبخطفة أوقدتها جنح ليلة * وقذار من أهوى وتم بها النهى
فأطفأتها اذا أشرقت شمس وجهه * ومن سفه ان يوقد الشمع فى الشمس

(وقال ابراهيم المعمار)

لاتنور فى مقامى * شمعة من غير حاجه
قد كفانا طلعة البد * ر ومصباح الزجاجه

ولما أنشدتهما للامير شهاب الدين الحاجى قال لى لم لا قلت

أطفئوا اذا الشمع عنا * مالنا بالشمع حاجه

(فقال ابراهيم) أردت مقامى وهذا فى غاية الظرافه (علاء الدين الوداعى) وقد أهدى شمعه

يامن ببعادهم أسا الدهر الى * والآن فقد أنعم بالقرب على
قد أظلمت الاشواق طرفى فلذا * قدمت اليكم شمعة بين يدى

البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى فى مليح يقط الشمع

وذى قوام أهيف * بين الندا ما قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبى قط

قوله فى طوافه هكذا فى الاصل فلتفهم

سيف الدين المشد لغزا فى طوافه

لينة الاعطاف لا * ينكر فضل قدرها
حياتها فى طيها * وموتها فى نشرها

(وقال ناصر الدين بن شافع) فى وصفها (مولده سنة تسع وأربعين وستمائة وتوفى سنة ثلاثين وسبعمائة) وشمعة قد استتم نبتها فى روض الانس حتى نور * ولا نمى بدوحة المفاكهة حتى أزهر * أوما بنان تبلجها الى طرق الهداية وأشار ودل

على نهج التبصر وكيف لا وهى علم فى راسه نار * كانما هى قلم امتد بماء ليق من ذهب أو صعدة الا أن سنانها ذهب وحسبها كرما ان جادت بنفسها وأعلنت بامتناعها على همود حسها سايلها فى الجود باثالها مسول ودمعها بالعفو للصفو من سماحتها مطلول تحيتها عموا صبا حايتألق فجرها وتمام بدرها فى أوائل شهرها قد جمعت من ماء دمعها ونار توقدها بين نقيضين ومن حسن تأثرها وعين تبصرها بين الاثر والعين (وقال محيي الدين) ابن عبد الظاهر فى عين ماشق ريحى الدجى عن ترائبه جميا ونشر الظلام ظفائره وقد اشتعل رأسه من النجوم شيبا فى ضوء شمعة نشرت على الورق رداء الاصيل وأخفت من الدجى سواد جفنه الكحيل وسترت ذوائبه فى معصفر أبهج من وجنتى بثينة لولا أنها فى صفرة وجه جميل (وكتب) الاديب الفاضل الكامل شرف الدين عيسى ابن حجاج العالية أحد شعراء العصر بالديار المصرية أبقاه الله تعالى الى الوزير العلامة فخر الدين ابن مكانس تغمده الله بالرحمة (يقبل) الارض التى شافه ترابها المواطئ الفخريه فزاد اعجابا وقال المسك يا ليتنى كنت ترابا وينهى انه أقبل على المطالعة والباقى من العشر ليال خمس واستهدى بنجوم فوائدها حين قامت الشمعة بوظيفة الشمس واستدعى اعوانا من السهر فتخازلت عنه اعوانه وخشى من غلبة النوم فتغلب عليه سلطانه ولما أغفى على وجه الكتاب لعبت الشمعة بلسانها وتناولت طرف شاشه بيد نيرانها فهب المملوك وأخمدها ما تصاعد من الانفاس وقابلها على حرق الشاش بقطع الراس

انى جلست بشمعة موقودة * لاطالع الاسفار للتسبيح
فتناولت شاشى أوائل نارها * وتمكنت منه بمر الريح
من قبل حرق الشاش كنت مطالعا * فى الكتب صرت مطالعا فى الروح

وقد توسلت بهذه الرسالة المدونة فى باب المنظوم والمنثور ومددت يد سؤلى الى طلبى ساشا مقصورا وأرجو ان يجمع لى بين الممدود والمقصور أبقاك الله للاولياء الذين يحبون وجودك ويستطرون كرمك وجودك (وقال) بجير الدين ابن تميم وقد مر بدار بعض أصحابه ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها من داره

لما

لما أزرتك شمعتى لتنيرها * جاءت تحدث عن سراجك بالعجب
وافتك حاسرة فقبل رأسها * فاعادها نحوى بتاج من ذهب

(حكى) ان بجير الدين الخياط الدمشقى كان يتعشق غلاما من أولاد الجند فشرب فى بعض الليالى وسكر فوقع فى الطريق فمر الغلام عليه وهو راكب فرآه فى الليل مطروحا فوقف عليه بالشمعة ونزل فأقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقطة على خده ففتح عينيه فرأى الغلام على رأسه فاستيقظ من سكرته وأنشد مرتجلا

يا محرقا بالنار وجه محبه * مهلا فان مدامعى تطفيه
احرق بها جسدى وكل جوارحى * واحذر على قلبى فانك فيه

(وأما الفانوس) فمن أحسن ما سمع فيه قول بجير الدين بن تميم

انظر الى الفانوس تلقى متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه لتحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

(وقال)

أبدا اعتذارا لنا الفانوس حين بدا * فى حالة من هواه ليس ينكرها
رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه * نار الجوى فغدا بالثوب يسترها

(وقال الوجيه المناوى)

كأنما الليل وفانوسنا * يجلو دجى الظلمة للحمس
لجة بحر قد طما موجه * تسبح فيه كرة الشمس

(وقال) شهاب الدين بن أبى حجلة مضمنا

وكأنما الفانوس نجم نير * منع الظلام من الهجوم طلوعه
أو عاشق أجرى الدموع بحرقة * من حر نار قد حوته ضلوعه

(وله مضمنا أيضا)

أنا فى الدجى ألقى الهوى وبهجتى * حرق يذوب بها الفؤاد جميعه
فكأننى فى الليل صب مدنف * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

(وله فيه مضمنا)

يحكى سنا الفانوس من بعدلنا * برقا أتى موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

(وله)

أنا في مقام الناصر السلطان لا * أشكو الى محبوب قلبي مابي
فاصبر كصبري في الهوى ولانني * متجلد والنار تحت ثيابي

(مجير الدين) ابن تميم تضمين

يقول لها الفانوس لما بدت له * وفي قلبه نار من الغيظ تسعر
خذي يدي ثما كشفي الثوب تنظري * ضناجسدي لكنني أتستر

وأما السراج وما قيل فيه فمنه قول ابن أبي الخصال

عذرا اليك أعزك الله فاني حطت والنوم معازل والعز منازل والريح يلعب بالسراج ويصول عليه صولة الحجاج وطورا يسدده سنانا وطورا يحركه لسانا وآونة يطوي جنابه وأخرى ينشره ذؤابه ويقيمه ابرة لهب ويعطفه برة ذهب أوجمة عقرب وتقوسه حاجب فتارة ذات غمرات ويتسلط على سليطه ويزيله عن خليطه ويخالفه نجما ويعيده رجما وتسل روحه من ذباله ويعيده الى حاله وربما نصبته اذن جواد ومصحته حدق جراد ومشقته حاطف برق بكف ودق ولثمه سناه قنديله ولفت على أعطافه منديله فلاحظ منه للعين ولاهداية في الطرس لليدين (قال) شرف الدين التيفاشي رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول لي تحفظ في السراج والمسرجة فانشدته قول ابن الرومي

وحية في رأسها درة * تسبح في بحر قصير المدا
اذا تولت فالعمى حاضر * وان تجلت بان طرق الهدى

(فقال) لي هذا في الذباله وأنا سألتك في السراج والمسرجة فانشدته قول الصنوبري

ان سراجا نوره ظلمة * كأنما يوقد في قلبي
الحب أضناني فما باله * يفتي وما يشكو جوى الحب

(فقال) هذا في السراج وأنا سألتك في السراج والمسرجة فصمت فقال أراك سكت فقلت له ما تحفظ فيهما أنت فانشد

مسرجة تسرج من فوقها * ذبالة في جوف مصباح
كأنها مسرجة فوقها * تفاحة في غصن تفاح

فاستيقظت

فاستيقظت وأنا أحفظهما قال شهاب الدين بن أبي حجلة وهذا التشبيه في المسرجة جيد في مسارج العرب فان مسرجتهم قضيب أملس أشبه شئ بغصن التفاح (قلت) لايخفى ما في هذين البيتين من الحسن وجودة التركيب في قوله في البيت الاول مسرجة ثم في الثاني كأنها مسرجة وقوله تفاحة في غصن تفاح وما أعرف لهما شبيها الا قول ابن وزير في الحمام حكي ان ابن قزمان ابن وزير أبي بكر صاحب الازجال المشهورة قام من مجلس أنس فمال على السراج فأطفأه فقال في الحال

يا أهل ذا المجلس السامي سرادقه * ما مات لكنني مالت بي الراح
فان أكن مطفئا مصباح بيتكم * فكل من حل فيكم فيه مصباح

(قال) القاضي كمال الدين بن العديم (مولده سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة تسع وخمسين وستمائة) في تاريخ حلب ان القاضي شمس الدين بن خلكان الاربلي (مولده سنة ثمان وستمائة ووفاته سنة احدى وثمانين وستمائة) قدم حلب وتفقه على مذهب الشافعي وأنشدني لنفسه ما غزا في السراج

أيها العالم الذي * صار حبرا ممارسا
والذي موضحاته * يجتليها عرائسا
أي شئ ترى الورى * جمعهم منه قابسا
ان في المعرب نصفه * حيثما كان كانسا
ثم صحف تمامه * تلق خلا مؤانسا
واحذفن منه ثالثا * تنظرن فيه فارسا
من يصحفه عاكسا * يلق في الليل حارسا

(وما أحسن) قول القاضي الفاضل يعتذر عن كتاب كتبه الى بعض أصحابه ليلا كتبها الملوك ليلا وقد عشت عين السراج وشابت له الدواة وكل خاطر السكين وخرس لسان القلم وضاق صدر الورقة فاذا وقف سيدنا على هذا الكتاب فليقف على بيمارستان وليقل الباذنجان من هذا ولا يقل هذا من الباذنجان

(وقال) ابن تميم في سراج يوقد من سراج

أعلمتم ياقوم أن سراجنا * أمسى وفيه فضيلة لا تكتم

يأتى أخوه اليه حاسر رأسه * فيعيده فى الحال وهو معمم

(نادرة) اتفق ان أبا الحسين الجزار قام مرة الى بيت الخلاء فناوله السراج الوراق شمعة فقال الجزار ما عادتى أقضى الشغل الا على السراج (وما أظرف)

(قول زين الدين ابن الوردى)

لى صاحب واسمه سراج * ما قر لى عنده قرار
لسانه محرق لقلبى * ان لسان السراج نار

ومن أكثر من ذكر السراج الاديب الفاضل الكامل سراج الدين عمر الوراق حتى انه قيل له لولا لقبك راح نصف شعرك فمن ذلك قوله

اذا بحت بالشكوى عتبت معاشرا * بلا راحة فى مدحهم أتعبوا ذهنى
يريدون نى رطب اللسان ومن رأى * سراجا غدا رطب اللسان بلا دهن

(وقوله) يتقاضى زنجبيلا

مولاى بدر الدين أنت من المكارم تاجها
ولديك بغيتى كل نفس آملك وحاجها
ولنور وجهك فى الفضا ئل قد أقر سراجها
أنسيت سورة هل أتى * ونسيت كان مزاجها

(وقوله)

أقول فى يوم شتاء به * من سحبه ما خلف النيلا
خرجت من بيتى سراجا وقد * عدت بحمد الله قنديلا

(وقوله)

سبق السراج الى امتدا * حك كل من يتقدمه
وسنانك مسرجة لبا * بك والمهابة تلجمه
لكن توقد ذهنه * ما كل شئ يفحمه

(وقوله)

كم قطع الجود من لسان * قلد فى نظمه النحورا
وها أنا شاعر سراج * فاقطع لسانى أزدك نورا

(وقوله)

بنى اقتدى بالكتاب العزيز * فراح لبرى سعيا وراجا

فما قال لى أف مذ كان لى * لكونى أبا ولكونى سراجا

(وقوله)

أثنى على الانام انى * لم أهج خلقا ولو هجانى
فقلت لا خير فى سراج * ان لم يكن ذاك فى اللسان

(وقوله)

قلبى لديك وطرفى طال بعدهما * عنى فلى أبدا سهد وتذكار
ولست متهما قول السراج اذا * ما قال من حرق فى قلبى النار

(وقوله)

بكتبك راح لى أملى وقصدى * وفى يدك النجاح لكل راجى
ولولا أنت لم ترفع منارى * ولا عرف الورى قدر السراج

(وقوله) وقد اجتمع ببدر الدين بيليك وشمس الدين سنقر

لما رأيت البدر والشمس معا * قد انجلت دونهما الدياجى
حقرت نفسى ومضيت هاربا * وقلت ماذا موضع السراج

(وقوله) يمدح ضياء الدين

أمولانا ضياء الدين دم لى * وعش فبقاه مولانا بقائى
فلولا أنت ما أغنيت شيأ * وهل يغنى السراج بلا ضياء

(وقوله)

شعيرتى مذ مدت قد حجبت * شخصك عنى وكان مأنوسا
فالحمد لله زادنى شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

(وقوله)

الهى قد جاوزت سبعين حجة * فشكر النعماك التى ليس تنكر
وعمرت فى الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعمم نور الشيب رأسى وسرنى * وماساءنى ان السراج منور

(وقوله)

طوت الزيارة اذ رأت * عصر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالمجاره
وبقيت أهرب وهى تسـ * ـأل جارة من بعد جاره

وتقول ياستى استرحنا لاسراج ولا مناره

(وقال فيه) بعض شعراء عصره والسراج عمر على المنارية وقد دكاولو لم تمسه نار

(حكى) انه جهز غلاما ليبتاع له زيتا طيبا يأكل به لقتا فأحضره وقلبه على اللفت فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام وأخذه وجاء الى البياع وقال لم تفعل مثل هذا بنا فقال والله ياسيدى مالى ذنب الا انه قال لى اعطنى زيتا للسراج

(وحكى) عنه أيضا انه دعى الى زفة فقالوا له صيحتها أيش كان حالك ياسراج الدين البارحة فقال أيش حال سراج بين ألف مشعل (ومثلها) ماحكاه لى الوزير المرحوم فخر الدين بن مكانس عن صاحبه سراج الدين القوصى انه كان حصل له طلوع فى جسده فتردد اليه المزين فقال أيش حال سراج فيه سبع فتائل (وأنشدنى) لنفسه يداعب المذكور وكان سكندرى الاصل

ياذا السراج اشترا برى فانت به * أولى وذلك للامر الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ماقام وانتصبا

(وما أحسن قول بعضهم) * ومتى أظلم خطب عمر الله السراجا *

(فصل فى القنديل) قال شمس الدين محمد بن العفيف

صفا باطنى صرفا كمارق ظاهرى * وناجيت فتيانا من الشرب أكياسا
اذا نهضوا كنت الرفيق لهم اذا * وان جلسوا أمسيت فى الوسط جلاسا

(ولآخر)

وقنديل كان الضوء فيه * سناوجه الحبيب اذا تجلا
أشار الى الدجى بلسان افعى * فشمر ذيله هربا وولى

(ولآخر)

وشادن مرّ والقنديل فى يده * مابيننا وظلام الليل معتكر
كأنه فلك والماء فيه سما * والنار شمس به والحامل القمر

(وله)

عجبت لقنديل تضمن قلبه * زلالا ونارا فى دجى الليل تشعل
وأعجب من ذا انه طول عمره * يجن عليه الليل وهو مسلسل

*(الباب

(الباب الخامس عشر فى الخضراوات والرياحين)

(الورد) كان المتوكل يقول أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين فكل منا أولى بصاحبه وكان قدوم الورد على جميع الناس واستبدبه وقال لا يصلح للعامة فكان لا يرى الورد الا فى مجلسه وكان أيام الورد لا يلبس الا الثياب الموردة ويفرش الفرش الموردة ويورد جميع الآلات (ورفع) الى المأمون ان حائكا يعمل سته كلها لا يتعطل فى عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا * مادام للورد أزهار وأنوار
فاشرب مع ندمائه غنى

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
ولا يزال فى صبوح وغبوق مابقيت وردة فاذا انقضى الورد عاد الى عمله وغرد بصوت عال

فان يبقنى ربى الى الورد أصطبح * وندمان صدق حاكة ونبيط

(فقال) المأمون لقد نظر الى الورد بعين جليلة فينبغى ان نعينه على هذه المروءة فأمر ان يدفع له كل سنة عشرة آلاف درهم (وقال) ابراهيم الخواص اذا جاءت أيام الورد أمرضنى على بكثرة من يعصى الله تعالى فيه جلس روح بن حاتم أميرا فريقية يوما فى منظرة له ومعه جارية من جواريه فدخل الخادم بقادوس فيه ورد أحمر وأبيض فى غير أوان الورد فاستظرفه وسأل الخادم عن أمره فأخبره ان رجلا أتى به هدية فأمر ان يملأ له القادوس دراهم فقالت له الجارية ما أنصفته قال ولم قالت أتى بلونين أحمر وأبيض فلونه له فأمر ان يخلط دنانير ودراهم فخلط ودفع اليه ويقال ان كسرى مر بوردة ساقطة فقال أضاع الله من أضاعك (خواصه) بارد يابس فى الدرجة الاولى يابس فى آخر الدرجة الثانية نافع لصاحب المرة الصفرا ومن به حرارة حريقة مسكن للصداع المتولد منها ضار لصاحب المزاج البارد مهيج لعطاسه مزعج للدماغه ومرياه بالسكر والعسل ينفع من البلغم وماؤه المصعد منه بارد رطب نافع من سائر أوجاع الدماغ الحادة ومن الاورام الجارة نقلتها من النور المجتبى من رياض الندماء

تأليف الحكيم الفاضل الاديب المعروف بالعنبرى وبابن الحلى ذكره الفاضل المؤرخ موفق الدين بن أبى أصيبعة فى تاريخ الاطباء وأثنى عليه الثناء البالغ وعلى مصنفه المذكور قلت وهذا الكتاب رتبه على فصول السنة كل فصل يشتمل على أربعين بابا عديم النظير قليل الوجود *(القول فى استخراجه فى غير أوانه)* قال صاحب المباهج من أحرق السداب فى أصول شجر الورد حتى يرتفع وجه الاحراق الى الشجر فى أى وقت كان من السنة التى تورد شجرة الورد فيه وردت بعد أيام وردا غضا ومتى جمع الرماد التى أحرق وخلط بتراب ونبش أصل الشجرة التى أحرق ذلك فى أصولها وطمر الرماد ثم سقيت الماء فى الوقت وسقيت بعد ذلك على العادة كان ماذكرناه أيضا (الحيلة فى ان يبقى الورد السنة كلها فى الفلاحة الرومية) يؤخذ ذر ورد الذى لم يفتح بعد فتملأ به جرة فخار جديدة وتطين رأسها تطيينا محكما لا يتخلله الهواء ويدفن فى الارض فانك تخرج منها الورد متى شئت الى آخر السنة كهيئته حين أدخلته فيها فرش عليه ماء ويترك فى الهواء فانه يفتح ورد اطريا كالذى يقطف من شجره (وفى كتاب الخواص) ان الورد الاحمر اذا بخر بالكبريت أبيض واذا بخر نصف الوردة صار نصفها أبيض ونصفها أحمر والورد الاحمر اذا بخر بالنورة المطفية أبيض واذا صب فى الشتاء فى أصول شجر الورد ماء حار عند كل غداة انفطر قبل انفطار الورد (غرائب من هذا النبات) حكى صاحب نشوار المحاضرة انه رأى وردا أصفر واستغرب ذلك وقد رأيناه كثيرا الا انه امتاز بكونه عدو ورق وردة فكانت ألف ورقة ورأى وردا اسود حالك اللون له رائحة ذكية ورأى بالبصرة وردة نصفها أحمر قانى الحمرة ونصفها الآخر ناصع البياض والورقة التى قد وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم قال صاحب المباهج وحكى لى بعض أصحابى انه رأى وردا بدمشق له وجهان أحد الوجهين أحمر والآخر أبيض لا يشوب أحدهما شئ من الآخر وأخبرت أن بحلب وردا أحد وجهى الورقة أحمر والآخر أصفر وأما الورد الازرق فقد حكى لى بعض أصحابى ان رجلا أخبره انه رأى اكارا يجرى الى شجرة الورد ماء مخلوطا بالنيل قال فسألته عن ذلك فقال ان الورد يكون أزرق بهذا العمل والظاهر من الاسود انه احتيل عليه كذلك (وذكر) ابن قتيبة ان بالهند شجرا يخرج ورداعليه كتابة تقرأ لا اله الا الله (وحدث) ان منقذ لما عاد من المغرب

وكان

وكان قد توجه اليه رسولا من صلاح الدين ان فى مراكش وردا كل وردة من الثمانين ورقة الى المائة ورقة (الوصف) والتشبيه قال بعضهم وصدق

للورد عندى محل * ورتبة لا تمل
كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل

(وقال) آخر وظرف

كتب الورد الينا * فى قراطيس الخدود
يا بنى اللهو صلونى * قد دنا وقت ورودى

(ولبعضهم) فى باكورة ورد

ودونك ياسيدى وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

(وقال) على بن الجهم فى صباته

لم يضحك الورد الا حين أعجبه * حسن الرياض وصوت الطائر الغرد
لا عذب الله الا من يعذبه * بسمع بارد أو صاحب نكد

(وفيه مجازفة)

يعز على بأن يشمك ساقط * أو ان تراك نواظر البخلاء

(وقال) محمد بن عفيف التلمسانى

قامت حروب الدهر ما * بين الرياض السندسيه
وأتت بأجمعها لتغـ * ـزو روضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لان الورد شوكته قويه

(ولطف) الشيخ زين الدين ابن الوردى فى قوله موريا باسمه

مهفهف القد اذا ما انثنى * قال ولا يخشى من الرد
ما أنت حلى يا كثيب اللوى * ولست ياغصن النقا قدى
لو نلت من خديه تقبيلة * تزين الريحان بالورد

(ما أحقه) بقول القائل شاكر نفسه يقرئك السلام (قلت) أحسن من بيته الثانى ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ونقلته من خط المرحوم فخر الدين بن مكانس من أبيات

اسمر ان عاين غصن البان * قال استقم فأنت ذو ألوان

يثنيك فى الدوح النسيم الوانى * وليس لى فى قامتى من ثانى
* فلا تقايسنى فلست قدى *

(رجع) وقال أبو الوليد بن الحنان الشاطبى (مولده سنة خمس عشرة وستمائة ووفاته سنة خمس وسبعين وستمائة)

فوق خد الورد دمع * من عيون الحب تذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ماشال يخفف

(وقال) برهان الدين القيراطى

ان للروح فى دمشق لمأوى * ذا قرار وذا معين وربوه
وبروضاتها بساتين ورد * لى بأزرارها صبابة عروه

(وقال) بعضهم وأصاب

كم وردة تحمى بسيف الورد * طليعة تشرعت من جند
قد ضمها فى الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

ومن أحسن ما استعمل أوصاف الورد فى اعتذاره من الاصغاء الى كلام العذول مجد الدين النسائى الاربلى (مولده سنة اثنين وثمانين وخمسمائة وتوفى فى سنة ست وستمائة) شعر

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملالى
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذالى

المرى الرفا يصف وردا أبيض قال

بدا أبيض الورد الجنى كأنما * تبسم للناسى بمسك وكافورى
كأن اصفرارا منه تحت بياضه * برادة تبر فى مداهن بلورى

ولبعضهم فى الورد الاسود

لله اسود ورد ظل يلحظنا * من الرياض بأحداق اليعافير
كأنما وجنات الريح نقطها * كف الامام بانصاف الدنانير

ولآخر فيه

وورد اسود خلناه لما * تنشق نشره ملك الزمان
مداهن عنبر غض وفيها * بقايا من سحيق الزعفران

وقال مجير الدين بن تميم مضمنا

لم أنس قول الورد حين جنيته * والنار لاستقطاره تتسعر
ناشدتكم نفسى خذوه وانما * لا تعجلوا فى قبض روحى واصبروا

(من رسالة) كتبها الجناب المجدى فضل الله ابن المرحوم فخر الدين عبد الرحمن ابن مكانس الى سيدنا ومولانا أقضى القضاه بدر الدين محمد ابن أبى بكر عمر المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى أسبغ الله عليه ظلاله ملغزا فى ورد وكان سيدنا بدر الدين قد كتب اليه قبل الغزا فى قدح خله وكتب اليه هذا اللغز ونقلته من خطه وهو ما عاطل تتحلى به المجالس ويتفكه فيه المجالس تحمر وجناته من الشرب وتحمد آثاره فى البعد والقرب ان قلبته رأيت تاجا وان تركته على حاله زادك ابتهاجا يعذب بالنار وغيره الجانى ويريك ان بدلت أوله برد الامانى يستخرج وهو داخل ويرى دمعه من نار قلبه هاطل لا يبرح به فى غبطه ولا تجد فيه مع انهماله نقطه ان حذفت أوله وحرفت باقيه وجدته أمرا بالشراب وان فعلت كذلك فى ثانيه رأيت ما بقى يؤكد للمحبة بين الاصحاب وور ان حذفت أخيره كمن ورا وغص فى بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج درا وقد سطره ليحصل له من نظر المخدوم طرفا ويصير له فى الالغاز شرفا والمملوك يسأل الصفح والامتنان ويبسط العذر فى هذا المذيان فانه لولا المحبة ما أجاب ولا طرق بعد فقد أبيه هذه الابواب ولا عارض بجدوله البحر العباب فان بضاعته فى هذا الفن مزجاه وهم أبيه غطى على حجاه والله المسؤل ان يلطف برجته ويحسن عاقبته فى دنياه وآخرته ويمتع مولانا بزناد ذهنه الوارى ويطلعه وبنيه فى سماء الفضل حتى يهتدى بالنجوم والدرارى بمنه وكرمه (فكتب) الجواب سيدنا بدر الدين (وينهى) ورود الجواب الذى شفى الصدور وروده واللغز الذى نسى بورده بان الحماوز رورده فوجده روض بلاغة عدم العابث والعائب وترعرع زهره حيث أمطرته من أنامل المخدوم خمس سحائب وتمسكت أذيال أنفاسه بالرواية عن أبى الطيب وجاد فكر مولانا على خده طرسه بالعارض الصيب فلو شاهده ابن الوردى لاحمر خجلا أو صاحب زهر الآداب لتلون وجلا ثم تأمل حل اللغز فرآه قد كشف المشكل وجلا واعترف بانه لم يمر بذوقه أطيب من ذلك الحل ولا احلا وتحقق ان مولانا أوسعه فى مقام الادب بفضله ايناسا وتناول منه قدحا فأعاده

بألفاظه المسكرة كاسا وانتهى المملوك الى اللغز المخدومي فقال

مولاى مجد الدين يامن فضله * يروى وجود كفه يروى الصدا
ألغزت فى اسم عاطل حليته * منك بدر اللفظ أو قطر الندا
ان ورد التحريف فى أبياته * كان لشانيك هلاكا وردا

وقال أيضا

لله لغزك يامولى فضائله * قد عطر الاكوان منها طيب أنفاس
أتى بورد خبانى على قدحى * به وأبهجنى ما بين جلاسى
وقد أسى جرح كسرى حين أقبل لى * روحى الفداء لذاك الورد والآسى

فاستجلى المملوك بالتحريف ورده وودلو اقتطف من أغصان حروفه ورده فرده ذل القصور عاريا من ملابس عزه وأنشده قول ابن قلاقس وقد تقلى بنار عجزه

اذا منعتك أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فراج عليه بهرج هذا الرأى الكاسد وأقتنع بالشم على رغم أنف الحاسد وعلم ان هذا الورد لا يحسن من غير تلك الخضره وان هذه الفاكهة لا يخرجها الا أغصان أقلام لها بندى الراحه المخدومية بهجة ونضره ومشى نظر المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحقيقه ورأى منه كل وردة وأحب الوجنات الحمر فتحير أهى وردة أم شقيقة وتفكر معجبا بثمار غرسه منشدا لمن كرر النظر فى صفحة طرسه

ان كنت تزعم مافى خده عجب * قم فانظر الورد فى خديه منثورا

فلقد ظفرت من نفسه بالعنبر الورد وعوذته عند تبديل الثلاثه بالواحد الفرد وتأملت بفتور قريحتى نكتة بردا لامانى وانعقد لسانى بسحر هذا البيان ونفثات تلك المعانى وتيقنت انه لا يقوى لفهم هذا البرد الا كل حديد النظر ووجدت تصحيف هذه الكلمة ياشمس الفضائل للعقول قروعلمت ان الفكر لا يجارى من بديهيته من بحار الفضل رويه وان الخاطر الذى هو من ضعفة رعايا الادب لا يقوى على سلطان هذا اللغز لان شوكته قويه وقلت للذهن رد بعضه لتنهز شرابا سائغا وزد تصحيفه ليكون فى التعريف بمعناه مبالغا وتمتعت من ورده الوارد بالمشموم ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم فاستقطر البين ماء الورد فى حدقى ولولا انى المنة فى الصفح عن مقابلة الدر بالسقط

وتم هجر

وتم هجر بهذا الخشف الملتقط وله الفضل فى اجابة المملوك الى ما سأله أولا من الاتحاف بما تيسر من آداب المقر الفخرى الوالد نور الله ضريحه وتعاهد بعهاد الرحمة روحه بمنه وكرمه (ولبعضهم) فى الورد التجانبى

ووردة جمعت لونين خلتهما * خدى حبيب وخدى هائم عشقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وظرف من قال كأنه وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بدينار انظر الى هذا وجنة وحبيب ودينار واين هذا من قول ابن الرومى (مولده سنة احدى وعشرين ومائتين ووفاته سنة أربع وثمانين وسبعمائة)

كأنه سرم بغل حين سكرجه * بعد البراز وباقى الروث فى وسطه

(ونقلت) من خط شيخنا شمس الدين محمد ابن محمد بن محمد الشهير بابن سمندبار الذهبى لنفسه

اذا الربيع جيشت أزهاره * فورده ذو الشوكة السلطان

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه ارتجالا الشيخ الاديب الفاضل بقية المتأخرين شمس الدين محمد بن بركة الرئيس فسح الله فى مدته

شاب ورد الرياض من * ورد خديك وانفرك
فله الناس اثبتوا * وانتفى الورد للكرك

(النرجس) قال أبقراط كل شئ يغدو الجسم والنرجس يغدو العقل وقال جالينوس من كان له رغيف فليجعل نصفه فى النرجس فانه راع الدماغ ولدماغ راعى العقل ويروى عن على كرم الله وجهه أنه قال تشمموا النرجس ولو فى اليوم مرة فانه فى القلب داء لا يبرئه الا شم النرجس وقال الحسن بن سهل من أدمن شم النرجس فى الشتاء أمن من البرسام فى الصيف وكان كسرى أنوشروان مغرما بالنرجس ويقول هو ياقوت أصفر بين درر أبيض على زمرد أخضر (وقال) انى لاستحيى أن أباضع فى مجلس فيه النرجس لانه أشبه شئ بالعيون الناظرة ومن هنا أخذ من قال

غضى جفونك ياعيون النرجس * لعسى أفوز بنظرة من مؤنسى
فلقد تصير اذا رأتك شواخصا * ترو بنه بلواحظ المتغرس
حتى كأنك لن ترى قر الدجا * بين الاجبة طالعا فى مجلس

كتابخانه موزه و مركز اسناد مجلس شوراى اسلامى تاسيس ١٣٠٢ هجرى شمسى

(نادرة) تحدث رجل مع خاطبة فى ان تخطب له امرأة يتزوجها فقالت له عندى امراة كأنها طاقة نرجس فتاقت نفس الرجل اليها فتزوجها فلما زفت اليه وكشف القناع لقى عجوزا مكمشة الوجه بيضاء الشعر دقيقة الساقين صفراء الوجه مخضرة الساقين بالشعر فلم يقربها وعاد باللوم على الخاطبة وقال لها كذبتينى وغريتينى فقالت له ما كذبتك ولا غررتك وانما أنت رجل جاهل قلت لك عندى امرأة كأنها طاقة نرجس فرغبت فيها وما هى طاقة النرجس الا هكذا (خواصه) حار يابس ينفع من سائر أوجاع العصب من برد وكذلك النسرين ويصدع النرجس الرؤس الحارة وفعلهما أقل من فعل الياسمين وينفعان من وجع الارحام من برد ويفتح سدد الدماغ وينفع من الصداع البارد الرطب والسوداوى ودهنه ينفع من أوجاع المفاصل انتهى كلام ابن المحلى فى النور (وقال) صاحب المباهج خاصيته للنفع من الاوجاع الباردة الكائنة فى الرحم أصله يدمل القروح وينفع من أوجاع المفاصل واذا سحق أصله وخلط بدقيق واغتسل به نقى أوساخ البدن والقروح واذا تضمد به فجر الاورام والدملات وهذا الفعل موجود فى أصله وزهره ورائحته مقوية للدماغ مفتحة للسدد طاردة لما فى بطونه من الارياح واذا أديم شمه نفع من الصداع الكائن من بخار البلغم ومن الرطوبة المحتقنة فيما بين أعشية الدماغ وان اتخذ منه شمامة مستديرة فى شكل الرمانة ورش عليها شئ من ماء الورد المسك وبخرت بالند الرفيع أو العود الرطب والزعفران الشعر الطرى أكسبها البخور بذلك نفعا عظيما وان شوى بصله فى النار أو فى الرماد وقشر وسحق فى الهاون وسكب عليه شئ من دهن الخبرى وأغلى بالدهن عليه وضمد به على الخنازير والجراحات الفجه الجاسته والدماميل الصلبة ألانها وفجرها (وفى كتب الخواص) قال هرمس اذا وضعت طاقات النرجس التى لم تفتح بعد فى ماء البقم حتى ينفتح فيه أبدل من بياض أوراقه حمرة شديدة وبقيت على حالها (الفلاحة) النبطية ان أوفق ما غرس بصل النرجس فى الارض التى أقام الماء فيها عشرة أيام أو عشرين يوما ثم نضب الماء عنها وجف وبقى فيها شئ من الندواة يسير فليحفر فى همة الارض حفايير عمقها قدم أو أقل ويجعل البصلة فيها ويغطى بالتراب ويكبس فوقه التراب كبسا جيدا فاذا ابتدأ يطلع منه

شئ

شئ يسير فيسقى سقية خفيفة ويتعاهد كذلك حتى يكمل ورده (ومن) أراد ان يجعل العين منه مضاعفا فيأخذ بصلة سمينة فيشق وسطها ويغرس فيها سن ثوم غير مقشرة ويغرقها فى البصلة ويطمر البصلة فى التراب فانها تحمل نرجسا مضاعفا (غريبة) ذكرها صاحب المباهج من أخذ من بصل النرجس بصلة كبيرة وأخذ شها بالمسلة من ذهب خالص ثم غرز البصلة برأس المسلة باليد اليسرى ثم يدور المسلك فى الموضع الذى يريد ان يغرس فيه تلك البصلة خمس دورات وهو يضحك أو يتضاحك ثم يغرسها فى مقطع الدورة الخامسة فان تلك البصلة تحمل نرجسا أحمر مثل الشقيق طيب الريح جدا وصفة غرسه كما يفعل بغيره ومن أراد أن يكون النرجس فى غير أوانه فليحرق السداب مع شئ فى قشور الجوز على منابت أصله فانه يسرع اخراج ورقه (الوصف) وقال ابن الرومى

نجلت خدود الورد من تفضيله * نجلا يورد عليه شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه * الا وناصله الفصيلة عائد
للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية ان هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
شتان بين اثنين هذا موعد * بتصرم الدنيا وهذا واعد
فاذا احتفظت به فامنع صاحبا * بجنابه لو أن حيا خالد
يلهى النديم عن النديم بلحظه * وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعيشك فى الملاح سميه * أبدا فانك لا محالة واجد
والورد ان فتشت فى فرد اسمه * ما فى الملاح له سمى واحد
هذى النجوم هى التى ربتهما * بحيا السحاب كما يربى الوالد
فانظر الى الاخوين من ادناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين العيون من الخدود نعاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد

(وناقضه) أحمد بن يونس الكاتب فقال

يا من يشبه نرجسا بنواظر * دعج تنبه ان فهمك راقد
اين القياس ولم يصح قياسه * بين العيون وبينه متباعد
والورد أشبهه بالخدود حكاية * فعلام تجحد فضله يا جاحد

ملك قصير عمره متأهل * لخلوده لو أن حيا خالد
ان قلت ان الورد فرد فى اسمه * ما فى الملاح له سمى واحد
فالشمس تفرد فى اسمها والمشترى * والبدر يشرك فى اسمه وعطارد
أوقلت ان كوا كبا ربتهما * بحيا السحاب كما يربى الوالد
قلنا أحقهما بطبع أبيه فى السجدوى هو الزاكى النجيب الراشد
زهر النجوم تروقنا بضيائها * ولها منافع بعد ذا وعوائد
وكذلك الورد الانيق يروقنا * وله فضائل خمسة وفوائد
وخليفة ان عاب آب بنفحة * ونسيمه أبدا مقيم راكد
ان كنت تنكر ماذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

(وقال) سعيد ابن هاشم الخالدى بفضل النوعين

أيحب النرجس البلدى ودى * ومالى باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوق وانى * أرى التفضيل بينهما حماقه
هما فى عسكر الازهار هذا * مقدمة يسير وذاك ساقه

(وقال أبو العلاء المعرى الشروى) يهجو النرجس

انظر الى نرجس تبدت * صبحا لعينيك منه طاقه
واكتب اسامى مشبهيه * بالعين فى دفتر الحماقه
كرانة ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

(وقال) ابن الشبلى البغدادى فيهما

ونرجس قابل فى مجلس * ودرغلا فى نعته الناعت
فذا يخجل من لحظ ذا * وطرف ذا فى وجه ذا باهت

(وقال) منصور الهروى يصف مع البنفسج

قرن الزمان الى البنفسج نرجسا * متبرجا فى حلة الاعجاب
نكد ودعشاق غدت ملطومة * نظرت اليها أعين الاحباب

(لما دخل) الاديب الفاضل المؤرخ الرحال نور الدين على بن سعيد الى القاهرة المحروسة صنع له أدباؤها صيغا فى بعض منتزهاتها وانتهت بهم الفرجة الى روض نرجس وكان فيهم أبو الحسين الجزار فجعل يدوس النرجس برجليه فقال

ناصر الدين حسن ابن النقيب

ياواطئ النرجس ماتستحى * ان تطئ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت ورام وا اجازته فقال زكى الدين ابن أبى الاصبع

فقال دعنى لم أزل محنقا * على لحاظ الرشاء الاكحل

ثم أبوا أن يجيزه غيره أعنى بن سعيد فقال

قابل جفونا يجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

ثم استدعاه ابن سابق الى مجلس على النيل مبسوط بالورد وقد قامت به شمامة نرجس فقال فى ذلك

من فضل النرجس فهو الذى * يرضى بحكم الورد اذير أس
أماترى الورد غداقاعدا * وقام فى خدمته النرجس

(وقال) مجد الدين ابن مجنون خطيب النيرب وقد أهدى نرجسا

لما تحجبت عن طرفى وارقنى * بعدولم تحظ عينى منك بالنظر
أرسلت مشبهها من نرجس عطر * كيما أراك باحداق من الزهر

(وقال) صفى الدين الحلى رحمه الله تعالى

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الىّ وللاغمام حولى الماء
أيارب حتى فى الحدائق أعين * علينا وحتى فى الرياحين غمام

وما أحسن قول بديع المجنوى رحمه الله تعالى

وكأن نرجسه المضاعف خائض * فى الماء لف ثيابه فى رأسه

(وأظرف) من قال

يغض من فرط الحياطرفه * ما أحسن الغض من النرجس

ونقلت من خط المرحوم فخر الدين ابن مكانس لنفسه

بعدك شمس الدين ياماجرى * من أدمع الطل بخد الشقيق
والنرجس الغض غداشاخصا * فلا تخلى عنه للطريق

زاد على البيتين المتقدمين وأجاد

ليس جلوس الورد فى مجلس * قام به نرجسه يوكس
وانما الورد غدا باسطا * خدا لبغى فوقه النرجس

قول أمين الدين الجوتان توفى سنة ثلاث وستين وستمائة

نفش غض البان أذنابه * وماس عند الصبح زهوا وفاح
وقال هل فى الروض مثلى وقد * تعزى الى غصنى قدود الملاح
فحدق النرجس يهزوبه * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
بل أنت بالطول تحامقت يا * مقصوف عجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه * ماهذه الا عيون وقاح

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه ارتجالا لا بحضورى ونحن نتنزه بجزيرة الفيل وقد مررنا بقطعة نرجس نسقى سيدنا المقر المجدى فضل الله ابن مكانس أبقاه الله وجدول الماء يجرى بين نرجسه * لذى البصائر جرى الطيف فى المقل
وقال القاضى شهاب الدين ابن فضل الله فى كتابه مسالك أبصار فى ترجمة ابن تميم وحكى أنه حضر فى مجلس بعض الاكابر وقد غض المجلس وبهت فيه عيون النرجس وقعت فيه أصابع المنثور وأعطى فيه أمير الحسن ذؤابة شعره المنشور وطال اعمال الكؤس حتى غمضت الجفون ولم يبق دور الكاس خال من المجنون وأن امنية ابن تميم قد تركه السكر ملقى وخلا خده المصرج محاقا فنهض غير مرة لتقبيله ثم خاف أعين قتيله فقعد بعدا للجاج ورجع رجوع الصادى والماء يجلى عليه فى الزجاج فقال

كيف السبيل لان اقبل خده من * أهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور تومى نحونا * حسدا وتغمزنا عيون النرجس

(البنفسج) بارد رطب فيه حرارة يسيرة تتحلل بها الاورام وهو ينفع المحرور وينوم نوما معتدلا ويذهب الصداع العارض من المرة الصفراء والدم الحريف وهو وشرابه يسهل المرة الصفراء وينفع للصدر والرئة وكذلك مرباه ينفع من ذات الجنب انتهى كلام ابن المحلى فى النور (وقال) صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر البنفسج من الرياحين اللطيفة ومن الخواص الظريفة أن من أراد أن يكون البنفسج على غير سبيل الفلاحة فى السرعة أن يأخذ من السداب البستانى شيأ يكون مقداره فى القلة والكثرة بمقدار البنفسج ويكون السداب لم يصبه الماء البتة بل يقطع من منابته ويجفف حتى يزول التراب المتعلق بعروقه عند قلعه ثم يؤخذ لكل طاقة بنفسج طاقة سداب ويعمد الى أطراف مجارى الماء الى اصول البنفسج فيجعل فيها السداب ويؤخذ من أغصان خشب التين الجففة

شئ ثم يحرق الجميع على مقربة من البنفسج بحيث لا يبلغ لهب النار اليه فانه متى فعل ذلك للبنفسج أهاجه وحمل بعد عشرين يوما من هذا الفعل (ومن عجيب) أمره أن الانسان اذا تغوط فى مجارى الماء اليه مات ودبل وكذلك ان خرج منه ريح فى مزرعته وحاجته ان كان ابتدأ فى توريده فانه يفسد ولا يكاد يجذب من الماء الذى يسقى به شيأ وأنه اذا دام الضباب عليه يوما أو نحوه ضعف ومتى توالى نقصت زهرته وصغر ورقه وتغيرت رائحته ومن الاشياء المضادة له القصب فانه لا يفلح بقربه ولا ينمو ومن آفاته المهلكة له والمضعفة لقوته لسرعة قبوله للتأثيرات الرديئة أن تقع صاعقة على ارب عمائة ذراع منه أو أقل فانه يهلك سريعا والبرد يفسده فسادا لاصلاح معه وكذلك الرعد الشديد التتابع يضعفه ويوهنه والسمائم أيضا تتلفه والريح الشمال الباردة والمطر الكثير يذهب به لضعف ساقه وماء الابار الثقيل يضعفه وربما أهلكه وكذلك الدخان اذا دام عليه ولا ينبغى أن يماسه فى منبته تراب من قبور أو ما يقرب من القبور فان ذلك يضعفه وان أصابه أهلكه (الوصف) من رسالة لابى العلاء عطاء بن يعقوب يصفه سماوية اللباس مسكية الانفاس واضعة رأسها على ركبها كعاشق مهجور ينطوى على قلب مسجور كبقايا النقس فى بنان الكاعب أو النقش فى أصابع الكاتب أو الكحل فى لحاظ الملاح الفاترات الغانيات القاتلات لازوردية فاقت بزرقتها على اليواقيت كأوائل النار فى أطراف كبريت (وأجاد أبو هلال العسكرى فى قوله رحمه الله تعالى)

ومعذر قال الاله لحسنه * كن فتنة للعالمين فكانه
زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

(وقال آخر وهو المسكال رحمة الله عليه آمين)

يا مهديا لى بنفسجا أرجا * يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه * بأن ضيق الامور ينفسح

(وأنشدنى الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه رحمه الله تعالى)

بنفسج الروض تاه عجبا * وقال طيبى للجو ضمخ
فاقبل البان فى احتفال * والزهر من غيظه تنفخ

(وقال مجير الدين بن تميم)

عاينت ورد الروض يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج محنق
لاتقربوه وان تضوع نشره * ماينكم فهو العدو الازرق

آخر

بنفسج جمعت أوراقه فبكت * دمعا تشرب كحلا يوم تشتيت
كأنه بين طاقات ضعفن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

(ويعجبني) قول الراضي بالله وان لم يكن مما نحن فيه لكن الشيء بالشيء يذكر

قالوا الرحيل فانثنت أظفارها * في خدها وقداعتلقن خضابا
فظننت أن بنانها من فضة * قطفت بأرض بنفسج عنابا

حار يابس واذا غمس في الماء اعتدل وقلت حرارته وشمه ينفع من اللقوة ويضمد به مدقوقا للسعة العقرب فيسكن وينفع المبرود الدماغ ويضر المحرور انتهى كلام العنبري (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة في كتابه شرح العيون في شرح رسالة بن زيدون عند ذكر كسرى أنوشروان أنه كان جالسا بالايوان واذا بحية قد دنت من عش حمامة في بعض شرف الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم أو بندقة فقتلها وقال هكذا نفعل بعدو من استجارينا فلما كان بعد أيام جاءت الحمامة بحب في مناقرها فألقته اليه فأخذه وقال ازرعوه فنبت ريحانا لم يكن يعرفه فقال نعم ما كافأتنا به الحمامة نسأل الله الذي ألهمها أن يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمته (قلت) وذكر الشيخ جمال الدين ماخص به كسرى من الاشياء الغريبة فلا بأس بايراد نبذة منها اذ كان كتابنا هذا يشتمل على ماكثر فمنها الفيل الابيض لركوبه طوله اثنا عشر ذراعا والقطعة الياقوت المسماة لسان الثور تضيء أكثر من السراج والفلفل المغني واضع العود الخراساني على اثني عشر وترا كل من ضرب به جرح الاهو وكان يعمل له كل يوم مع طعامه مهر من الخيل وعناق زرقاء مغذاة بألبان النعاج يذبحان بسكين من ذهب ويبخر التنور بالعود ويمسط ما يمسط بالجمر المغلي ويطلى بالمسك والملح ويعلق في سفود من ذهب وريحانين من ذهب فاذا برد حمل ووضع على خوان من ذهب ويقدم اليه فيأكل أكثره ويتحف بالبقية من

احب

أحب من ندمائه ويكسر التنور ويجدد كل يوم مثله واجتمع على بابه سبعون ملكا وكانت له حكايات حسنة في سيرته أضربت عنها لئلا تخرج عما نحن بصدده (رجع) قال الحسن ابن سهل أربعة من الرياحين تقوى بأربعة من الطيب ليكمل ذكاؤها (الورد) بالمسك (والنرجس) بماء الورد و (البنفسج) بالعنبر (والريحان) بالعبير الوصف قال ابن المعتز

قضيب من الريحان شابه لونه * اذا ما بدا في العين لون الزمرد
فشبهته لما تأملت حسنه * عذارا تدلى في عوارض أمرد

(قلت) وأنشدني الشيخ عز الدين الموصلي من لفظه في مليح معذر

بخد المحب ريحان نضير * لاسطره حروف ليس تقرى
فراعيت النظير وقلت حبي * عذارك أخضر والنفس خضرى

(وقال) مجير الدين بن تميم

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقي وليس به * بين الندامى سوى الريحان نمام

(الآس) بارد يابس دهنه يقوى أصول الشعر ويمنع تساقطه ويطيله ويسوده وورقه اليابس ينفع صنان الابط ويطيب رائحة الجسم واذا طبخ وتمضمض بمائه قوى الاسنان واللثة ويمنع من الصداع الحاد وشمه يقوى القلب المحزور ويزيل خفقانه وينفع حبه من الاسهال ويقوى المعدة انتهى كلام العنتري في النور المجتنى (وقال) صاحب المباهج انه يتصرف في أشياء كثيرة عظيمة النفع حبه وورقه وقوته البرودة في الاولى وحبه نافع من الخفقان وضعف القلب وهو بجملته قاطع للاسهال المتولد من الصفراء ومن ابتلع من ورقه من الخمسة الى السبعة ورقات فانه يقوى المعدة وينقي مافيها ويحلل رياحها وأما حبه فانه لما فيه من الحلاوة واللطافة ينفع للسعال العارض من الحرارة من غير اضرار بالصدر والرئة ولما فيه من العفوصة يقطع نفث الدم وحرقة المثانة وينفع الاسهال المزمن وماؤه اذا غسل به الشعر حصبه وقواه من الانتثار وصد أصله وينفع من الابرية والقروح الرطبة واذا جفف الورق ودق ونخل وجعل على الآباط والانخاذ الندية قطع نداوتها ومنع عرقها وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اهبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء منها الآسة وهي سيدة

ريحان الدنيا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والحسين بكائي بديه وردة ان الورد سيد رياحين أهل الجنة ماخلا الآس وهو باليونانية المرسين (الوصف)

خليلي ما للآس يعبق نشره * اذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكى لونه أصداغ ريم معذر * وصورته آذان خيل نوافر

(وما ألطف) ما ألم به الشيخ شمس الدين بن الصائغ في قوله

خط آس العذار في الخد لاما * عرفتني سفاهة اللوام
أنا في كسرة لبعدي عنها * جبر مثلي بالآس أو باللام

وقال آخر فاغرب

أعجب بآس معجب مؤنق * يعجب منه أي اعجاب
كأنما تقطيع أوراقه * مابيننا أنصل نشاب

(قلت) في البيت الاول بجهات كثيرة ولكنه أصاب الغرض في الثاني ويمكن أن يقول أحبب بآس أخضر مؤنق (الياسمين) حار يابس في آخر الدرجة الثالثة نافع من الرطوبة والبلغم صالح للمشايخ ومن كان بارد المزاج ومن الصداع العارض من البلغم والمرة السوداء وعفونة البلغم وكثرة شحمه تورث الصفار يفعل ذلك في الحار المزاج ودهنه ينفع من أمراض العصب الباردة والخالص من دهنه يرعف انتهى كلام ابن المحلي (وقال) صاحب المباهج في الفلاحة اذا أردت ياسمينا أحمر اللون فانه يشق قصب الياسمين ويخرج مافيه ويحشى مكانه بالك ممحوقا ويوضع عليه طين ويلف عليه مشاق ويغرس ويتعاهد بالسقي فانه يزهر ياسمينا أحمر والازرق بالسلح والاصفر بالزرنيخ مجرب (الوصف)

ولما خلقنا ها سماء زبرجد * لها أنجم زهر من الزهر الغض
تناولها الجاني من الارض قاعدا * ولم أر من يجني السماء من الارض

آخر في الاصفر منه

كأنما الياسمين حين بدا * يشرق منه جوانب الكثب
عساكر الروم نازلت بلدا * وكل صلبانها من الذهب

(وقال) محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى

وياسمين قد بدت ازهاره لمن يصف
كمثل ثوب أخضر عليه قطن قد ندف

(الحيري) وهو المنثور حار يابس في الثانية فيه جلاء وتلطيف وينفع من السدة في الرأس من البلغم وهو دواء فائق للاورام وخاصة لما طال لبثه وعسر ويجتذب المشيمة والاجنة الموتى بأن يشم دهنه وتدلك به الاخصار والمغابن وفم الرحم والحيري ألوان مختلفة أصفر ذهبي وهو أرفعها وخمري وبنفسجي وأكحل وملمع وبياض وغير ذلك من الالوان والابيض هو أردأها والاصفر الذهبي ذكي الرائحة يشم ليلا ونهارا وأما سائر أنواعه سوا الابيض فانها لا يشم لها بالنهار رائحة مادامت الشمس طالعة فاذا غابت ظهر لهذه الالوان رائحة عجيبة عطرة مشاكلة لرايح القرنفل أو رايح ماء القرنفل المصعد بماء الورد ولا تزال روائحها تزداد طيبا الى طلوع الشمس ثم تزول تلك الحمرة والرائحة باقي النهار الى وقت المغيب وأما الابيض فلا يؤدي رائحة في ليل ولا نهار وهو أقلها نفعا وأردأها وفي أصنافه منفعتها واحدة وقد يتخذ من الاصفر منه والخمري والبنفسجي دهن يربى بالسمسم كما تربى أدهان الازهار فينفع الاورام الباردة ويحللها ولعقد الرقاب والاعصاب المعارضة لها وادمان شمه ينفع من اللقوة والفالج وذوي الامزجة الباردة واذا أخذ من بزر الاصفر مجففا وزن دانقين يسحق مع زهرتين من زهر القرنفل الذكر وأضيف اليهما وزن حبة من مسك أذفر خالص ووزن القرنفل من أنفحة أرنب ومحق الجميع ورتب على الصلابة بالبان المبسوس بالمسك واتخذ منه فرزجات وتحملت المرأة فرزجة منها في ليلة طهرها وواقعها بعلها فانها تحمل باذن الله من تلك المواقعة وذكر جالينوس أن بزر الحيري اذا سحق مع دم هدهد ودهن زئبق واحتملته المرأة وواقعها زوجها حملت وهو من النبات الذي اذا القطت ورده امرأة حائض فسد وذبل وهلك لخاصية فيه ولا ينبغي أن يعمل أعماله كلها امرأة البتة حائضا كانت أو غير حائض بل الرجال الذين أسنانهم فوق أسنان الصبيان ويطرح بزره الذي يطرحه وهو طاهر نظيف بعيد العهد بملامسة النساء ويعالج جميع أعماله والقمر زائد في الضوء وان كان متصلا بالسعود جيد المكان في الفلك كان أجود ومما يوافقه أن يذر في أصله شيء من دقاق بعر المعز بعد السقي فانه ينفعه

ويزيد فى رائحته زيادة بينة وليس يحتاج الى الشمس المحارة لانها تضعفه ولا يكثر عليه الماء اكثارا مفرطا فانه يضره انتهى كلام صاحب المباهج (الوصف) قال مجير الدين بن تميم

حاذر أصابع من ظلمت فانه * يدعو بقلب فى الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه فى جمر الغضا * الا الدعا بأصابع المنثور

وقال متعصبا للورد

ولم أنس قول الورد لما تركنوا الى * معاهدة المنثور فهو يمين

(وقال) متعصبا له على النرجس

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الـ * ـمزور قال وقوله لا يدفع
فتح عيونك فى سواى لاننى * عندى قبالة كل عين أصبع

(وقال)

ومذ قيل للمنثور انى مفضل * على حسنك الورد الجليل عن الشبه
تلون من قولى وزاد اصفراره * وفتح كفيه وأومى الى وجهه

وقال ابن حجة

رأيت مع المنثور بعض وقاحة * ولم أدر ما بين الغدير وبينه
تلون منه ثم مد أصابعا * الى وجهه عمدا وجر عينه

(وقال)

ومذ قيل للمنثور ان الورد قد * وافى على الازهار وهو أمير
بسمت ثغور الاقحوان مسرة * لقدومه وتلون المنثور

(وقال)

لما دعى المنثور ان الورد لا * يأتى وأن يصلى بنار السعير
ودت ثغور الاقحوان لو انها * كانت تعض أصابع المنثور

وأحسن التصرف الامير شهاب الدين الحاجبى فى قوله

ولقد نثرت مدامعى ودمى معا * يوم الوداع وخاطرى مكسور
لا تعجبوا لتلون فى أدمعى * لا تدع أن يتلون المنثور

(الاذريون) حار يابس منافعه أن يسحق بالخل ويطلى به داء الثعلب ينبت الشعر فيه وينفع سائر السموم لاسيما اللدوغ وقال صاحب المباهج ان

شربه

شرب من أصله خمسة دراهم مع عسل أو سمن أسهل اسهالا شديدا بلغما وكيموسا بائسا ويشربه أصحاب اليرقان وينبغى أن يضطجع من يشربه فى بيت حار ويغطى بثياب كثيرة فانه يسيل منه عرق لونه لون المرة الصفراء والشربة منه ثلاث مثاقيل ونصف بشراب حلوى وبماء العسل وينفع شربه بالطلاء من السم القاتل ولدغ الهوام ومن عجائب خواصه أنه ان دخلت امرأة حامل بيتا فيه اذريون أسقطت وان تحملت به امرأة فى فرجها ثم جامعها بعلها حملت وقال ديسقوريدس أصل بخور مريم اذا علق على المرأة منع الحبل واذا خطته المرأة الحامل أسقطت واذا أخذ منها وهى جافة وسحق منها مثقال وسقى بماء فاتر وعسل لمن يجب أن يسهل باطنه فانه يجليه بلغما كثيرا وينقى كلما فى صدره من البلغم ويخرج ما فى باطنه من الحمام وان شربت منه امرأة أسهل حيضها وان أخذت منه صوفة أسهل حيضها وهى تنزل الولد الميت ويشرب منها لعسر البول وعسر الولد ولمن سقى سما أولدغه شئ من ذوى السموم وهى سليمة مأمونة لا يخاف منها نافعة وهى تنفع لوجع الكبد يسقى منها رطلا وعسلا وبماء فاتر وعسل وهى نافعة من السرطان ومن العقد التى تخرج فى الاصابع والسلع يعمل لهم منها مرهم ثم يطلى عليها والاذريون من الاشياء الصابرة على العطش وهى كبيرة وصغيرة ونباتهما سواء فالكبيرة شجرة مريم والصغيرة اذن الجحوز وزعم السلف أن الحامل اذا أمسكته بيديها مطبقة احداهما على الاخرى ان الجنين ينالها ضرر شديد فان أدامت امساكه واشتمت منه أسقطت وان عسرت الولادة على الحامل فلتمسكه بيديها كما وصفنا فانها ترمى الولد سريعا واذا بخر به هرب الفار والوزغ من الموضع الذى بخر فيه وفيه منافع جمة اختصرناها (الوصف) قال الصنوبرى

كأن آذريونها من فوق تلك القضب
خيام مسك فرقها سرادق من ذهب

وقال ابن المعتز وأجاد

كأن أذريونها والشمس فيه كاليه * مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

قال ابن حجة فى الاذريون

كأن أذريونها ونوره قد أبهجا * وبيض برق لامع فى جنح ليل قد دجا

(السوسن) بضم السين نحن والصواب بالفتح وزن جوهر وكوثر ولم يسمع بالضم الا جوذر وهو حار يابس فى أول الدرجة الثانية ينفع من كان بارد المزاج ومن الاوجاع المعارضة فى العصب من البلغم ودهنه نافع من وجع العصب المتولد من البلغم ووجع الرحم والاسمانجوى أقل حرارة وأصل الاسمانجوى يسهل الماء الاصفر الشربة منه مثقال انتهى كلام صاحب النور (الوصف) قال أبو نواس رحمه الله تعالى

سقيا لارض اذا ما نمت نبهنى * على الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارفة * على الميادين اذناب الطواويس

قال ابن حجة فى السوسن

بدا سوسن الروض المدبج أزرقا * وأصفر يعلو طوله فوق مبيض
كأن الربا أرخت ذيول غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

(اللينوفر) وهو أزرق وأصفر وأحمر وأبيض وجميع أصنافه باردة رطبة منوم مخدر للدماغ أقوى فعلا من البنفسج فى التنويم والتبريد وينفع الصدر والرئة فى الامراض الحارة ويزيل الصداع وكثرة شمه تزيل الاحتلام ويقطع شهوة الباه لاسيما ان شرب منه فانه يجمد المنى لخاصية فيه لاسيما أصله وبزره وشرابه ودهنه نافعات لامراض الرأس من حرارة انتهى كلام ابن المحلى (الوصف) قال ابن صابر

ياحبذا بركة نيلوفر * قد جمعت من كل فن عجيب
أزرق فى أحمر فى أبيض * كقرصة فى صحن خد الحبيب
كأنه يعشق شمس الضحى * فانظره فى الصبح وعند المغيب
اذا تجلت يتجلى لها * حتى اذا غاب سناها يغيب
يدنو اليها شاخصا طرفه * ولا يقاسى نظرات الرقيب
لا يبتغى وجها سوى وجهها * فعل محب مخلص فى حبيب

(وقال) ابن حديس

اشرب على بركة نيلوفر * محمرة الاوراق خضراء
كأنما أزهارها أخرجت * ألسنة النار من الماء

(وقال) ابن قميم وأجاد

لينوفر لما تاش ماؤه * ثوبا فتاه على النجوم بثوبه
لحظته أعينها فنكس رأسه * خجلا وغاص من الحيا فى ثوبه

وقال أيضا

غدا اللينوفر المصفر يحكى النجوم فلا يغادرها شبيها
تغوص العين فيه اذا تجلى النهار وفى الظلام يغوص فيها

وقال أيضا

ولينوفر كالزهر شكلا ومنظرا * محاسنه فيها اللواحظ ترتع
وكل نجوم لكن الفرق بينها * تغيب صباحا وهو فى الليل يطلع

وقال ابن حجة

لينوفر الليل مذ أبدى تلونه * أحمر وأزرق من ساسينا وشكا
قلنا له ذاك لون واحد وبه * يسمو وأنت بليد وهو فيه ذكا

(الباب السادس عشر فى الروضات والبساتين)

أجمع جوابوا أقطار الارض على أن متنزهاتها أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق قال أبو بكر الخوارزمى قد رأيتها كلها فكان فضل الغوطة على الثلاث كفضل الاربع على غيرهن كأنها الجنة صورت على وجه الارض فاما السغد فهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى متشبكة العمائر ما مقداره اثنى عشر فرسخا فى مثلها وأما شعب بوان فبقعة من نواحى كورة سابور يكون مقدارها فرسخين قد ألحفتها الاشجار ظلالها وجاست الانهار خلالها وهذا الشعب لبوان بن أبرج أفريدون وفيها يقول المتنبى

مغانى الشعب طيبا فى المعانى * بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربى فيها * غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها * سليمان لسار بترجمان
غدونا نغض الاغصان فيه * على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الشمس عنى * وجئن من الضياء بما كفانى
وألقى الشرق منها فى ثيابى * دنانيرا تفر من البنان

لها ثمر يشير اليك منه * باشربة وقفن بلا أوان
وأمواه تصل بها حصاها * صليل الحلى فى أيدى الغوانى
اذا غنى الحمام الورق فيها * أجابتها الاغانى والقيانى
ومن بالشعب أحوج من حمام * اذا غنى وناح الى البيان
وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفا هما متباعدان
تقول بشعب بوان حصانى * أعن هذا تسير الى الطعان
أبوكم آدم قدسن هذا * وعلمكم مفارقة الجنان

وأما نهر (الابلة) وهو من أعمال البصرة وطوله أربع فراسخ وعلى جانبيه بساتين كأنها بستان واحد قد خط على خط مستقيم وكأن نخله غرس فى يوم واحد (وأما الغوطة) وهى من حيز دمشق فانها ناحية يكون طولها ثلاثين ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا مشتبكة القرى والضياع لا يكاد أن يقع للشمس على أرضها شعاع للالتفاف أشجارها واكتناف أزهارها وللشعراء فى وصفها قصائد كثيرة أضربنا عن ذكرها اتردد العلل فيما يختار منها اذ كلها حسان لو جمعت لحفيت من تسطيرها الاقلام وكلت البنان وقد روى فى بعض الاخبار عن كعب الاحبار انه قال غوطة دمشق بستان الله فى أرضه (وقال) جمال الدين بن نباتة كتبها المملوك ومنظر الروض قد شاق ودمع الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق والغصون المنعطفة قد أرسلت أهواء القلوب بالاوراق وحمائمها المترنمة قد جذبت القلوب بالاطواق والورد قد احمر خده الوسيم وفكت أزراره من أجياد القضب أنامل النسيم وخرجت أكفه من أكمامه بأخذ البيعة على الازهار بالتقديم (وقال) مجير الدين بن تميم

كيف السبيل بلثم من أحببته * فى روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور وناظر نرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا * ترنوا الى وثغر هذا يضحك

وقال آخر وحللنا موضع كذا فافترشنا من زهره أحسن بساط واستظللنا من شجره بأوفى رواق وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور وجسوم نار فى غلائل نور الى أن جرى ذهب الاصيل على لجين الماء ونشبت نار الشفق بفحمة

الظلماء

الظلماء (وقال) الشريف على ابن دفتر خوان

ودوحة سكرت أغصانها طربا * فللهوى فى معاينها اشارات
ماست فنقطها غيث بلؤلؤة * ففوق أوراقها منه جمانات
فهن فى العين ها آت مطمسة * من اللجين وان سالت فميات

(وقال) على ابن ظافر فى منزل قد انقطعت قدود أشجاره وأبسمت ثغور أزهاره وذاب كافور مائه على عنبر طيبه وامتدت بكاسات الجلنار أنامل غصونه والنسيم قد خفت واعتل وسقط رداؤه الخفاق فى الماء فابتل ووهنت قوته حتى ضعف عن السير واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوائح الطير (فخر الترك) أندم المجنوى

الروض مقتبل الشبيبة مؤنق * خضل يكاد غضارة يتدفق
نثر الندى فيه لآلى عقده * فالزهر منه متوج وممنطق
وارتاع من مر النسيم به ضحى * فغدت كمائم نوره تتفتق
وسرى شعاع الشمس فيه فانثنى * منها ومنه سنا شموس تشرق
فالغصن مياس القوام كأنه * نشوان يصبح بالنعيم ويعبق
والطير ينطق معربا عن شجوه * فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق
غردا يغنى للغصون فينثنى * طربا جيوب الطل منه تشقق
والنهر لما راح وهو مسلسل * لا يستطيع الرقص ظل يصفق
فتمل ايام الربيع فانها * ريحانة الزمن الذى يستنشق

(برهان الدين) القيراطى فى دمشق سمى سهمها على قوس الكواكب وأقبلت من كثائب زهورها فى مواكب وتحرك عودها حين غنت عليه من الورق القيان وطفح بزيدها فقلت وهذا مما يعجب أبا سفيان (وقال) سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى أسبغ الله عليه ظلاله يصفها عند دخوله اليها فى ثامن رمضان المعظم سنة ثمانمائة ونقلتها من خطه فتأملها المملوك فاذا هى جنة ذات ربوة وقرار معين وبلدة تبعث محاسنها الفكر على حسن الوصف وتعين وحسبك بالجامع الفارق بينها وبين سواها والانهار التى اذا ذكر قتل المحل فأجراها واذا سمع حديث الخصب فما أرواها ما أقول الا منتزهات مصر عاريه من المحاسن وهذه ذات

الكسوة ولا أن النيل احترق الامن الاسف حيث لم يسعده الدهر بالصعود الى تلك الربوة ولا أظنه احمر الا خجلا من صفاء أنهارها ولا ناله الكسر الا لتأمله بالانقطاع عن الوصول الى سقى أزهارها فلو رأى العاشق جبهتها لسلا بمصر معشوقه ونسى ظهور جواريه المتحببة بمقامات غصونها الممشوقه ولو تطاولت المجنونة الى المفانوة لتأخرت الى خلفها متخبلة وأحجمت عن الاقدام حين تحركت لها بدمشق السلسلة وحق مصر أن لا يجرى حديث المفانوة فى وهمها وأن تتقى شر المنازعة قبل أن تصاب فى هذه البلدة بسهمها فسقى الله منتزهاتها التى طرب الملوك برؤية حبكها وطالما اهتزت له المعاطف على السماع ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجليد فانعقد على حلاوة شكره الاجماع تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم (وقال) البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى

هلم يا صاح الى روضة * يجلو بها العانى صداهمه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

(وقال) ابن عمار

باليلة بتناها فى ظل أكناف النعيم
من فوق أكمام الرياض وتحت أذيال النسيم

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تشبيه القمر من خلال الاغصان

كأنما الاغصان لما انثنت * امام بدر التم فى غيهبه
بنت مليك خلف شباكها * تفرجت منه على موكبه

(وقال) سيدنا بدر الدين محمد بن الدمامينى فى كتابه الذى وضعه على غيث الادب الذى انسجم فى شرح لامية العجم تصنيف الشيخ صلاح الدين الصفدى وسماه كتاب نزول الغيث عند ذكر هذين البيتين (ظاهر هذه العبارة) أن الاغصان شبهت فى حال انثنائها امام البدر فى الدجا ببنت مليك تطل من خلف شباكها للنظر فى موكب أبيها وذلك عن مظان التوجيه بمعزل ومقصوده أن البدر فى حال ظهوره من خلال الاغصان المنثنية على الصفة المذكورة شبه ببنت مليك على تلك الحالة تمثيلا للهيئة الاجتماعية بشبيهها لكن لفظه لا يساعده على هذا المطلوب فانه جعل الاغصان مبتدأ وأخبر عنه بقوله بنت مليك فلم يتم له

المراد

المراد وكثيرا ما يقع له فى هذا قال يصف خالا على شفة

قد شبه الخال على ثغره * تشبيه من لا عنده شك
كسبحة من جوهر نضمنت * حق حقيق قفله مسك

وأين هذا من قول الطغرائى

انظر الى الجنة فى ثغره * لا ريب فى ذاك ولا شك
أما ترى فيه الرحيق الذى * ختامه من خاله مسك

على أن مقطوع الصفدى الاول مع ما فيه من العيب مأخوذ من قول ابن قرناص

وحديقة غناء ينتظم الندى * بفروعها كالدر فى الاسلاك
والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل المليح يطل من شباك

وقد عيب هذا البيت وشتان بين ذاك وبينه فتأمله انتهى كلام الشيخ بدر الدين وقال بعضهم وأحسن

نحن فى عب سماء أقلعت بعد الارتواء وأقشعت عند الاستغناء والنبت خضل ممطور والنقع ساكن محصور رش جبين النسيم وابتل جناح الهوى وضربت خيمة الغمام واعرورقت مقلة السماء وقام خطيب الرعد ونبض عرق البرق (وقال) ابن الساعاتى (توفى سنة أربع وستمائة بالقاهرة وعمره احدى وخمسون سنة)

ولقد نزلت بروضة عبقية * رتعت نواظرنا بها والانفس
فظللت أعجب حيث يحلف صاحبى * والمسك من نفحاتها يتنفس
ما الروح الاجوهر والجو الا * عنبر والارض الاسندس
سفرت شقائقها فهم الاقحوا * ن بلثمها فرنا اليها النرجس
فكأن ذا خد وذا ثغر تحا * ولة وذا أبدا عيون تحرس

بدر الدين بن يوسف بن لؤلؤ الذهبى رحمه الله تعالى

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق ازهار الربا
ينكسر الماء الزلال على الحصا * واذا غدا بين الرياض تشعبا

(وقال)

باكر الى الروضة نستجلها * فثغرها ياصاح بسام

والنرجس الغض اعتراه الحيا * فغض طرفا فيه أسقام
والغصن فيها ألف قد بدا * والنهر فى أرجائها لام
وبلبل الدوح فصيحا على * الايكة والشحرور تمتام

صفوان بن ادريس (توفى سنة ٩٨ رحمه الله تعالى)

جاد الربا من بانة الجرعاء * نوآن من دمعى وغيم سماء
يا ليت شعرى والزمان منقل * والدهر ناسخ شدة برخاء
هل تلتقى فى روضة موشية * خفاقة الاغصان والافياء
ونثال فيه من تألفنا ملوما * فيه سخنة أعين الرقباء
فى حيث أطلعت الغصون سوالفا * قد قلدت بلآلئ الانداء
وجرت ثغور الياسمين فقبلت * عنى عذار الآسة المدماء
والورد فى شط الخليج كأنه * رمد ألم بمقلة زرقاء
وكأن غض الزهر فى خضر الربا * زهر النجوم تلوح فى الخضراء
وكأنما جاء النسيم مبشرا * للروض يخبره بطول نواء
فكساه خلعة طيبة ورمى له * بدراهم الازهار رمى سخاء
وكأنما احتقر الضيع فبادرت * بالعذر عنه نعمة الورقاء
والغصن يرقص فى حلى أوراقه * كالخود فى موشية خضراء
واجترثغر الاقحوان بمارأى * طربا وقهقه منه جرى الماء
أفديه من أنس تصرم وانقضى * فكأنه قد كان فى الاغفاء

(ونقلت) من خط سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن الدمامينى هذا اللغز وكتب به الى بعض الفضلاء الثغر المحروس ما قول مولانا أبقاه الله تعالى وضاعف اقباله ووالى فى ذات ينم بها الجانى وتطرب فى مرابعها الالحان المغنية عن المثالث والمثانى خرساء لا تعرف حديث الادب المأثور وطالما تأملها الكاتب فوجد بها السجع والمنثور عيونها تذبل اذا شربت وأعطافها ترقص اذا طربت طالما تحركت بها السواكن وهاجت البلابل ونهر من سأل عنها فاستعذب نهرها السائل وروى منها عن الزهرى حديث حسن ولم يعز اليها مع ذلك براعة ولا لسن ورمقت الاعين خدودها وودت الانفس على الحالين ورودها استحسنت الخواطر حديثها واذا اعتل واستروحت لنفسه

قوله وكتب الخ لعل معناه حتى تظهر المناسبة

الطيب

الطيب اذا اختل ان عرف لفظها كان علما لحمل لا يطرقه محل ولا ينكر تأنيثه خجل يحدث المصرى بحلاوته ويخبر بلفظه وطلاوته قد سهر من قديم تألقه البسطه وجهل السكر على انه مازال يقول بالنقطه يعرف المعشوق وآثاره وينال من المشتهى أمانيه وأوطاره وتوطأ فيحمد حمله الانعال وتقف عنده الجوارى على الارجل فلا تود الانتقال وينشد من شغف بمعانيه وبعث طرفه لتأمل مغانيه وكتب اذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر والا فعلم على جملة يعرفها الطالب ويحسن ارتكاب المهالك لينال ما فيها من المطالب قد فتحت لارباب المقاصد أبوابها ومنحت الافهام الضالة هديها وصوابها وصحت بما اشتملت عليه من العلل ونصحت مع انها أحكمت بالسلامة على الحلل

وقد بسقت منها الفروع وأثمرت * الى أن جنا منها الورى ثمر العليا
وفى وصفها يبدو الطباق فضدها * يموت بها غما وصاحبها يحيى

(الوزير بن عمار)

وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم
بحيث اتخذنا الروض جارا تزورنا * هداياه فى أيدى الرياح البواسم
تبلغنا أنفاسه فتردها * بأعطر أنفاس وأزكى المباسم
تسير الينا ثم عنا كأنها * حواسد تمشى بيننا بالنمائم

(وقال) القاضى بدر الدين بن الدمامينى لنفسه رحمه الله

يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهرى
تعال نباكر الروض المفدا * وقم نسعى الى ورد ونسرى

(وقال) أبو جعفر ابن الشمرى (توفى سنة احدى وثلاثين وستمائة)

يا هل ترى أظرف من يومنا * قد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب ورقى
والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا بكؤس الشقيق

وقال بعضهم

فى روضة علم أغصانها * أهل الهوى العذرى كيف العناق
هبت بها ريح الصبا سحرة * فالتفت الاشجار ساق بساق

(وقال) الشيخ عز الدين الموصلى ونقلتها من خطه رحمه الله تعالى

منابر الدوح فيها الورق قد سجعت * فمالت القضب للالحان واستمعت
وهاجها سحر امر النسيم فذ * هب القبول الى طيب الصبوح دعت
أبدت فرادى ومثنى من عجائبها * تلك الرياض التى للحسن قد جمعت
بينا ثغور بها الازهر قد بسمت * أضحت عيونا بماء الطل قد دمعت
ومذ تلون وجه الروض قابله * نهر به أعين فى صدره دفعت

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل يحيى بن هذيل التجيبى أبو زكريا كذا ذكره العلامة ذو الوزارتين لسان الدين محمد بن الخطيب فى تاريخه الاحاطة بتاريخ غرناطة (وذكر ان وفاته سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة)

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الظل فى مهد الخزامى
وسقى الوسمى أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما
يحسب البدر محيا ثمل * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤوس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما

وقال الوزير العلامة فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس تغمده الله بالرحمة يصف شجرة بشاطئ النيل المبارك بالروضة

يا سرحة الشاطئ المنساب كوثره * على البواقيت فى أشكال حصباء
حلت عليك عز اليها السحاب اذا * نوه الثريا استهلت ذات انوائى
فان تبسم فيك النور من جذل * سقاك من كل غيم كل بكائى
رحماك بالوارف المعهود منك فكم * لنا بظلك من اهواء اهوائى
وكم نزلنا مقيلا منك ماحمى الهجير * اذ حيث لا مرائى لحربائى
يظل من قبل الفضفاض فى ظلل * من الغمام بقينا كل ضرائى
ياطيبة بدواء القيض عالمة * أنت الشفاء لدى الرمضا من الداء
لاصوح الدهر منك الزهر وانجست * عليك كل هتون الودق سوداء
عصابة الشرب أمواروض زاهرة * تعزى لا كرام اخوال وآبائى
خمائل الروض منشاها ومرضعها * ضرع الغمير من نيل وانوائى
فاستهدت دوحها المخضل وافترست * نجم الربا ورقت عرشا على الماء

قوله وكم نزلنا الخ هو كذلك فى الاصل ونقل بحروفه وليحرر اه

قريرة

قريرة العين بالانواء باردة * عقاب الذى لم تنله غير سراء
مقيل ندمان بل مغنى جمائم بل * كناس أرام بل أفنائه درماء
لها مطارف سجسج خصيفها * ظل يعادل فيه طيب مشتاء
قديمة العهد هزتها الصبا فصبت * فهى العجوز تهادى هدى برهاء
لا يدرك الطرف أقصاها على كلك * حتى تعود له لحظات حولاء
وصوت بلبلها الراقى ذرى غصن * بحلة من دمقس الريش دكاء
كفرع ناقوس دير فى على شرف * مسجى فى سواد الليل دعاء
خليعة حين أجنيت الضلوع على * نار بشجوى بها لاحب لمياء
تهكمت بى فلم تجنى أضالعها * على الهواء وأجنتها على الماء
بديعة الحسن قد فاز الجناس لها * من المعانى بأفنان وأفياء
وقام عنها لسان الزهر ينشدنا * للهو كم أرتج ما بين ارجاء
كم صفق الموج من أزهارها طربا * فنقطته بيضاء وصفراء
وكم طربت لما أبدته من ملح * يصبو له كل ذى عقل وآراء
وجدت بالتبر من مالى ومن أدبى * فكنت فى كل حال منهما الطاء
كأنها من جنان الخلد قد كملت * حسنا وحسبك من خضراء العاء
كأن أغصانها اللدن الرشاق اذا * هصرت أفنانها أعطاف وطفاء
كأن صمغتها الحمرا بقشرتها الـ * ـدكناء قرص على أعكان سمراء
كأنها فوق دعص الموج اذ سفحت * هضابه سفح وادرب أفياء
مالت على النهر اذ جاش الخرير به * كأنها أذن مالت لاصغاء
كأنما النهر مرآة وقد عكفت * عليه تدهش فى حسن ولا لائ
ذو شاطئ راق غب القطر فهو على * نهر الابلة يزرى أى ازرائ
كأنه عند تفريك النسيم له * فرند سيف نضته كف جلائ
كأنه شبك من لؤلؤ نظمت * أوجوهر السن أو تحليل رقشائ
كأنه حين يهدى زرقة وصفا * رقراق عين بوجه الارض شهلاء
وكم شدتنا حمامات الاراك على * أغصانها فأرتنا رقص هيفاء
من كل ورقاء فى الافنان صادحة * بين الحدائق فى فيحاء زهراء
ورق تغنت بحيات رقين على * عيدانها قاله فى مغنا وغناء

باكرتها فى سراة من أصاحبنا * لايظعون على حقد وشحناء
تداعبوا بمعانى شعرهم فأروا * ود الاحبة فى ألفاظ أعداء
من شيخ مجنون فى شباب فتى * يقرى المجون بقلب غير نساء
يسعى اليها على جرداء جارية * من ايكها كهلال الافق حدباء
نوحية الصنع والاحكام منشأة * تسير ماسيرت من غير اعياء
سوداء تحكى على الماء المصندل شا * مة على شفة كالشهد لعساء
ساجية ألبستها الصانعون لها * من التدابيج مايزهو بصنعاء
غريبة ذات ألوان وأجنحة * لم أدر تعزى لروض أولعنقاء
لم يستطع شاوها اذ سيرها عنق * عز الجياد على كد وانضاء
كم قد نعمنا بها عيشا بصافية * شمطاء تجلى على الخلاء عذراء
مما تخيرها كسرى وأودعها * رب الحورنق فى قورا جوفاء
راحا اذا ركع الابريق يمزجها * سمعت من صوته تسبيح فأفاء
أم السرور التى أبقى الزمان بها * جزؤ الحياة وقد ألوى بأجزاء
فعاطيتها على طل الندى سحرا * فان ترشافها موتى واحياء
واستجلها بنت مصر تستطيل على * بغداد والموصل الحدبا وسوراء
كم بين من قام معتدل النسيم بها * على اعتدال وحدباء وزوراء
من كف ظبى وشاد أو وشادية * تشدو لنا بين صوت العود والناء
على الحدائق لا الآكام تنفحنا * ريح انبنفسج لانشر الخزامى
أما أنا لست نواحا على طلل * ولا خليط ولا نداب أحياء
تركته لاناس كالتيوس غنوا * عن المدام بدر الابل والشاء
يعزون للشعر لكن من جهالتهم * لم يفرقوا بين ايطاء واقواء
من كل ألكن عند البحث منقطع * كأنه واصل والشعر كالزاء

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

أشتاق فى وادى دمشق معهدا * كل الجمال الى جماه ينسب
مافيه الاروضة أوجوشق * أوجدول أو بلبل أوربرب
وكأن ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته * فى الحال بين رياضه يتشعب

وشدت

وشدت على العيدان ورق أطربت * بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدو والنسيم مشبب * والنهر يسقى والحدائق تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم * أضحى له من بيننا متطلب
وخلت بقلبى من علالة حبه * فيها لارباب الخلاعة ملعب
ولكم طربت على السماع بجنكها * وغدا بربوتها اللسان يشبب
فتى أزور معالما أبوابها * بسماحها كتب الكرام تبوب

(وقال) ابن ظافر فى بدائع البداية اجتمع الوزير أبو بكر ابن القبطرنة والاديب أبو العباس ابن صارة فى يوم جلا ذهب برقه وأذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال ابن صارة

هذى البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار

(فقال) ابن القيطرنة

فكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

(فقال) ابن صارة

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

(فقال) ابن القيطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * تبكى الغمام وتضحك الازهار

وقال ابن تميم

لو كنت اذا نادمت من أحببته * فى روضة تسبى العقول وتفتن
لرأيتها وعيونها من غيرة * منى تفيض ووجهها يتلون

(وقال) محيى الدين بن عبد الظاهر

والاغصان قد اخضر نبات عارضها ودنا نير الازهار ودراهمها وقد تهيأت لتسليم قابضها والمنثور وقد نظمت قلائده وصيغت ولائده والحور وقد جاوز السهى بالبياشير والسرور قد كشف عن سوقها وقالت لها تلك الغدران بهديرها انه صرح ممرد من قوارير والسوسان وقد لاحظ جفنه الوسنان والورد وقد ورد والبان وقد بان (وقال) الشيخ عز الدين الموصلى ونقلتها من خطه رحمه الله تعالى

وروضة نقشتها للحيا ابر * فأصبحت بين تعاريز وتزهير
مثل السوار لما سور أحاط بها * من سلسل هي منه ذات تسوير
أو كالخلاخيل للادواح دار على * سوق لها مطلقا في زي مأسور
تحت الغياض رياض ديجت فبدت * ألوانها ذات تشهير وتشذير
أغصانها الند والاوراق سوسنه * والزهر عرق ياقوتا بيلوري
والزهر بين شعاع الشمس تحسبه * دراهما نثرت بين الدنانير
والظل ثوب اذا مر النسيم به * فالروض ما بين مهتوك ومستور
ونهرها زائد بالخصب يدنينا * كصارم في سبيل الله مشهور

(وقال)

وروض نجم الزهر أصبح معجبا * فتحسده من حسنه الانجم الزهر
ومذ أرجف الماء النسيم تدرعت * مزردة الاثواب من خوفها الغدر
فللروض تدبيج بالوان زهره * وللغصن من أوراقه الحال الخضر
فراع نصيرا من حنان جناسه * فحلى الضحى زهر وحلى الدجى زهر
وأغربت الالحان في الدوح ورقة * فكن قيانا دونها أسبل الستر
وأسفر للاصباح خد مورد * ومن قبله حبي بريحانة الفجر

وقال العفيف التلمساني قدس الله سره

انظر الى الاغصان في حركاتها * الشكرها أم سكرها تتأود
فتقول أرباب البطالة ينثني * وتقول أرباب الحقيقة يسجد

وقال شهاب الدين بن دمرداش (مولده سنة ثمان وثلاثين وستمائة ووفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة)

انظر الى الاشجار تلقى رؤسها * شابت وطفل ثمارها ما أدركا
وعبيرها قد ضاع من أكمامها * وغدا باذيال الصبا متمسكا

وقال برهان الدين القيراطي من قصيدة

تشوقني الفات الروض مائلة * من النسيم سكارى وهي دالات
ولي من الورق في أوراقها طربا * كأنهن على العيدان قينات

(وقال) الشيخ مجد الدين الارموي (توفي سنة احدى عشرة وسبعمائة)

كم للنسيم على الرياض من نعمة * وفضيلة بين الورى لن تجحدا

ما زارها وشكت اليه فاقة * الا وهز لها الشمائل بالندى

(وقال) محيي الدين ابن قرناص رحمه الله تعالى

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاها المسالك
وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(وقال) الفاضل علاء الدين علي بن ظافر العسقلاني في كتابه بدائع البداية قال اجتمعت أنا والقاضي الاعز يوما فقلت له أجز

* طار نسيم الروض من وكر الزهر * فقال * وجاء ميلول الجناح بالمطر *

(قلت) الشيء بالشيء يذكر ذكرت بقول العسقلاني ما أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلي محاجيا

يا من له حسن لفظ يثنى عليه المثاني
ما مثل قول المحاجي أحوى الشفاه جفاني

(وذكرت) بلطف هذه الاجية ما أنشدنيه من لفظه لنفسه سيدنا ومولانا الفاضل المفنن المحدث المؤرخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ نور الدين علي الشهير بابن حجر ابقاه الله محاجيا

يا فاضلا هو في الاحاجي ليس يخلو من ولع
ما مثل قولك للذي يبكي الحبيب اسكت رجع

(وظرف من قال)

وروضة رقصت أغصانها وشدت * أطيارها وتولى سقيها السحب
وظل شحرورها الفريد تحسبه * أسود يزأر مزماره ذهب

وقال ابن خفاجة في نهر تحف به أشجار

قد رق حتى ظن درعا مفرغا * من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف بها الغصون كأنها * هدب تحف بمقلة زرقاء

(وقال) الرصافي في نهر تحف به شجرة

فاتت عليه مع الظهيرة سرحة * صدئت لعينها صفيحة مائه
فتراه أزرق في غلالة سمرة * كالراع يستقي بظل لوائه

(وقال) نور الدين علي بن سعيد

كأنما النهر صفحة كتبت * أسطرها والنسيم ينشئها

لما أبانت عن حسن منظرها * مالت عليه الغصون تقرؤها

(وقال) بعض المغاربة وأجاد الغاية

ومنهم الشطين أحكم صقله * كالمشرفي قد اكتسى بفرنده
فحمائل الديباج منه حمائل * متعانق فيها البهار بورده
ولقد اختفى طرف له في دوحة * كالسيف ردذبابه في غمده

(وقال) محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله

وبطحاء في روض يروق روضها * ولاسيما ان جاد غيث مبكر
تلاحظها عين تفيض بأدمع * يرقرقها منه هنالك محجر
بها فاض نهر من لجين كأنه * صفايح أضحت بالنجوم تسمر
كأن حصاها اذ بدا فيه أحمر * وأبيض دمع في خدود ينثر
والا فبرد بالظلال مسهم * والا فطرس بالتجعد يسطر
ومالاح في جنبيه نبت وانما * تبدا عذارا منه في الخد أخضر
وكم غازلته للغزالة مقبلة * تسارق أوراق الغصون فتنظر
وتبصر منه كل حسن فينبري * حياء لديه وجهها وهو أصفر
اذا فاخرته الريح وات عليلة * بأذيال كثبان الربى تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيي وهو لاشك جعفر

(وقال) علي بن ظافر مررت أنا والقاضي الاعز رحمه الله تعالى بساقية تتلوى تلوى الافعوان * وتخفق خفقان قلب الجبان * والزهر قد نظم بابتها عقودا فوق أثوابها الممسكة والنسيم يكسوها ويسلبها غلائل معركة فقلت

* أساقية أم أرقم فر هاربا * (فقال) * أم الريح قد هزت من الماء قاضبا *

(فقلت)

حصا مثل در الثغر أجرى زلاله * رضابا وأبدى نبته النضر شاربا

(فقال)

يوشحها زهر الرياض قلائدا * ويلبسها مر الرياح جلابيا

(وقال) الاديب أبو اسحق ابراهيم بن خفاجة

ورائحة رياتها تهابها الصبا * تهادى عطف المترف المتخور
وقد صقلت من صفحة الماء منصلا * به من شعاع الشمس رونق جوهر

فمن

فمن شبك قد حيك حوك مفاضة * ومن سبك قد صيغ صيغة خنجر
وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا * بأضعف من طرف المريب وأفتر
ولاح على بلورة من غديره * شعاع شراب للعشية أصفر
وصفرة مسواك الاصيل تروقني * على لعس من مسقط الشمس أسمر
الى أن توارت بالحجاب مريضة * تلفع في ثوب من الليل أخضر
وغازلني جفن من الافق أنجل * يدير من الظلماء مقلة أحور

(ونقلت) من كتاب نزهة الابصار في نعت الفواكه والثمار تأليف الشيخ الفاضل الكامل محمد بن القاضي المنشئ البليغ ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلي ولم أزل من الازهار في سؤال وجواب وأنا منصت انصات المتعجب لمفاوضات الاحباب اذ سمعت صوت هاتفة ورقاء على بانة خضراء بلسان فصيح وقلب بفرقة الاحباب جريح وقد أوقفت على غصنها الرطيب ومالت وأعلنت بما أسرته من وجد وقالت

اذكرونا ذكرنا عهدكم * رب ذكرى قربت من ترحا
اذكروا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

يا معشر الرياحين التي يزهى حسنها على كل حين لقد جزتم حد الاكثار ولم يبق أحد كم من سقطات العثار هب انكم نزهة العيون وزينة الافنان والفنون فهل أنتم الا عشاش أفراخنا ومواضع أوساخنا واهواد خطيائنا وأرائك اجرائنا ومهود أبنائنا وستور نسائنا رؤسكم محط أرجلنا وهاماتكم نعال أرجلنا ونحن المسجون بحمد ربنا المثنون عليه بالالسن الناطقة والافواه العذبة الرائقة فلما سمعت كلام الحمام هممت بالانصراف من حيث أتيت لاخبر بما سمعت ورأيت اذا أقبلت غمامة تمشي اثقلها مشي الزداح ويكاد يلسها من قام بالراح وما أظلت الا أضاء البرق في جوانبها فتمثلت ليلا في صباح فلم يزل البرق يأخذ في اذهاب ردائها ويبدو تذيرا لدى أصوات ندائها وهل يلقى على الارض ما حملته في احشائها ثم قالت يا ذوات البكاء والنوح المفتخرات على الارائك والدوح ألستم الباكين بغير جوى الشاكين ألم الفراق من غير هوى بكم عرف الشقاق واشتهر ذكره في الآفاق قلوبكم خاشعة وعيونكم غير دامعة ومنكم عرف

اختلاف الباطن والظاهر وقد أعرب عن ذلك قول الشاعر

وهاتفة فى البان تملى غرامها * فتتلو علينا من صبابتها صحفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

(ونقلت) من خط الشيخ شمس الدين محمد بن سمندار الذهبى لنفسه الكريمة (توفى قريبا من سنة خمس وثمانين وسبعمائة) وأنشدنى من نظمه

سماع غناء الطير للروح مرقص * ومن طرب بالزهر منه ينقط

(الباب السابع عشر فى آنية الراح)

الشراب فى الزجاج أحسن منه فى كل جوهر لا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل فى اليد ولا يرتفع فى السوم وقدور الزجاج أطيب من قدور الحجارة وهى لا تصدئ ولا تندى ولا يتخللها وسخ الغمر وأوساخ الوضر وان اتسخت فالماء وحده لها جلا ومتى غسلت بالماء عادت جديدة ومن كرع فيه بشرب فكأنما يكرع فى اناء وماء وهواء وضياء (وما أحسن) رسالة سهل بن هرون يفضل الزجاج على الذهب الزجاج يحلو نورى والذهب متاع سائر والشراب فى الزجاج خير منه فى كل معدن ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل اليد ولا يرتفع فى السوم واسم الذهب يتطير منه ومن لونه مصيره الى اللآم وهو فاتن قاتل لمن أصابه وهو أيضا من مصائد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران والزجاج لا يحمل الوضر وهو أشبه شئ بالماء وصفته عجيبة وهى رسالة طويلة (ومن) أحسن ما قيل فى ذمه قول النظام فانه أخرجه فى كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال سرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر ذكر الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والظرف انه وجد المتورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب عليه ياقوت وزبرجد فلم يدر ما هو فلقيه رجل من الفرس فقال أنا أعطيك فيه عشرة آلاف دينار فعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فباعه بمائة ألف دينار (ووجد) للوليد بن يزيد بعد مقتله جفنة بلور كأعظم ما يكون من الجفان قيل انها تسع ثلثمائة رطل ولما وقعت الفتنة بين عازم الدولة رقيب بن على وبين حاج خراسان بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وعازم الدولة يومئذ أمير الموسم ومقدم

القافلة

القافلة المصرية وكانت الهزيمة على الخراسانيين فنهبت أموالهم وأتى بعض النهابة الى عازم الدولة بزبدية فيروزج تسع وزن رطل شامى كأحسن ما يكون من الزبادلا يعلم لها قيمة ودفعها عازم الدولة بعد ذلك الى الظاهر ومن الاشياء النادرة المستظرفة المتجملات فى الملابس والمجالس ما ذكره الفقيه الكاتب أبو مروان عبد الملك بن بدرون فى شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون فى قصة جبلة ابن الايهم الغسانى وهو أن جبلة لطم انسانا من الناس فلما أراد الامام عمر اقادته منه فر الى هرقل وتنصر ثم ندم على تنصره فقال

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى منها اللجاج ونحوه * فنعت لها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى القول الذى قاله عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية أقطعه هرقل الاموال والضياع والرباع وبقى ما شاء الله ثم ان عمر رضى الله عنه بعث الى هرقل رسولا يدعوه الى الاسلام أو الى الجزية فأجاب الى الجزية فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل ألقيت ابن عمك هذا الذى عندنا يعنى جبلة الذى أتانا راغبا فى ديننا قال ما لقيته قال القه ثم ائتنى أعطك جواب كتابك قال الرسول فذهبت الى باب جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجموع مثل ما على باب هرقل قال الرسول فلم أزل أتلطف فى الاذن حتى أذن لى بالدخول فدخلت عليه فرأيته أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به اسود اللحية فأنكرت عليه فاذا هو قد دعى بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى عادت سوداء وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه على السرير فجعل يسائلنى عن المسلمين فذكرت له خيرا قال قد أضعفوا اضعافا على ما تعرف قال وكيف تركت عمر بن الخطاب قلت بخير حال فرأيت الغم فى وجهه لما ذكرت له من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تأبى الكرامة التى أكرمناك بها قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

نهى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال على ما قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال أبعد ما كان مني قلت نعم قد فعل رجل من بني فزارة أكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام فضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام فقبل ذلك منه وخلفته بالمدينة مسلما قال ذرني من هذا ان كنت تضمن لي ان يزوجني عمر ابنته ويوليني الامر بعده رجعت الاسلام قال فضمنت له التزويج ولم أضمن له الامر قال ثم أومى الى خادم كان على رأسه فذهب مسرعا فاذا خادم قد جاء ومعه خدم يحملون الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لي كل فقبضت يدي وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل في أواني الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت قال فأكل في الذهب وأكلت في الخلنج ثم جيء بطاس الذهب وأباريق الفضة فغسل يده في الذهب وغسلت في الصفر ثم أومى الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسي مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجواري عليهن تيجان الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسي ثم جاءت جارية كأنها الشمس حسناء على رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفي يدها اليمنى جامة فيها مسك فتيت وجامة في يدها اليسرى فيها ماء ورد فأومت تلك الجارية أو صفرت للطائر الذي على تاجها فطار حتى وقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيه ثم أومأت اليه أو صفرت فوقع على جامة المسك فتمرغ فيه ثم أومأت اليه فطار حتى نزل على تاج رأس جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما عليه في رأسه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجواري اللاتي عن يمينه فقال أضحكتنا فاندفعن يغنين يخفق عيدانهن

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق في الزمان الاول
يسقون من ماء البريص نديمهم * راحا يصفق بالرحيق المسلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

قال فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أتدري من يقول هذا قلت لا قال حسان

ابن

ابن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى الجواري اللاتي عن يساره فقال لهن أبكيتنا فاندفعن يغنين يخفقن عيدانهن ويقلن

لمن الدار أقفرت بعمان * بين أهل اليرموك فالجمان
ذاك مغنى لآل جفنة في الدهر * مجلى لحادث الازمان

قال فبكى حتى سالت دموعه على لحيته فقال أتدري من يقول هذا قلت لا قال حسان ثم أنشد الابيات التي أولها تنصرت الاشراف ثم سألني عن حسان أحي هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولي أيضا كذلك وأمر بمال لحسان ونوق موقرة ثم قال لي ان وجدته حيا فادفع الهدية اليه وأقره عني السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله وانحر النوق على قبره فلما أخبرت عمر بخبره وما اشترط علي وما ضمنت له قال فهلا ضمنت له الامر فاذا أفاءه الله به قضى الله علينا بحكمه ثم جهزني عمر الى هرقل ثانيا وأمرني ان أضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته قلت ان الشقاء سبق عليه في أم الكتاب وذكر الحكيم موفق الدين بن أبي أصيبعة في ترجمة الحكيم سديد الدين بن رقيعة قال ومن شعره وهو مما كتبه على كأس في وسطه طائر على قبة بحوفة اذا قلب الماء في الكأس دار الطائر دورانا سريعا وصفر صفيرا ومن وقف بازائه الطائر حكم عليه بالشرب فاذا شربه وترك فيه شيأ من الشراب صفر الطائر وكذلك لو شربه في مائة مرة فمتى شرب جميع ما فيه ولم يبق فيه درهم فان صفيره ينقطع والابيات هي هذه

أنا طائر في هيئة الزرزوري * مستحسن التكوين والتصوير
فاشرب على نغمي سلاف مدامة * صرفا تنير حنادس الديجور
صفراء تلمع في الكؤس كأنها * نار الكليم بدت بأعلى الطور
واذا تخلف في شرابك درهم * في الكاس ثم تبه عليك صفيري

(قلت) كتبت هذه الابيات لغرابة هذا الكأس وأما الشعر فانه ليس بطائل قال الثعالبي في تحفة الارواح وموائد السرور والافراح انه كان في الزمن القديم امرأة في العراق تعمد الى الصيني الابيض فتصير منه الشمشي والاسود والسماقي والاخضر حتى لا يشك ناظر في انه كان كذلك في الاصل وما علم أحد من الرجال سواها في ذلك وأهل الخبرة بهذا النوع اذا وقع في أيديهم

شئ من عمل هذه المرأة عرفوه (القول فى الكأس المصور) قال أبو نواس

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من خز الرقاق على الثرى * واضغاث ريحان جنى ويابس
تدار علينا الراح فى عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
فنال بها كسرى وفى جنباتها * مها قدرمتها بالقسى الفوارس
فللراح مازرت عليها جيوبها * وللماء مادارت عليه القلانس

قال الجاحظ وجدنا المعانى تقلب و يؤخذ بعضها من بعض الا هذا المعنى فان الحسين ابتدعه (قلت) وضمن هذه الابيات الاديب أبو الحسين الجزار تضمينا حسنا أجاد فيه الى الغاية وهو

كتبت بها فى يوم لهو وهامتى * تمارس من أهواله مايمارس
وعندى صحاب للجنون ترحلت * عمائمهم عن هاممهم والطيالس
فللماء مازرت عليه جيوبهم * وللراح مادارت عليه القلانس
مساحب من خز الرقاق على القفا * واضغاث انطاع جنى ويابس

وقال أيضا

بنينا على كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتها بنجوم
فلو ردفى كسرى ابن ساسان روحه * اذا لاصطفانى دون كل نديم

أخذه الباشى فقال

فى كأسها صور تظن لحسنها * عربا برزن من الجمال وغيدا
واذا المزاج اثارها فتقسمت * ذهبا ودرا تارة وفريدا
فكأنهن لبسن ذاك محاسدا * وجعلن ذا النحور هن عقودا

وقال ابن المعتز

وساق يجعل المنديل منه * مكان حمائل السيف الطوال
غلالة خده صبغت بورد * ونون الصدغ معجمة بخال
بدا والصبح تحت الليل باد * كطرف أبلق ملق الجلال
بكاس من زجاج فيه أسد * فرائسهن ألباب الرجال

وقال ابن قلاقس (ومولده سنة اثنين وخمسمائة ووفاته سنة سبع وستين وخمسمائة)

دارت

دارت زجاجتها وفى جنباتها * كسرى أنوشروان فى ايوانه
نخلعت من عطفيه حلة قهوة * وشربتها فغدوت فى سلطانه

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمه الله تعالى

ومشمولة قدهام كسرى بكأسها * فأضحى ينادى وهو فيها مصور
وقفت لشوقى من وراء زجاجة * الى الدار من فرط الصبابة أنظر

(وقال) المرحوم فخر الدين بن مكانس رحمه الله تعالى

اذا ما أديرت فى حشا عسجدية * بها كل ذى ملك وتاج تصورا
فحسبك نيلا فى السيادة أن ترى * نديمك فى الكاسات كسرى وقيصرا

(قلت) والسبب الموجب لتصويرها ماذكره الفقيه الكاتب أبو مروان عبد الملك ابن بدرون فى شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون (وهو) ان سابور بن هرمز الملقب بذى الاكتاف لما رجع من قتال بنى تميم قصد الروم والدخول الى القسطنطينية متنكرا فاستشار قومه فحذروه التغرير بنفسه فلم يقبل قولهم وسار متنكرا الى القسطنطينيه فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل فى جملتهم وجلس على بعض موائدهم وقد كان قيصر أمر مصورا أتى عسكر سابور فصوره فلما جاء قيصر بالصور أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة وأتى بعض من كان على المائدة التى عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدام الى الصورة التى على الكأس وسابور مقابل لها على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشبهين فقام الى الملك فأخبره فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور وهربت منه لامر خفته فيه فلم يقبل واذلك منه وقدم الى السيف فأقر بنفسه وجعل فى جلد بقرة وتمام حكايته الى أن خلص وعاد الى ملكه فى كتاب سلوان المطاع فى السلوانة الثانية منه وهى حكاية غريبة مشتملة على أنواع من الحكم (وقال) صلاح الدين الصفدى رحمه الله تعالى

كؤوس المدام تحت الصفا * فكن لتصاويرها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها * فاحسن ماذهبت بالطلا

(وقال) زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

دع الكاس من نقشها * وصاف بصاف أحب

اذا ذهبت بالمطلا * فقد طليت بالذهب

(وقال) شمس الدين بن العفيف فيما يكتب على كأس

أدور لتقبيل الثنايا ولم أزل * أجود بنفسى للندامى وأنفاسى
وأكسو أكف الشرب ثوبا مذهبا * فمن أجل هذا لقبونى بالكاسى

الشئ بالشئ يذكر قال شهاب الدين بن أبى حجلة مضمنا

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالاثيناس
وكمى العذار الجعد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

وقال ابراهيم بن الحاج الغرناطى (ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى)

يارب كاس لم يشح شمولها * فاعجب لها جسما بغير مزاجى
لما رأينا السحر من أشكالها * جملا نسبناه الى الزجاجى

(وقال) الاديب أبو بكر بن مجير وقد اقترح عليه حسود وصف كأس اسود فقال ارتجالا

سأشكو الى الندمان أمر زجاجة * تردت بلون حالك اللون أسحم
تصب بها شمس المدامة بيننا * فتغرب فى جنح من الليل مظلم
وتجحد أنوار الحيا بلونها * كقلب حسود جاحد يدمنعم

(القول فى القدح) قال القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى وصفه تكون من جوهر مكنون وتجسد من هواء مظنون واتخذ خدر الآنية العنب وطاف به الساقى فاصبح منه فى راحة وهو فى تعب فهقه عليه الابريق فصدح وطار منه شرار المدام فقيل قدح وكتب سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن ابى المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى فسح الله فى أجله الى سيدى الجناب المجدى فضل الله بن مكانس أدام الله عزه وذلك فى ربيع الاول سنة خمس وتسعين وسبعمائة وقد تجاسر العبد وتوقى بكارم الاخلاق المخدومية فأهدى هذا اللغز لينعم مولانا بقبوله ويتفضل بحله عند حلوله فقال ما اسم حبيب الى النفوس شبيه بالبدر حليف للشموس ان قلب كان لقلبه من العين مكان من المناسبة وان سقط قلبه مع هذا الفعل كان ضد اللاقوال الكاذبة وان صحف بعد العكس أنبأ عن الذكاء وهذا غاية الشرح وان غير ثانيا

علم

علم رب الكلام المحرر انه دال على الطرح حسبناه مع التصحيف آلة للصيد معينة على المكر والكيد ان قلع طرفه كان مزاج باقيه قواما وان عكس كان الطرب بتصحيفه مداما وان زال أوله كان العكس عتابا بالمتعاطى اثمه وان صحف اشتاقت الشفاة الى تقبيله ولثمه وربما كان الهزل عن تصحيفه الآخر منافيا لاسمه مباينا فى الحقيقة لحده ورسمه والمملوك يسأل الصفح عن هذا الهذيان والامتنان بالجواب مع شئ من نظم المقر الصاحبى للوالدى وشئ من نثره ليحلى المملوك بعقوده جيد تذكرته ويتأنس بحسنه الغريب فى زمن غربته فكل غريب للغريب نسيب ومدح مولانا أجل من أن يحيطه قلم العبد أو لسانه أو يحصره بيان الاديب أو بنانه ونسأل الله تعالى أن يمتع ببقائه ويعلى درجات ارتقائه بمنه وكرمه فكتب الجواب يقبل الارض التى أطالت بالجفا حرمانه وتدارکته بعد اجراء دموعه فعظمت فى الحالتين منهاشانه وانتهى الى اللغز الذى يمتع بحله ويشرب بقدحه فابتهل شكرا ومالت أعطافه بالقدح الفارغ سكرا فوجده كما قال حبيب الى النفوس يجتهد فى التوصل بماء حاره الى الرؤس يأتيك بالمعنى اللطيف ويقف حذقك من تصحيفه بعد العكس بين تحيف وتحريف فحله من ساعته وقابل شمسه المنيرة بذبالته وكتب قرينه لغزا وخالف نفسه اذ قالت لا تعبنى فى مجاراة هذا الجواد لزا وقد ذكرته أولا فى باب الرياحين وقال القاضى التنوخى رحمه الله تعالى

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك فى قدح من نهارى
هواء ولكنه جامد * وماء ولكنه غير جارى
اذا ما تأملتها وهى فيه * تاملت نورا محيطا بنارى

فهذا النهاية فى الابيضاض * وهذا النهاية فى الاحمرار
كأن المدير لها باليمين * اذا قام للسقى أو باليسار
تدرع ثوبا من الياسمين * له فردكم من الجلنار

وقال النضير الحمامى رحمه الله تعالى

أصبحت من أغنى الورى * مستبشرا بالقدح
عندى خمر ذهب * أكتاله بالقدح

وأنشدنى سيدى وأخى تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى لنفسه مضمنا رحمه الله

أرى طير أقداحنا نائحا * يحوم على عذب ورد القدح
فقلت لدر الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سبح

وقال ابن تميم

يا حسنه قدح يضئ زجاجه * ليل الهموم اذا ادلهم وعسعسا
أهديته مثل النهار فان حوى * صرف المدام غدا نهارا أشمسا

(الابريق) قال ابن المعتز

وكأن ابريق المدامة بيننا * ظبى على شرف أناب مدلها
لما استحثه السقاة حثى لها * فبكى على قدح النديم وقهقها

وقال ابراهيم بن اسحق الموصلى رحمة الله عليه

كأن أباريق المدام لديهم * ظباء بأعلى الرقتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رقابهم * من اللين لم تخلق لهن عظام

صاعد اللغوى

كأن ابريقنا والراح فى فمه * طير تناول ياقوتا بمنقار

السرى الرفاء الموصلى رحمة الله عليه

ابريقنا كف على قدح * تخاله الام ترضع الولدا
أو عابدا من بنى المجوس اذا * توهم الكاس سرعة له سجدا

السراج المحار (توفى سنة احدى عشرة وسبعمائة رحمة الله عليه)

يا حبذا شكل ابريق تميل له * منا القلوب وتصبو نحوه الحدق
يروق لى حين أجلوه ويعجبنى * منه طلاوة ذاك الجسم والعنق
كم قد شربت به ماء الحياة ولن * ينالنى منه لاغص ولا شرق
حتى غدا خجلا مما أقبله * فظل يرشح من أعطافه العرق

(الراووق) الجوبان القواس رحمه الله تعالى

ولما حكى الراووق فى العين شكله * وقد علق العنقود فى سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فكله * عيون على أيام عهد الصبى تجرى

وقال بدر الدين حسن المعزى رحمه الله

أعجب ما فى مجلس اللهو جرى * من أدمع الراووق لما انسكبت

لم

لم تزل البطة فى قهقهة * ما بيننا تضحك حتى انقلبت

وقال برهان الدين القيراطى رحمه الله

يا كرت راووقى وبطتى التى * قد قهقهت ودم المدامة يسفك
وأضعت مالى فيهما حتى غدا * هذا يصفى لى وهذا يضحك

وقال صدر الدين بن عبد الحق (توفى تقريبا سنة سبعين وسبعمائة)

أسبل الراووق لما صلبا * أدمعا لكن رأينا عجبا
بينما الراووق يبكى بدم * ضحك الابريق حتى انقلبا

وقال سيدى المقر المجدى سلمه الله تعالى وأجاد

قم واصلب الراووق واشف قلبى * منه وبلغنى بذاك سؤلى
واسفك دم الزق وناد هذا * جزاء من يلعب بالعقول

وقال محمد بن العفيف فى باطية وأجاد

انا المجالس والجليس أنيسه * أزهى بحسن ناضر للناظر
اصفو فاظهر ما أجن ولم يكن * فى باطنى شئ يخالف ظاهرى

وما ألطف من قال * عجلوا عجلوا بشرب البواطى * فالصواب الصواب نيك الخواطى كان لابى الحرث جسون دنا كان يقول انه لم يفسد فيه نبيذ قط منذ عشرين سنة فأوصى به عند موته للفضل الرقاشى وقال هذا جزاء له فانه كان كلما اجتمعنا على أمر قال قم فابد أبه (الامير صلاح الدين الاربلى) فيما يكتب على طبق تحت أقداح (توفى المذكور سنة سبع وثلاثين وستمائة ومولده سنة اثنين وسبعين وخمسمائة) رحمة الله عليه

من فرحتى بالندامى واجتماعهم * حولى وقربهم منى وايناسى
جعلت صفحة خدى تحت أخمص ما * قد غادرته الندامى أسفل الكاسى

(الباب الثامن عشر فيما يستجلب بها الافراح وهو خمسة فصول)

(الفصل) الاول فى من مدحها من الملوك والرؤسا
(الفصل) الثانى فى تدبير استعمالها على رأى الحكماء
(الفصل) الثالث فى آداب منتشيها وما يجب على مستعمليها
(الفصل) الرابع فى استهدائها واستدعاء الاخوان

(الفصل) الخامس فى من وصفها من الشعراء الاعيان

(الفصل) الاول قال كسرى النبيذ صابون الهم (قلت) من هنا قول الشيخ بدر الدين البشتكى

وكنت اذا الحوادث دنستنى * قرعت الى المدامة والنديمى

لاغسل بالكؤس الهم عنى * لان الخمر صابون الهمومى

(وقال) أرسطاطاليس الراح كيمياء الفرح (وقال) جالنيوس الراح صديق الروح (وقال) آخر الراح درياق سم الهم قال عبد الملك بن صالح الهاشمى ماحشمت الدنيا بأظرف من النبيذ وقال الثعالبى لكل شئ سر وسر النبيذ المرور (وقال) الدنيا معشوقة ريقها الراح (وقال) المجاحظ ان النبيذ اذا تمشى فى عظامك ودب فى أجرامك منحك صدق الحسن وفراغ النفس وجعلك رجى البال خلى الدرع قرير العين منشرح الصدر حسن الظن وسد عليك باب الغم وحسم عنك خاطر الهم وقيل لابى جيد الفضل بن وكيل ماتقول فى النبيذ المصفى المصفق المروق المعسل المعتق فجعل يتمنطق ويقول أخاف الا اشتغل بشكر الله تعالى الكريم على نعمه فيه وكان مطيع بن اياس يقول فى النبيذ معنى فى الجنة موجود لان الله عز وجل يقول اخبارا عن أهلها الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والنبيذ يذهب الحزن (وقيل) لابى عائشة ان فلانا لا يشرب النبيذ فقال قد طلق الدنيا ثلاثا (وقيل) للاعمش مثل ذلك فقال دعوه حتى يقتله القولنج (وقال) يزيد بن المهلب وددت لو ان كأسا بألف دينار وكل منكح فى جبهة أسد فلا يشرب الاجواد ولا ينكح الا شجاع (وقال) عبد الملك للاخطل صف لى الخمر فقال أولها صداع وآخرها خمار قال فما يعجبك منهما قال ان بينهما طربة لا يعادلها ملك وانشأ يقول

اذا ماانديمى علنى ثم علنى * ثلاث زجاجات لهن هدير

خرجت أجر الذيل حتى كأننى * عليك أمير المؤمنين أمير

(وقال) ابقراط الخمرة صديقة الجسم والتفاحة صديقة النفس (نادرة) اجتمع محدث ونصرانى فى سفينة فصب النصرانى من زكوة كانت معه فى مشربة وشرب وصب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداك انما هو خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها

غلامى

غلامى من يهودى وحلف أنها خمر فشربها بالجملة وقال للنصرانى أنت أحمق نحن أصحاب الحديث افنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ماشربتها الا لضعف الاسناد (وقال) المجاحظ كل شئ من المأكول يكون أوله أطيب من آخره الا النبيذ فان القدح الاول ثقيل والثانى أسهل والثالث أسلس والرابع أسوغ والخامس أعذب والسادس الذى ينتهى الى غاية المرور (حكى) ان عبد الملك بن مروان امتحن اعرابيا من الشعراء فقال صف لى الخمر فاطرق الاعرابى وقال

شمول اذا شجت لدى الماء مرة * لها فى عظام الشاربين دبيب

تريك الغذاء من دنها وهى دونه * لوجه أخيها فى الوجوه قطوب

(فقال) عبد الملك شربتها يا اخا العرب ووجب عليك الحد فقال ومن أين لك ذلك يا أمير المؤمنين فقال لانك وصفتها بصفتها فقال وانى قد رابنى من أمير المؤمنين مارابه بأن يكون أيضا شربها اذ عرف انى وصفتها بصفتها فضحك منه وأحسن جائزة (نادرة) جلد مدنى فى الشراب وكان طويلا والجلاد قصيرا فقال له تقاصر اينالك السوط فقال ويلك الى أكل الفالوذج تدعونى والله لوددت انى أطول من عوج وانك أقصر من يأجوج ومأجوج (كتب) رجل الى ابن قريعة القاضى فتيا (توفى المذكور سنة سبع وستين وثلثمائة ببغداد) مايقول القاضى أيده الله فى رجل سمى ولده مداما وكناه أبو الندامى وسمى ابنته الراح وكناها ام الافراح وسمى عبده الشراب وكناه أبو الاطراب وسمى وليدته القهوة وكناها ام النشوة أينهى عن بطالته أم يؤدب على خلاعته (فكتب) تحت سؤاله لو بعث هذا الابى حنيفة لاقعده خليفة ولعقد له رايه وقاتل من تحتها من خالف رايه ولو علنا مكانه لمسحنا أركانه فان أتبع هذه الاسماء افعالا وهذه الكنا استعمالا علمنا أنه قد أحيى دولة المجون وأقام لواء ابنة الزرجون فبايعناه وشايعناه وان تكن اسماء سماها ماله بها من سلطان خلعنا طاعته وفرقنا جماعته فنحن الى امام فعال أحوج منا الى امام قوال انظر أيدك الله الى معانى هذا النثر الذى يعجز عنه البديع والمجون الذى لا يلحقه الخليع (وقالت) دنانير جارية البرامكة من أصبح وعنده قينة ناقصة وزبدية طباهجة باردة وتفاحة معضوضة ولم يصطبح فهو أحمق فاسد المزاج

يحتاج الى العلاج

(الفصل الثانى فى تدبير استعمالها على رأى الحكماء)

قال الشيخ الامام علاء الدين أبو الحسن على بن ابى الحزم القرشى المتطبب المعروف بابن النفيس تغمده الله برحمته فى الجملة الثانية فى قواعد الحبر العلمى من الطب فى كتابه المشهور المعروف بالموجز عند ماذكر تدبير المشروب ماهذا نصه وخير الشراب ماطاب طعمه وعطرت رائحته وصفى لونه واعتدل قوامه والعلامة الجيدة للشراب الجيد الخالى من الغش أنه اذا ترك المقدار القليل مدة طويلة لم يفسد وبقدر طول المدة تعرف الجودة والرقيق اللطيف أسرع اسكارا وتحللا والغليظ أبطأ اسكارا وتحللا وأدوم خمارا لكنه يسمن وخصوصا الحلو وليكن من تسديده على حذر ويختار للشباب والمحرورين الابيض الممزوج قبل شربه بمدة بكثير الماء وللمشايخ الاصفر القوى القليل المزج فان أرادوا الاغتذاء والسمن فالاحمر ودع الشيخ وما احتمله وجنبه الصبيان وعدله فى الشبان وانما يستعمل الشراب عند انحدار الغذاء من المعدة واما فى خلل الاكل أو عقيبه فضار لتنفيذه الغذاء على فجاجته على ان المعتاد به لا ينتفع باستعمال ما يعين على الهضم الا بمقدار ما يقوى على التنفيذ ومادام السرور يتزايد واللون يحسن والبشرة تلين والجلد يربو والحركة نشيطة والذهن سليما فلا تخف من افراط فان أخذ النعاس يغلب والغشيان يقوى والبدن والدماغ يثقل والذهن يتشوش والحركة تسترخى فقد وجب الترك فحينئذ يجب القىء والقىء على قليل منه ردىء لانه يغصب من البدن ما ينفعه والشرب بالاقداح الصغار خير من السكار والتبعيد بين الاقداح ليتهضم الاول قبل ورود الثانى أفضل وينبغى أن يحف مجلس الشراب بالمنظر الذ يذ من الازهار والمحبوبين من الناس والارايح اللذيذة والسماع المطرب ورفع كل ما يغم ويقبض النفس كالوسخ والصنان واللباس القذر والكمد وبعد غسل البدن والاماراف ولبس المشرف وتسريح الرأس واللحية وتقليم الاظفار وليكن المجلس مشرفا فسيحا بقرب المياه الجارية ومع الظرفاء من الاصدقاء وذلك لان الشراب يحرك قوى النفس ويثير كل الشهوات فاذا لم تجد كل قوة

مطلوبها

مطلوبها تأذت وانقبضت فلا تقبل النفس على الشراب كل القبول ولا تتصرف فيه التصرف الواجب فيقل نفعه وربما فسد فكان شره أكثر من نفعه ومنافع الشراب منها نفسية ومنها بدنية أما النفسية فلا يمكن ان يساويه فيها غيره وذلك كالسرور وبسط النفس وتفسيح أملها وتشجيعها وازالة البخل والغم والفكر الفاسد وهو أنفع الاشياء للمحزونيا التفريحه المضاد لايحاش السوداء وتحسن الظن وتقوى ذهن قوى الدماغ لان دماغه لا ينفعل عن ابخرة الشراب المسكر بل عن حده اللطيف فيصفو ذهنه صفاء لا يصفو مثله بغيره فلذلك قوى الدماغ لا يسكر بسرعة وبسرعة السكر وبطئه تعلم قوة الدماغ وضعفه وأما البدنية فانها وان أمكن أن تستفاد بغيره من المعاجين والمركبات فذلك يعسر وذلك كتحسين اللون وانارته وتبريقه واشراقه وتقوية الحرارة الغريزة وانعاشها وانضاج الرطوبات واذلاقها وتفتيح المجارى وازالة تسددها وتفتيح المسام وتقوية الهضم وتكبير الروح وتلطيفها وانارتها واثارة الدم وتنقيته وانضاج البلغم وتلطيفه وادرار الصفراء وترطيبها وتعديل مزاج السوداء وقمع عادتها واخراجها ونفعه يتعلق بالقوى الطبيعية والحيوانية أكثر من القوى النفسانية وادامته تبلد الذهن وترخى العصب وتورث الرعشة والتشنج وكثيرا ما يموت السكران بالسكتة والصرف محرق للدم مفسد لمزاج الدماغ والكبد والمسطار يخاف منه ذوسنطار بالنقحة واسهاله والسكر المتواتر يوهن قوى الدماغ والعصب ولا بأس به فى الشهر مرتين لاراحة قوى الدماغ والفصل والبلد البارد ان يحتملان كثرة الشراب وقوته وما أمكن ترك التنقل فهو أولى لكن المحرور قد ينتفع بالتنقل بمثل السفرجل والرمان الملز والتفاح والكمثرى والزعرور واقراص الليمون وحماض الاترج وشرابه بل يحتاج الى التنقل بأقراص الكافور كما يفعل بالمدقوقين والمبرودين بحوارش التفاح والخلنجبين والتمر والفستق والمرطوب بالقرعامة وزيتون الماء والفستق واللوز المملوحين والاشياء التى تبطئ بالسكر التنقل باللوز وخصوصا المزغمون لوزة يستعمل قبل الشرب فيمنع السكر وكذلك التنقل ببزر القنبيط المملح وأكل القنبيطة والكرنبة قبل الشراب وكذلك استعمال المدرات والمثايد الدهنية وان أبطأت بالسكر لكنها تمنع كثرة الشرب والمسكرات بسرعة كالتنقل بجوز الطيب

ونقعه فى الشراب وكذلك العود والشيلم وورق العنب والزعفران وكل هذه
تسكر مفردة وأما البنج والملقاح والشوكران والافيون فقط وانما يستعمل
لمن يريد أن يعالجه بما لا يحتمله فى الصحو ومما يذهب رائحة الشراب الكزبرة
اليابسة والراس ودارصينى العين وأفضل ما يمزج به الشراب الماء وقد يمزج
بماء لسان الثور ليزداد تفريحه وهو بذلك يسر سرورا عظيما وقد يمزج بماء
الورد فيقوى المعدة والقلب أكثر وقد يمزج بأمراق الفراريج واللحم لمن غشى
عليه أو ضعف وضيف عليه ان لا تطول المدة الى حيث تصل المرقة مفردة
والله أعلم انتهى كلام ابن النفيس الحكيم الفاضل المؤيد محمد بن المحلى الشهير
بالعنترى فى كتابه النور المجتنى من رياض الندماء واعلم ان الاكثار من الخمرة
يحدث الامراض الباردة الرطبة كالسكتة والفالج واللقوة والخدر والرعشة
والاسترخاء والسبات هذا لمن مزاجه مستعد للبرد فأما أصحاب المزاج الحار فانها
تولد الحميات الحارة ولا سيما ان وافقها غذاء حار وفصل حار ومزاج صرف
والغرض من الخمرة أن يأخذ منها اليسير بعد الطعام بثلاث ساعات ولا بأس
باستعمال النشوة والسكر فى الشهر مرتين نافع وكذلك القيء مرتين فى الشهر
ويجب ان لا يؤخذ الغذاء الا وقت الشهوة وبعد الرياضة ومن أراد الاستكثار
من الشراب فلا يستكثر من الطعام ومن أراد أن يطول جلوسه على الشراب
فلا يستكثر من الرياضة والحمام ولا يمتلىء من الطعام واذا كان الغذاء ظهرا كان
الشراب عصرا ويبدأ بالاقداح الصغار أولا وأما أوقات الاجتماع عليها فيكون
ذلك والقمر فى برج الزهرة أو عطارد متصلا بهما اتصالا مستقيما ولا يحذر ثبوت
المشترى ونظره الى القمر والعاقل اذا انقطع الى الخمرة فى يوم مذموم كفى شر
ذلك اليوم باشتغاله بها الا أنه يجب أن يكون خلوه مع نديم مأمون الجانب عاقلا
يكفى شر ذلك اليوم ان شاء الله تعالى ومنه صفة تفاحة تسكر سريعا اذا شمت
يؤخذ زعفران وميعه وجام ولتاح وقشور أصل البروح ينعم سحقه ويعجن
بشراب صرف عتيق ويتخذ منه تفاحة منقشة وتشم والحرمل مفردا ومع
الشراب يسكر الشارب سكرا مفرطا ومن شرب خمس سعدات أو عشرة
ممحوقة لم يسكر يومه ويجب ان لا يفعل ذلك الا صاحب المزاج البارد وأما
المحرور فيجعل غذاءه اذا أراد أن لا يسكر بالخل والسماق والحصرم وماء الليمون

بلحوم الدجاج والجداء والخرفان ويمتص ماء الرمان المز وأكل السمك الطرى
بالخل والتنقل باللوز الحلو لا سيما ان وافق ذلك سماع مطرب أو نديم يجب
(وينشد)

الخمر طيبة وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس

(ما يقطع رائحة الشراب من الفم) فمن ذلك سعد وكابة ودارصينى بالسوية يدق
ويستف منه مثقال لا سيما بعد القىء المستقصى وسف الكزبرة والنعناع ومضغ
العود الرطب وكذلك السعد وأكل البصل يخفى رائحة الشراب والفوتنج
النهرى اذا مضغ قطع رائحته انتهى كلام العنبرى (وقال) التيفاشى فى كتابه
سرور النفس بمدارك الحواس الخمس وهو عمدة مجلدات اننى لما رأيت لهيج
الخلفاء والملوك وشغف جمهور الامم من العرب والعجم بشرب شراب العنب
واختلاف مذاهبهم فى استعماله مع الاتفاق على الميل اليه على تباين نحلهم
ومللهم وقد ذكر عن الاحنف بن قيس ان رجلا قال له يا أبا بحر ما ألذ الاشربة
فقال له الخمر فقال كيف علمت ولم تذقها قال لانى رأيت من أحلت له لا يصبر
عنها ورأيت من حرمت عليه يخطئ البهائم ووجدت جل من يستعمل هذا
المشروب لا يفى له خيره بشره ولا يقوم نفعه بضره وذلك لجهله بوجه استعماله
فان من المعلوم ان الخمر انما المقصود من شربها منفعتان احداهما للنفس
بالتفريح ونفى الهموم واخراهما للبدن بحفظ صحته عليه ونفى الامراض النازلة به
وتحقق عند كل من له أدنى مسكة من عقل أنها اذا استعملت على غير ما ينبغى
انعكست هاتان المنفعتان مضرتين فصار عوض السرور هما وغما وضجرا وسوء
خلق وعوض الصحة مرضا مزمنا أو موتا فجأة حسبما نشرحه الا انه لا يقتصر الامر
على عكس هاتين المنفعتين فقط بل يتعدى الى مضار اخرى عظيمة ان سلمت
المهجة كذهاب العقل والمال والجاه والذكر الجميل بل لا يقف الامر على ذلك
بل يتعدى الضرر الى الاعقاب فان الحكماء أجمعوا قاطبة على أن مدمن الخمر
لا ينجب وان أنجب كان الولد أحمق انتهى كلام التيفاشى (ونقلت) من
مجموع بخط بعض الافاضل قد ذكر الحكماء والاطباء والعلماء والشعراء
والفضلاء والبلغاء من مضار الخمر ومنافعها وبهجة عواريها وطوالعها فمن ذلك
قولهم الخمر يسخن الجسم ويجود الهضم ويرطب الاعضاء ويسكن القىء

والعطش اذا مزجت وتدر البول وتسهل الطبيعة وتسر النفس وتحدث النشاط والطرب والارتياح لاسيما في الابدان المعتدلة هذا في أخذ القصد فاذا أكثر منها أحدث ذلك السهر وورم الكبد وقلة شهوة الجماع والغذاء والنسيان والبخر والرعشة والدمع وضعف البصر والحميات واختلاط العقل والتبلد والسكتة والصرع وموت الفجأة لان الخمر تملأ الدماغ فتغمر الحرارة كما يغمر الدهن نار السراج فيطفئ انتهى

(الفصل الثالث في آداب منتشيها وما يجب على مستعمليها)

ينبغي للعاشر والنديم المجالس للملوك والرؤساء ان يكون نظيف الكف نقي الظفر متعاهدا التقليم والتخليل بين أصابعه وغسل يده ومعصمه في أوقات وضوءه ومطعمه طيب المعانى عطر البشرة نظيف الوجه والشارب والانف نقي الجبين مستعملا للسنوت وأخذ السعد بالغدوات وتسريح اللحية وتنظيف الثياب وعمامته خاصة لان العين كثيرا ما تقع عليها متعطرا بالبخور والغالية والدرايرعلى الشعر والثياب وليجلس في مرتبته بحسن أدب وسكون جاشر بغير اتكاء ولا مدرجل ولا عبث بثوب ولا بلحية وليهض بنهوض الملك ويجلس حيث يشير اليه ويدنوا اذا استدناه ويجيبه اذا سأله ولا ينهض عن المائدة أولا ولا يمد يده مبتدئا ولا يلعق أصابعه ويعيدها في الطعام ولا يغمس أنامله ولا يسرع المضغ ولا يكثر الضحك والكلام ولا يعض اللحم بأسنانه ولا يرد ما عض في الصحفة ولا يتناول شيأ بين يدى غيره ولا يكثر اللقم ولا يفتت الخبز ولا يخلخل الملح ولا يلتقط الدسم بالخبز ولا يكثر من اغتراف المحبوب والاماق خوفا من أن يسيل على الثياب وينسب الى الشره وسوء الادب ولا يفسخ الدجاج بيده بعنف خوفا من الاندلاق وهو أن يكون تحت جلد الدجاجة أو في أورا كها دسم فيطير على ثياب من بازائه بل يقطع بالسكين على تواضع ولا يحصر الزيتونة بشدة فربما طارت نواتها فأصابت وجه جليسه ولا يحمل بيده الحلوى بكثرة ولا يدخل الى فيه الطعام الحار ثم يخرجه من فيه ولا ينفخ فيه وفي المرقة ليبرد ولا يكثر شرب الماء ولا يتجشى ظاهرا ولا يمشمش العظام ولا ينفض المخانخ ولا بعض الفواكه ان حضرت قبل الطعام ولا يمد يده الى قطعة لحم مشهورة ولا بيضة منضورة ولا

سنبوسجة مشتهاه ولا ما تقع الشهوة عليه ولا ما تسارع النفس اليه ويجب أن يتجنب الخمرة في مجالس الملوك ومن يخاف على عرضه (حكى) ان المتنبي كان يأبى شرب الخمر ويكرهه فألزمه سيف الدولة بن حمدان فشرب ذات ليلة عنده ففرطت منه فارطة بأن قبل غلاما ومازحه ثم ندم لوقته فقام وانصرف وبقي أياما لا يحضر مجلسه فأكثر بطلبه حتى حضر فأمره بالشرب فامتنع وأقسم انه لا يشرب أبدا خمرا وانشأ يقول

رأيت المدامة غـلابة * تهيج للمـره أشواقـه
تسيء من المرء أدبيـه * ولكن تحسـن أخلاقه
وبالامس متـ بها مرتة * وهل يشتهي الموت من ذاقه

فعفاه من الشرب واذا لزم العاقل الشرب في مجالس الملوك فلا يشرب فان غلب لزم الصمت والسكوت وتكلفه الا أن يسأل فيرد جوابا مختصرا (وحكى) أن نصيبا كان بمجالس عبد الملك بن مروان ويؤاكله ويجلس قريبا منه فألزمه بالشرب فقال يا أمير المؤمنين لست لك بقرابة ولا لي عليك يد بيضاء ولا أنا ذو حسب ونسب وانما أنا عبد أسود قربني منك أدبي وعقلي فيأبى بك أن تسلبني أدبي وعقلي الذي قربني منك فعجب منه وعفاه (وينبغي) أن لا يشربها أبدا الحمقى والسفهاء والجهال حتى يخرجون في فجورهم وسفههم وتكثر حماقتهم وقال أبو نواس رحمه الله تعالى

والخمر قد يشربها معشر * ليسوا اذا عدوا بأكفائها

وقال آخر

وقد تعرف الجهال من حلمائنا * اذا ما تعاطينا الكؤس تعاطيا
تزيد حميا ها السفيه سفاهة * وتترك ألباب الرجال كما هيا
وجدت أقل الناس عقلا اذا انتشى * أقلهم عقلا اذا كان صاحيا
على ان دليل من صحبت فلا يكن * جليسك من يحكي اليك المساويا

وقال آخر

على قدر عقل المرء في حال صحوه * يؤثر فيه الخمر في حال سكره
فيأخذ من عقل كثيرا قليله * ويأتي على العقل اليسير بأسره

قال المأمون الشراب ستر فانظر مع من تهتكه وقال الجاز حرم النبيذ على ثلاثة عشر

نفسا على من غنى الخطأ واتكأ على اليمين وأكثر أكل النقل وكسر الزجاج وسرق الريحان وبل ما بين يديه وطلب العشاء وقطع اللمة وجلس أول قدح وأكثر الحديث وامتخط فى منديل الشراب وبات فى موضع لا يحتمل المبيت ونحن المغنى ونقلت من خط الحافظ جمال الدين اليغمودى من مجاميعه المسماة بكنوز الفوائد ومعادن الفرائد ماصورته لما تقلد كسرى أنوشروان مملكته عطف على الصبوح والغبوق فكتب اليه وزيره رقعة يقول فيها ان فى ادمان الملك الشرب ضررا على الرعية والوجه تخفيف ذلك والنظر فى أمور المملكة فوقع على ظهر الرقعة اذا كانت سبلنا آمنة وسيرتنا عادلة والدنيا باستقامتنا عامره وعمالنا بالحق عامله فلم نمنع فرحة عاجله قال أبو سليمان أخطأ كسرى من وجوه أحدها أن الادمان افراط والافراط مذموم وآخر أنه جعل أن أمن السبل وعدل السيرة وعمارة الدنيا والعمل بالحق لم يوكل به الطرف الساهر ولم يحظ بالعناية التامة ولم يحفظ بالاهتمام الجالب لدوام النظام مع أنه متى كان كذلك دب اليها النقص والنقص باب الانتقاص والانتقاص مزيل للاصل مزعزع للدعامة وآخر أن الزمان أعزمن أن يبذل كله للاكل والشرب والتلذذ والتمتع فان فى تكميل النفس الناطقة باكتساب الرشد لها وابعاد ألفى عنها ما يستوعب أضعاف العمر فكيف اذا كان العمر قصيرا وكان مايدعو اليه الهوى كثيرا وآخر أنه ذهب عليه أن العامة والخاصة اذا وقفت على اشتمار الملك باللذات وانهماكه فى طلب الشهوات ازدرته واستهانت به وجذبت عنه بأخلاق الخنازير وأخلاق الحمير (وما) أحسن ماقال الاديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن الرفا الرصافى من رصافة قرطبة رحمه الله تعالى وقد مر بروضة نزهة فتذكر جلوسه فيها مع رفقة له كانوا أعزاء على قلبه

سلى خميلتك الريا بأيتما * كانت ترف بها ريحانة الادب
عن فتية نزلوا أعلى أسرتها * عفت محاسنهم الامن الكثب
محافظين على العليا وربتما * هزوا السجايا قليلا بابنة العنب
حتى اذا ماقضوا من كأسها وطرا * وضاحكوها الى حد من الطرب
راحوا رواحا وقد زيدت عمائمهم * حلما ودارت على أبهى من الشهب

لا

لا يظهر السكر حالا من ذوائبهم * الا التفاف الصبا فى السن العذب

(ونقلت) من خط سيدنا ومولانا الجناب المجدى فضل الله بن المرحوم الصاحب فخر الدين بن مكانس هذه الارجوزة وسماها عمدة الحرفاء وقدوة الظرفاء من نظم والده سامحه الله تعالى

هل من فتى ظريف * معاشر حريف
يسمع من مقالى * مايبهر اللآلى
أمنحه وصيه * سارية سريه
تثير فى الدياجى * كلعة السراجى
جالبة السراء * جليلة الانباء
ماجنة خليعه * بليغة مطبوعه
رشيقة الالفاظ * تسهل للحفاظ
جادت بها القريحه * فى معرض النصيحه
أنا الشفيق الناصح * أنا الجد المازح
أسلك الجماعه * فى طرق الخلاعه
اجد للاكياس * عهد أبى نواس
ان تبتغى الكرامه * وتطلب السلامه
أسلك مع الناس الادب * ترمن الدهر العجب
لن لهم الخطابا * واعتمد الآدابا
تنل بها الطلابا * وتسحر الالبابا
البس حلا الخلاعه * واخلع ردا الرقاعه
ولا تطاول بنشب * ولا تفاخر بنسب
المرء ابن اليوم * والعقل زين القوم
ما أروض السياسة * لحائز الرياسة
ان شئت تلقى محسنا * فلا تقل قط أنا
وان أردت لاتهن * اذ اؤتمنت لا تخن
العز فى الامانه * والكيس فى الفطانه
القصد باب البركه * والخرق داعى الهلكه

لاتغضب الجليسا * لاتسخط الرئيسا
لاتصحب الخسيسا * لاتوحش الانيسا
لاتكثر العتابا * تنفر الاصحابا
فكثرة المعاتبه * تدعو الى الجانبه
وان حللت مجلسا * بين سراة رؤسا
اقصد رضا الجماعه * وكن غلام الطاعه
داريهم باللطف * واحذر وبال السخف
لاتلفين كاذبا * لاتهمل الملاعبا
قرب الندامى يلعبى * للنردو الشطرنج
واختصر السؤالا * وقلل المقالا
ولا تكن معربدا * ولا بغيضا نكدا
ولاتكن مقداما * تسطو على المداما
لاتملك الاقداحا * تنغص الافراحا
لاتقطع الظرافه * لاتشحذ السلافه
لاتحمل الطعاما * والنقل والمداما
فذاك فى الوليمه * شناعة عظيمه
لم يرتضيها آدمى * غير وضيع عادم
وقل من الكلامى * مالاق بالمدامى
كرائق الاشعار * وطيب الاخبار
واترك كلام السفله * والنكتة المبتذله
وقالت الاكياسى * اذا أريق الكاسى
بادره بالمنديل * فى غاية التجميل
فشملة الكرام * سفتجة المدام
وان رقدت عندهم * فلاتشا كل عبدهم
فان سطت مره * فلا تعد ياعره
لاتأمنن الثانيه * فان تلك القاضيه
والديدبون احذره حذر * فانه احدى الكبر

فيالها

فيالها من فضيحه * ومحنة قبيحه
فاعلها لايكرم * وان دوى لايرحم
كم أسكن الترابا * ذا قوة ذبابا
وكم فتى من ذره * أصبح مفضيا لثقبه
جازوه من جنس العمل * وصار فى الخلق مثل
ليس له من آسى * كمثل بعض الناس
كفته تلك شهره * ومثلة وعبره
اياك والتطفيلا * وشامة الوبيلا
تيالها من محنة * وثلمة وهجنة
لاتقرب الطاعه * فانها دلاعه
ولا تكن مبذولا * ولا تكن ملولا
وان دعاك الاخوه * الى ارتشاف القهوه
فلاتصقع ذقنكا * ولا تزرهم بابنكا
ولا يجار الدار * ولا بشخص طارى
ولانجل تألفه * ولاصديق تصدفه
ولاتقل لمن تحب * ضيف الكرام يصطحب
فهذه أمثال * غالبها محال
سيرها الاغراب * السادة السغاب
قد وضعوها فى الورى * طرا بأولاد الخرا
وان حللت مشربه * مع سوقه لاكتبه
فأقلل من المدام * فى مجلس العوام
فكثرة المجون * نوع من الجنون
والامر فيه يحتمل * وكل من شاء فعل
وآخر الامر الرضى * وكل مفعول مضى
فعصبة العوام * ضرب من الانعام
وان صحبت تركى * فاصبر لاكل السمك
هذا اذا تلطفا * ولم يكن فيه جفا

وان يكن ذاعريده * ونزغة منكده
يقوم للجلوس * بالسيف والدبوس
أبشر بقتل القوم * ونحس ذاك اليوم
فاقبل كلامى واعتمد * وصيتى واوص وفد
ولا تخالف تندم * ولا تعزز تعدم
فالشؤم فى اللجاج * والخير لايلاجى
فهاكها وصيه * تعجبها التحيه
يحملها الكرام * اليك والسلام

(الفصل الرابع فى استهدائها واستدعاء الاخوان)

كتب ابن العميد الى بعض أصحابه يستهديه خمرا قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاء سيدى ومولاى رقدة عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابى كالثريا فان لم تحفظ علينا ما نحن فيه من النظام باهدائك المدام عدنا كبنات نعش والسلام (وقال) جحظة البرمكى يستهدى نبيذا (توفى سنة ست وعشرين وثلثمائة رحمه الله)

قد زارنى اليوم نور عينى * وكان بالامس صدّ عنى
وليس عندى له نبيذ * وليس يرضى بذاك منى
فجد علينا بنصف دن * بربع دن بثلث دنى
لا تنكرن كدنى وشحتى * فانى شاعر مغنى
حالان لو خافا مليكا * اذا لكدى بكل فن

(وكتب) عبد الرحيم بن أحمد القارىء خوى الى أخيه الاكبر

بلغ جمال الدين عبد الواحد * صدر الانام الماجد بن الماجد
برد الهوا زاد فى قلبى الهوى * فانعم علىّ بقلب ضد البارد

(وأنشدنى) الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس من لفظه لنفسه

براح ورمان بعثت اليكم * وبسر وتفاح تضوع كالند
كما حليت بكر على الشرب ناهد * مقمعة الاطراف قانية الخد

(الاستدعاء) قال بعضهم

تفضل

تفضل بحق الكاس والراح والهوى * وترجيل أصداغ تدون على خد
وكن غير مأمور جواب كتابنا * ولا توحشنا بالتعلل والوعد

ولآخر

جعلت فداك قد حضر الطعام * ونحت من تأخرك المدام
فاما جئتنا عجلا والا * أخذنا فى اغتيابك والسلام

(وكتب) أحمد بن يوسف الى صديق له هذا يوم رقت حواشيه وبدت تباشير الحبور فيه والمرء باخيه كبير وبمساعدته جدير وأنت قطب السرور ونظام الامور فلا تتأخر عنا فنثقل ولا تنفرد منا فنذل (وقال) عبيد الله بن طاهر (توفى سنة ثلثمائة)

القدر قد هدرت والدن مبذول * والروض قد درش والريحان مبلول
وقرت العين قد جاءت بزهرها * يصيح فى يدها والناى مشغول
ولا يتم لنا عيش ولا طرب * حتى نراك فانت القصد والمسؤل
وكل عيش بلا راح ومعجمة * ولا نديم ولا أنس فتعليل
يوم التلاق قصير كيف طال لنا * وغيره فيه مع ابعاده طول

وقال آخر نحن فى مجلس قد أبت راحته أن تصفو أو تتناولها يمناك وأقسم غناؤه لاطاب ان لم تعه أذناك فاما خدود تاريخه فقد احمرت خجلا لابطائك وأما عيون نرجسه فقد حدقت تأميلا للقائك ونحن لغيبتك كمد قد ذهبت واسطته وشباب قد اخذت حدته فاذا غابت شمس السماء عنا فلا بد أن تدنو شمس الارض منا فان رأيت أن تحضر لتتصل الواسطة بالعقد ويحصل بقربك فى جنة الخلد فكن الينا أسرع من السهم الى ممره والماء الى مقره (وقال) الوزير أبو القاسم بن السقاط يوما أعزك الله يوم بقيت شمسه بقناع الغمام وذهبت طاسه بشعاع المدام ونحن فى قطار الوسمى فى رداء هدى ومن نضير النوار على نضائد النضار ومن نواسم الزهر فى لطائم العطر ومن غرر الندمان بين زهر البستان ومن سقاة الكؤس ومعاطى المدام بين مشرقات الشموس وعواطى الارام فرأيك فى مصافحة الاقمار ومناغمة الانوار واجتلاء غرر الظباء الجوارى واتقاد رب الغناء المجازى موفقا ان شاء الله تعالى وقال محمد بن أبى محمد بن الفياض كاتب سيف الدولة بن حمدان

وقد أجلتنا يومين وهذا ثالث وأعليتنا عهدين وكنت الناكث فهل ابتدعت ما أتيت أو كان لك عليه باعث فيا قيم روحي ويا نسيم صبوحي هاقد آن الغبرق الا أنه يعز بمرشف شفتيك وكأس عينيك ووالله لاشربت الا على آس عذارك وورد خديك فابرر قسمي وورد الجواب من فك الى فمي وقال القاضي السعيد بن سناء الملك وقد انتظمنا انتظام الجمان واجتمعنا على رغم أنف الزمان وعندنا فلان وما أدراك ما فلان تارة يتطرفنا علينا البيت سحرا وتارة يهم فيفرق علينا درا وقال أبو الوليد بن الحبان الشاطبي نحن في روض أغصانه الندماء ونغماته الصهباء فبالله الا ما كنت لروض مجلسنا نسيما ولزهر حديثنا شميما وللجسم روحا وللطيب ريحا وبيننا عذراء زجاجتها خدرها وحبابها ثغرها بل شقيقة حوتها كمامه أو شمس حجبتها غمامه اذا طاف بها معصم الساقي فوردة على غصنها أو شمس بها مقهقهة فحمامة على فننها طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فأنت وحياتك اكليلنا وقد آن حلولها في الاكليل (وقال) بدر الدين بن صاحب وكتب بها الى الصاحب فخر الدين ابن مكانس تغمدهما الله برحمته وسامحنا واياهم بمحمد وآله هل لك بسط الله آمالك وضاعف نعيمك ودلالك في عذراء مصونه كالدرة المكنونه فتانة مفتونه كأن على خدها فوق ورده ياسمينه محذرة تدهش العقول لجمالها وتغشى العيون لضوء سناها مظلومة الريق في تشبيهها بالضرب وفي اللثات وفي أنيابها شنب لها من ذاتها طرب يغني عن المزامير بالقيسية الجمال لها صرح ممرد من قوارير ضرة للشمس تلبس زي البدور ليلين ويرطب بها عيش السرور ليلها من حسنها نهار وضوء وجهها اليد لامسها سوار يجوز الاسم صيغة الاستمتاع بكر تستخف الحليم بكشف القناع تمصبت بالدجى طيبا وتلثمت بالصباح وتلطفت حتى مازجت الارواح كريمة الاصل والفعال حسنة المعاني والخصال أديمها كلما يعتق يغلو ووردها كلما مر يحلو يخلع الوقور في حبها العذار ويطيعها بالسعد فلك الله والمدار ثملة المعاطف تقهقه قهقهة الرعونه كأنما خلقت نشوانة من الطينه يزداد ثغرها طيبا في ساعة السحر وتعرف عينها الخفية بحسن الاثر حديثها السحر الحلال وعتيقها خلع الدلال أيامها اعياد وأوقاتها أقوات القلوب والاكباد

تطيب

تطيب عيش الجلاس وتفرك أذن الوسواس من القاصرات الطرف في كل قصر وهي على الاطلاق مليحة ذهبية العصر رومية لها بالكيميا معرفه مع أنها بادراك المطالب متصفه فتارة تقلب الاحزان أفراحا ومرة تكال لك الذهب أقداحا نديمها يجد في نفسه تخاييل الملكه ويكاد أن يمد على الدنيا من لؤلؤ جباتها شبكه قينة كأنما غنت الفلك فنقطتها بالنجوم قارية تخلقت بعد أن تقمصت بياض الغيوم تجمع شمل الاحباب وتهذب الاخلاق الصعاب لو خالطها حبل لماس أو قابلها جماد لقيل انه كاس أوقنات ندماتها المانسبت الى اياس ولقال لسان حالهم وفيها منافع للناس وتلطف حتى كأن رائيها سامع يطيب ويطرب وحتى يكاد يأكل بالضمير ويشرب تغايرت الاستقصا آت على شكلها النوراني ومانفثت في خلقها الجثماني الروحاني فلم يجد الطير له فيها مدخلا لكن قنع منها بالتلطيخ تطفلا على أنه وارثها بالتعصيب وقل جدها للام بالتثريب أنفاسها مسكيه وطبائعها برمكيه ومكارمها خاتميه وانسانها قيصريه بكر بخاتم ربها وهي ترضع أباها من حلبها فتعيد الشيخ صبيا والمشغول خليا فكأنها استعارت الارضاع من أمها التي لها ندى كالنجوم عده وتعلمت منها المكارم لما رأت أكفها بالندى ممتده غانية طعم الحياة في ريقها وضيق الموت في مباينتها وتطليقها لا تنزل الحوادث ساحتها ولا يعرف التعب من صافح راحتها حمراء تخلع ثوبها على الندمان بل تكاد تطبق عينها على الانسان لا ينهض البليغ بوصفها فالعجز عن ادراك لطفها ادراك لطفها (أخبرني) الجناب المجدي سلمه الله تعالى أن والده أجاب عن هذه الرساله جوابا مجزعا الى الغايه وأن مسودتها عدمت وقال أبو الحسين بن بسام ليستنهض همة نديم (توفي سنة ثلاث وثلثمائة رحمه الله)

الا بادر فلا تأن سوى ما * عهدت الكأس والبدر التمام
ولا يكسل برؤيته ضبابا * يظن به الحديقة والمدام
فان الروض ملثم المى * ان توافيه فينحط اللثام

(وقال) الشهاب الاعزازي من موشحة أولها (توفي سنة عشرة وسبعمائه)

كأس رويه * جلا علينا النديم * أم سنا مصباح

أم شمس حسن * قد توجتها النجوم * فى سماء الاقداح

(ومنها)

وأجاد لنا خليل * نراه منذ ليالى
غائبا عنا * وماء الشمول * لذيذه وهو سالى
أيش منا * قل يارسول * نائبا فى ظلالى

(غيره) دوحه غنى زير جديه * ونم شادورنم * وبقا ياراح
ويوم دجن * وقد دعاك النديم * فأجب ياصاح

(وقال) الحكيم شمس الدين بن دانيال يداعب

شمس الدين قد أبطأت عنا * لامر قل لنا ماذا الجفاء
وقلت اليوم بعد العصر تأتى * وبعد العصر يأتينا الجزاء

(ونقلت) من خط الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس ماصورته كتبت الى صاحبنا الاديب الفقيه العالم الحافظ الراوية أبى حفص سراج الدين عمر السكندرى الشهير بالقوصى استدعيه وفيها بعض مداعبه

الحمد لله المجيب لمن دعاه

ياذا الذى فكره مثل اسمه يقد * فندت عنا ومامن شأنك الفند
بما اعتذارك عن هذا الصدود وما * هذا وقد ضمنا بالحيرة البلد
عافاك ربك من داء القطيعة بل * شفاك من كل داء أمره نكد
فيم التوانى وشهر الصوم مقتبل * عن خمرة ضوءها فى الكأس يتقد
وفتية مخلصين الود قد جبلوا * على المحبة لاحقد ولا حسد
ان ذاع وصفك فى ناديهم طربوا * أو جال ذكرك فيما بينهم سجدوا
ان لم تشرف بناديهم فما شرفوا * أولم تفق لهم آدابهم كسدوا
لم اذا هجرت بنى الآداب فابدلنا * فما اعتذارك لاأهل ولا ولد
قد صرت توحشهم بعدا وان قربوا * وكنت تؤنسهم قربا وان بعدوا
تركت عشرتهم لما رغبت الى * جاه طويل عريض زانه مدد
ماهكذا تفعل الدنيا بصاحبها * فالناس بالناس والاخوان تنتقد
وبعد فاحضر فذنب العبد مغتفر * ولو تطاول من هجرانك الامد
أولا فعصبة فسق كلهم سبق * سود غلاظ شداد مالهم عدد

لهم

لهم ايور قيام طول دهرهم * من حين ادراكهم بالحسين مارقدوا
كأنهم من حديد جمعوا زبرا * يستوثبون فلايقواهم الاسد
من كل ابر تحث السحب هامته * يهيج كالبحر اذ يبدو له زبد
مرنفل مكفهر معضب شرس * لظهره جلونات بها عقد
مسكرج الرأس فى عرنينه شمم * معشر الدوم فى حاقومه غدد
تلك الايور تراهم فى نكورهم * كأنهم تحت فسطاط السماء عمد
ومن قرى رقعتى هذى وليس يرا * عقيبه حاضرا لم يثنه أحد
مولاى انى محب فاتخذ كلمى * نصيحة فعليها المحل يعتمد
بادر لنا فبنو الآداب كلهم * تجمعوا من فجاج الارض واحتشدوا
وأنت أدرى بقوم ان قلوا سلقوا * بألسن مالقتلى حربها قود
فأوعدوك وان لم تأت نحوهم * فكل منحر فى الحال مايعد
لازلت ترقى على زهر النجوم علا * ماحلت الريح أقوام ومارصد

(وكتب) اليه يداعبه

يوم عليك سعيد * يبدى الهنا ويعيد
يابحر علم خضم * تأتى اليه الوفود
ياناقض الود يامن * شوقى اليه يزيد
ويارقيق الحواشى * ماذا الجفا والصدود
ياجامع الشمل يامن * بما لديه يجود
قد غيرتك الليالى * والجاه وهو شرود
فكيف تبدى نفارا * منا ونحن عبيد
لم لا تتيه وتعلو * على الورى وتسود
وأنت خلف لك قوم * كل قوى شديد
والناس شكوا وقالوا * ماشاب منه الوليد
والشعر فيك توالى * طويله والمديد
أصبحت كالبدر مراء * وهو القريب البعيد
ياأكثر الناس نحبا * قل لى لماذا العقود
وقد أتى الصوم فالمم * بنا فقربك عيد

واغتنم شفاءك واشرب * فقد أتتك السعود
واحضر الينا اذا ما * وافاك دن النضيد
فعندنا ان تزرنا * ما نشتهي ونريد
راح وظبي وشاد * يشجي الانام وعود
تزوج الماء بالراح * والملاح شهود
وأنت جوهر فضل * به تحلى العقود
لازال عزمك والر أى مفلح ورشيد
يستخدم الدهر فيما * تقره وتبيد
أيامه خدم وبيض والليالي سود

وقال آخر نحن قوم من شيعة الخمر نحب العتيق قد فرضنا عنايدالهم بسماع الوتر واغنانا من ناصب الغم وعدك المنتظر

(الفصل الخامس في من وصفها من الشعراء الاعيان)

القول في الكرمة الكرم أكرم الشجر جوهرا وأشرفها محتدا وعنصرا منافعها عظيمة وعوائدها جسيمة وثمرها يزهى على جميع الثمار طيبا ومنفعة ومواد الشرب فيما يستخرج منه مستجمعة وينبغي أن يختار لها أرض معتدلة رطبة لا مفرطة الرخاوة ولا صلبة ولا يكثر سقيها فيصير ما يعصر منها رقيقا مائيا ولا يفرط في تعطيشها فيكون يابسا ناريا ويعتمد تزبيل أرضها باخثاء البقر فانها حافظة لما استودعته دون غيرها من الشجر وان لا يغرس ما يضادها في أقرب مواضعها ولا يلاصقها الا ما يقاربها في طبائعها فيجتنب الدفلى والدلب والخروع وما يشاكلها وتجاور الورد والتفاح واللوز والخوخ وما عائلها والتفاح أشبهها به (نكتة حسنة) قال أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة لسليمان بن كثير بلغني أنك كنت في مجلس قد جرى بين يديك فيه ذكري فقلت اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه فقال نعم قلته ونحن في الكرم الحصرم لما نظرت اليه فاستحسن قوله وعفا عنه لسداد جوابه (القول) على ثمرها أجمع العجم والعرب على أن رأس الفاكهة التين والعنب لانهما يهديان الخصب الى الجسوم ونفذوا أنهما غذاء غير مذموم وعقيد

العنب

العنب اذا طبخ نفع من بعض الخوانيق وقطع الرطوبات المضرة بالحلوق وقد ورد في الخبر المأثور ما هو عند أصحاب الحديث مشهور وهو كلوا الزبيب فانه يطفئ الغضب ويذهب الوصب ويشد العصب ويرضى عن الرب وأطيب العنب ما اخضر عوده وتسلسل عنقوده وتدفق ماؤه وورق لحاؤه وقل عجمه واستجلاه مستطعمه وأفضل الاشربة ما اتخذ منه وهو الخمر لما فيها من الفضائل ولما انفردت به من شريف الخصائل فالالسنة منبسطة بنشر محاسنها والمدايح مشوقة اليها من أفضل معادنها والنفوس بمحبتها كلفه والقلوب الى ما تجتنيه منها متشوفه من اعتاد شربها لم يصبر عنها ومن لم يذقها ورآها دعاه نسيمها ولونها الى الاخذ بحظ وافر منها وما أحسن قول ابن المعتز فيها

معتقة صاغ المزاج لرأسها * أكاليل در ما لمنظومها سلك
جرت حركات الدهر فوق سكونها * فذابت كذوب التبر أخلصه السبك
وأدرك منها الآخرون بقية * من الروح في جسم أضربه النهك
وقد خفيت من صوفها فكأنها * بقايا يقين كاد يذهبه الشك

وقال القاضي الفاضل رحمة الله عليه

لها من تصفو على الشرب أربع * وواحدة لولاسماحتها تكفي
سرور الى قلب وتبر الى يد * ونور الى عين وعطر الى أنف
ولما رأينا ياسمين حبابها * مددنا يمين القطف قبل فم الرشف

وقال القاضي مجير الدين بن عبد الظاهر

خمرة للشقيق أمست شقيقة * بنت كرم بالمكرمات خليقه
قال قوم من اطفها هي في الكأ * س مجاز والكاس قالت حقيقه
كيف تغدو عتيقة لدنان * وهي في قبضة الندامى رقيقه
أنتجت فرحة وجاءت بكاس * صبغت حمرة فنعم العقيقه
هي مخلوقة من الماء فاعجب * كيف نار من مزنة مخلوقه
كم تبدت بها معاني سرور * بسوى الماء لم تكن مطروقه
سلفتنا على العقول وقالت * يتولى الجناب كتب الوثيقه
جمات همنا حميدا وشكرا * لعجوز على بنيها شفوقه

كم بكت بالدموع منها الرواوب ـــق وجاءت جيوبها مشقوقه
أترانى أعصى الهوى فيها ثم أخشى من أن يقول الخليقه

وما أحسن قوله ملغزا فى شمعة وان لم يكن مما نحن فيه لكن الشئ بالشئ يذكر بلوازمه

ومشمولة رقت وراقت فأصبحت
على الشرب تزهى حين تهدى الى الكاس
معتقة ماشمست بعد عصرها * لائم وكم فيها منافع للناس
ولا عصرت يوما برجل ولالها * اذا ما أديرت من صعود الى الراس

وقال ديك الجن عبد السلام بن رعبان الحمصى (مولده سنة احدى وستين ومائة وتوفى سنة ست وثلاثين ومائتين)

بها غير معذور فداوخمارها * وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
فقم أنت واحث كأسها غير صاغر * ولا تشق الا خمرها وعقادها
فقام بكاء الكاس تحرق كفه * من الشمس أو من وجنتيه استعارها
ظللنا بأيدينا نتقى روحها * فيأخذ من أقدامنا الراح ثارها
موردة من كف ظبى كأنما * تناولها من خده فأدارها

(قلت) أحسن ماضمن هذا العجز الشيخ بدر الدين حسن العربى الشهير بالزعارى

وبى سامرى مربى فى عمامة * قد اكتسبت من وجنتيها احمرارها
موردة دارت بوجه كأنما * تناولها من خده فأدارها

(وقال) مجير الدين بن تميم مضمنا

لو كنت شاهدنا وقد جليت لنا * فى كأسها لما انتشى الندماء
لرأيت أحسن مايرى بزجاجة * سال النضار بها وقام الماء

(وقال) صدر الدين بن غنوم

قم نفترغ بكر المدامة بكرة * فى روضة حسنت وراقت منظرا
فالراح سيف قاطع لهمومنا * أوماتراه بالحباب مجوهرا

(وقال) شرف الدين راجح الحلى

أعجب شئ رأته عينى * مابين عود وحقق نائى
زحف سرور بجيش هم * وقتل خمر بسيف مائى

وقال

(وقال) محيى الدين المغربى حافى رأسه (مولده سنة خمس وثمانين وستمائة وتوفى سنة اثنين وستين وسبعمائة)

لم يبتدر بدر الحباب بكأسها * الا لصيد بلابل الارواح
مزجت فأنجزت الذى وعدت به * من نفخ روح اللهو فى الاشباح

وقال الناشئ

صفت وأحداق نورها بزجاجها * فكأنما جعلت اناء اناتها
وتكاد أن مزجت لرقة لونها * تمتاز عند مزاجها من مائها
تزداد من كرم الطباع بقدرما * تؤدى به الازمان من أحزانها

وقال البديع الهمدانى قال ابن خلكان (كانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما بمدينة هراه)

وفتيان كأقران الثريا * على طرق من العيش الرخيم
بساقيهم من الغزلان أحوى * كأن بطرفه داء الطليم
تنادوا للمدام وعنفونى * وقالوا هاك حظك من نعيم
فقلت أخاف عقباها ولكن * أشيعكم الى باب الجحيم

وقال أبو تمام الطائى (توفى سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة) وفى وفاته ثلاثة أقاويل

بمدامة تعدو المنا لكؤسها * حولا على السراء والضراء
راح اذا ماالراح كن مطيها * كانت مطايا الشوق فى الاحشائى
صعبت وراض المزج بينى خلقها * فتعلمت من سنن خلق الماء
حوقاء تلعب بالعقول حبابها * كتلعب الافيال بالاسماء
وضعيفة فاذا أصابت فرصة * فبكت كذلك قدرة الضعفاء

وقال أبو الحسن على بن موسى الغرناطى ضمنى وايا يحيى الكاتب مجلس أنس فتذاكرنا ماقيل فى معاقرة الشراب فى المشيب فأنشدنى لنفسه

لاموا على حب الصبا والكاسى * لما بدا زهر المشيب براسى
والغصن أحوج مايكون لشربه * أيان يبدو بالازاهر كاسى

ثم قال هل سمعت فى هذا المعنى شيأ غيرى فقلت لا ثم أعملت حتى عملت فيه وهو معنى غريب قلت

يلومونني ان شبت فى الخمر صبوة * وانى اذا وافى المشيب بها أحق

اذا شاب رأس الليل بالفجر قربت * له أكؤس الصهباء من خمرة الشفق

آخر

صب فى الكاس عقيق فجرى * وطفا الدر عليه فسجج
نصب الساقى على حافاتها * شبك الفضة فاصطاد الفرح

وقال أبو نواس رحمة الله عليه

يطوف بها ساق أغن يرى له * على مستدار الاذن صدغا معقربا
اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل فى داج من الليل كوكبا

وقال ابن المعتز رحمة الله عليه

قد أظلم الليل يا نديمى * فاقدح لنا النار بالمدام
كأننا والورى رقود * نقبل الشمس فى الظلام

وقال ابن حديس المصنفلى رحمة الله عليه

قم هاتها من كف ذات الوشاح * فقد نهى الليل بسير الصباح
من قبل ان ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وقال ابن رشيد رحمة الله عليه أيضا

خليلى النفس لا تخلى الزجاجا * اذا بحر الدجى فى الجو ماجا
مشعشعة كأن الشمس ألقت * على أيدى السقاة به محاجا
اذا مزجتها اتقد احمرارا * سكبن المشترى فيه مزاجا

وقال ابن حجاج رحمة الله عليه

ويحكم يا كهول أوشيوخ الفسـ * ـق أويا معاشر الفتيان
اشربوها خمرا مما اقتناها * آل دير الفنون للقربان
بكؤس كأنها ورق النسـ * ـرين فيها شقائق النعمان
اشربوها وكل اثم عليكم * ان شربتم بالرطل فى ميزان
فى ليال لو أنها دفعتنى * وسط ظهرى وقعت فى رمضان

وقال ابن سناء الملك

الكاس لم تذنب فكيف حبستها * أوحشتها من طول ما أنسيتها
لا بل هممت بشربها ورأيتها * ألقت عليك شعاعها فلبستها

وقال وجيه الدين بن الدروى

يفيض على كمرى غلالة قهوة * ويسلمه عمدا لراحة سالب
ونص على دين المجوس لهيبها * فشق الدجى عن صدره مسح راهب

وقال القاضى الفاضل رحمه الله

يلوح عليها نجلة اذ أدارها * فمن عرق يبدو والحباب لذى المزج
أتانى بها والصبح من تحت ذيله * كما استل سيف أو كما ابتسم الربى
حبيب كأن كأسه من صبابتى * فظاهرها برد يزر على وهجى

وقال أبو نواس رحمة الله عليه

وخمار الحب عليه ليلا * فلا أنص قد تعبن من السفار
فترحم والكرى فى مقلتيه * كمخمور شكى ألم الخمارى
أين لى كيف سرت الى حريمى * وجفن الليل مكتحل بنعار
فقلت له ترفق بى فانى * رأيت الصبح فى خال الديار
فكان جوابه أن قال كلا * وهل صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسد فاها * فعادوا والليل منسدل الازار

وقال آخر

جلوها على الندمان فاجر وجهها * بخجلتها عند البروز من الخدر
وألقوا عليها الماء فاصفر لونها * وتحسن عند الملتقى وجل البكر

وقال يزيد بن معاوية

ولى وله اذا الكاسات دارت * رقاسحرا يحل عرى الهمومى
محادثة ألذ من الامانى * وأبث جوى أرق من النسيم

وقال البحترى رحمة الله عليه

تخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء
والماء نسيم كالرياض تنفست * فى أوجه الارواح والانداء
وفواقع مثل الدموع تحدرت * فى صحن خد الكاعب الحسناء

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى ملغزا فى مدام

وماشئ حشاه فيه داء * وأوله وآخره سواء
اذا مازال آخره بجمع * يكون الحد فيه والمضاء
وان أهملت أوله ففعل * له بالرفع والنصب اعتناء

وله

حيينا ها مشعشعة تلالا * وثوب الليل فضفاض الذيول
فخبها اذا الساقى جلاها * تقنش بالسراج على العقول

ولآخر

أدر بلحيتى البيضاء كأسى * بكيس زائد منى وفطنه
ألم يرنى وعفو الله راج * ومن شرهى أصفيها بقطنه

وقال الشيخ يحيى الخبان (توفى سنة سبعين وسبعمائة)

بعيشك هاتها حمراء صرفا * صباحا واطرح قول النصوح
فهذى الشمس قد بزغت بعين * تغامزنا على شرب الصبوح

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

مورد الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى
عن أحمر المشروب ما تنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى

قم هاتها فى الظلام صافية * تورث جسمى وقبضتى بسطه
أضحت عليها الافراح دائرة * ياصدق من قال انها نقطه

وقال المرحوم فخر الدين بن مكانس

للراح بالكيميا شبه فان لها * للقلب والرأس تقطيرا وتصعيدا
قالوا هى الشمس اشراقا وقد جهلوا * ماذاك الا شعاع الشمس معقودا

وقال بدر الدين بن الصاحب

ياحابس الكاس لا تزدها * من بعد حبس الدنان حسره
واغتنم مزاجا له طيفا * يورثه الانتظار صفره

وقال من لفظه لنفسه سيدنا القاضى بدر الدين محمد بن الدمامينى

قم بنا نركب طر * ف اللهو سبقا للمدام
وائتنى ياصاح عنانى * للكميت وللجام

وللشيخ شهاب الدين بن حجر أبقاه الله تعالى لنفسه الكريمة

أطيل الملال لمن لامنى * وأملأ فى الروض كأس الطلا
وأهوى الملاهى وطيب الملا * ذ فهما أنام نهمك فى الملا

ومن لفظه لنفسه الكريمة الجناب المجدى بن مكانس

نزل الطل بكرة * ونوالى تجددا
والندامى تجمعوا * فأجلى كاسى على الندا

وقال شهاب الدين بن أبى حجلة

أمعطل الكاسات عن عشاقها * يكفيك بالتعطيل عيب غائبا
ذهبت كؤسك بالمدام فقد أرى * للناس فيما يعشقون مذاهبا
فمتى سلكت من الهموم مهالكا * صادفت فى فتح الدنان مطالبا
ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت تمشى فى المسرة راكبا
ومتى طرقت عشىّ أنس ديرها * لم تلق الا راغبا أوراهبا

وقال الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه تغمده الله برحمته

لان شبه الساقى المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صنعة الادب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فقوه لما حلت الكاس بالذهب

(ونقلت) من خط الشيخ بدر الدين البشتكى لنفسه

وخمار هديا فى الدباجى * بجذوة كأسه وسنا النديم
سألنا منه عن خمر حديثنا * فاخبرنا عن العصر القديم

(قلت) وعلى ذكر الحديث قال أبو بكر بن عياش كنت وسفيان الثورى وشريك نمشى بين الحيرة والكوفة فرأينا شيخا أبيض الرأس واللحية حسن السمت فقلنا هذا شيخ جليل قد سمع الحديث ورأى الناس وكان سفيان أطلبنا للحديث وأشدنا بحثا وأعلمنا به وأحفظنا له فتقدم الى الشيخ وسلم عليه ثم قال له أعندك شئ من الحديث فقال له أما الحديث فلا ولكن عندى عتيق سنين قال فنظرنا فاذا الشيخ خمار (نادرة) قيل لخالد بن صفوان أتمل الحديث قال انما العتيق يمل (رجوع) وقال المرحوم فخر الدين بن مكانس

من شرطنا ان أسكرتنا الطلا * صرفا تداوينا بشرب الما
نعاف مزج الماء فى كاسها * لا آخذ الله السكارى بما

وقال بدر الدين بن الصاحب

يا ايها العاصر بادر الى * عنقود ك الفاخر فى كرمه
اياك ان تتركه ساعة * تزيب النحس على أمه

وقال مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ولما مثلت فى أواخر سنة خمس وتسعين وسبعمائة بين يدى سيدنا ومولانا أوحد العصر من غير مدافع ولا منازع أقضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى بكر المخزومى الشهير بالدمامينى أسبغ الله ظلاله تذاكرنا بين يديه الكريمة الكتب وحسن أسمائها فأخبرنا أنه فى زمن الصبا جمع مقاطيع من المخزيات وسماها مقاطع الشرب تأمل ما ألطف هذه التسمية (القصائد) قال الشيخ العالم المفنن البارع صدر الدين محمد بن المرحل و يعرف فى الشأم بابن وكيل بيت المال تغمده الله بالرحمة (مولده سنة خمس وستين وستمائة و وفاته سنة ست عشرة وسبعمائة رحمه تعالى)

ليذهبوا فى ملامى أية ذهب * فى الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب
لا تأسفن على مال تمزقه * أيدى سقاة الطلا والخرد العرب
والمال أجمل وجه فيه تصرفه * وجه جميل وراح فى الدجى لهب
فما كسوا راحتى من راحها حللا * الا وعروا فؤادى الهم واستلبوا
راح بها راحتى فى راحتى حصلت * فنمى عجبى بها وازداد فى العجب
اذ ينبع الدر حلو من مذاقته * والتبر منسبك فى الكأس منسكب
وليست الكيمياء فى غيرها وجدت * وكلما قيل فى أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعيد ذلك أفراحا و ينقلب
عناصر أربع فى الكأس قد جمعت * وفوقها الفلك السيار والشهب
ماء ونار وهواء أرضها قدح * وطوقها فلك والانجم الحبب
ما الكاس عندى بأطراف الانامل بل * بالخمس تقبض لا يخلوها الهرب
شجت بالماء منها الرأس موضحة * فحين أعقلها بالخمس لا عجب

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى لم يقل الشيخ صدر الدين من الشعر الا هذا البيت لكان قد أتى بشئ غريب نهاية فى البديع لقد غاص فيه على المعنى ودق تحيله فيه

وما تركت بها الخمس التى وجبت * وان رأوا تركها من بعض ما يجب

وان

وان أقطب وجهى حين تبسم لى * فعند بسط الموالى يحسن الادب

هذا البيت أيضا بديع المعنى دقيقه وقد اعتذر عن اقتضابه بأحسن عذر وأوضحه وما أحسن قول بن رشيق

أحب أخى وان أعرضت عنه * وأقبل على مسامعه كلامى
ولى فى وجهه تقطيب راض * كما قطبت فى وجهه المدام

وتمة الابيات

عاطيتها من بنات الترك عاطية * لحاظها للاسود الغلب قد غلبوا
هيفاء جارية للراح ساقية * من فوق ساقية تجرى وتنسكب
من وجهها وثنيها ومقلتها * تخشى الاهلة والقضبان والقضب
يا قلب أردافها مهما مررت بها * قف بى عليها وقل لى هذه الكتب
وان مررت بشعر فوق قامتها * بالله قل لى كيف البان والعذب
تريك وجنتها ما فى زجاجتها * لكن مذاقته للريق تنتسب
تحكى الثنايا التى أبدته من حبب * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(وقال) الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة المصرى

قضى وما قضيت منكم لبانات * متيم عبثت فيه الصبابات
ما فاض من جفنه يوم الرحيل دم * الا وفى قلبه منكم جراحات
أحبابنا كل عضو فى محبتكم * كليم وجد فهل للوصل ميقات
غبتم فغابت مسرات النفوس فلا * انستم زعمى ولا تلك المسرات
يا حبذا فى الصبا عن حبكم خبر * وفى بروق الغضا منكم اشارات
وحبذا زمن اللهو الذى انقرضت * أوقاته الغر والاعوام ساعات
أيام ما شعر البين المبيت بنا * ولا خلت من مغانى الانس أبيات
حيث المنازل روضات مدبجة * وحيث جاراتها غيد وقينات
وحيث لى بديار اللهو سلطنة * ولى على ثغر من أهوى ولايات
وحيث أسعى لاوطان الصبا مرحا * ولى على حكم من أهوى ولايات
ورب حانة خمار طرقت وما * حانت ولا طرقت للقصف حانات
سبقت قاصدا مغناها وكنت فتى * الى المدام له بالسبق عادات
أعنو الى ديرها الاقصى وقد لمعت * تحت الدجى فكأن الدير مشكات

وأكشف الحجب عنها وهى صافية * لم يبق فى دنها الا صباباتها
راح زحفت على جيش الهموم بها * حتى كأن سنا الاكواب راياتها
وبت أجلو على الندمان رونقها * حتى لقد أصبحوا من قبل ما باتوا
مصونة السرح ماتت دون غايتها * حاجات قوم وللحاجات أوقات
تجول حول أواوينها أشعتها * كأنما هى للكاسات كاسات
ويصبح الشرب صرعى دون مجلسها * وهى الحياة كأن الشرب أموات
تذكرت عند قوم دوس أرجلهم * فاسترجعت من روث القوم تارات
واستضحكت فلها فى كل ناحية * هباك حسن وفى الاناء هيهات
كأنها فى أكف الطائفين بها * نار تطوف بها فى الارض جنات
من كل أغيد فى دينار وجنته * توزعت من قلوب الناس حبات
مبلبل الصدغ طوع الوصل منعطف * كأن اصداغه للعطف واوات
ترنحت وهى فى كفيه من طرب * حتى لقد رقصت تلك الزجاجات
وقت أشرب من فيه وخمرته * شربا تشن به فى العقل غارات
وينزل اللثم خديه فينشدها * هى المنازل لى فيها علامات

(وقال) الاديب الفاضل الكامل أبو الفتح بن قلاقس السكندرى

الحق بنفسج فجرى وردتى شفق * كافورة الصبح فتقت مسكة الغسق
قم هات جامك شمسا عند مصطبح * وخل كأسك نجما عند مغتبق
واقسم لكل زمان ما يليق به * فان للزند حليا ليس للعنق
هب النسيم وهب الريم فاشتركا * فى نفحة من نسيم المندل العبق
واسترقصتنى كاسترقاص حاملها * مخضرة الورق فى محضلة الورق
وظلت بالكأس أغنى الناس كلهم * فالخمر من عسجد والكاس من ورق

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل برهان الدين ابراهيم بن عبد الله بن محمد المعروف بالقيراطى رحمة الله عليه

قسما بروضة خده ونباتها * و ياسها الخضر فى جنباتها
وسورة الحسن التى فى خده * كتب العذار و بخطه أياتها
وبقامة كالغصن الا أننى * لم أجن غيرا صد من ثمراتها
لاعزرن غصون بان زورت * أعطافه بالقطع من عذباتها

ولاصبحن

ولاصبحن للذى متيقظا * مادامت الايام فى غفلاتها
وابا كرن رياض وجنته التى * ما زهرة الدنيا سوى زهراتها
كم ليلة نادمت بدر سمائها * والشمس تشرق فى أكف سقاتها
وجرت بنادهم الليالى للصبا * وكؤسنا غرر على جبهاتها
فصرفت دينارى على دينارها * وقضيت أعوامى على ساعاتها
خالفت فى الصهباء كل مقلد * وسعيت مجتهدا الى حاناتها
فتحير الخمار أين دنانها * حتى اهتدى بالطيب من نفحاتها
فشممتها ورأيتها ولمستها * وشربتها وسمعت حسن صفاتها
وتبعت كل مطاوع لا يختشى * عند ارتكاب ذنوبه تبعاتها
يأتى الى اللذات من أبوابها * ويجئ للصهباء من ميقاتها
عرف المدام بجنسها وبنوعها * وبفصلها وصفاتها وذواتها
ياصاح قد نطق المزار مؤذنا * أيليق بالاوتار طول سكاتها
فخذار تفاع الشمس من أقداحنا * وأقم صلاة اللهو فى أوقاتها
ان كان عندك ياشراب بقية * مما تزال به العقول فهاتها
الخمر من أسمائها والدرمن * تيجانها والمسك من نسماتها
واذا العقود من الحباب تنظمت * اياك والتفريط فى حباتها

(وقال) الصاحب العالم المفنن فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس

خليلى هيا للصبوح وبكرا * وحثا أوانى لهوها تحمد السرا
ولا تركبا الليل البهيم اركامدا * ما كيتا أو من الصبح أشقرا
وصيدا بنات الكرم من دنها * فان أوانى راحها عندى القرا
اذا ما أديرت فى حشا عسجدية * بها كل ذى ملك وتاج تصورا
فحسبك نبلا فى السيادة أن ترا * نديمك فى الكاسات كسرى وقيصرا
مدام حوت معنى السرور وأفرطت * فنهاسرى فيها السرور وأثرا
لذلك قد تزهى بوجه مخلق * وجللها ثوب النعيم مزعفرا
اذا ضرحتها الريح تحت حبابها * تخال بها فى الكاس سيفا مجوهرا
وبرهانه ذبح الهموم الاترا * على جانبها ذلك الدم أحمرا

(وقال) الاديب الفاضل الكامل فخر الترك أيدمر المحنوى من قصيدة مطولة

تقدمت أوائلها فى باب الروضات والبساتين

وسلافة ناكرتها فى فتية * من مثلها خلق لهم وتخلق
شربت كنافتها الدهور فاترى * فى الكأس الا جذوة تتألق
يسعى بها ساق يهيج به الهوى * وترى سبيل العشق من لا يعشق
تتنادم الالحاظ منه على سنا * خد تكاد العين فيه تغرق
راق العيون غضاضة وغضارة * فهو الجديد ورق فهو معتق
ورنا كما لمع الحسام المنتضى * ومشى كما اهتز القضيب المورق
وأظلنا فى فرعه وجبينه * ليل تألق فيه صبح مشرق
وكأن مقلته تردد لفظه * لتقولها لا كنها لا تنطق
واذا العيون تجمعت فى وجهه * فاعلم بأن قلوبنا تتفرق

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل كمال الدين على بن النبيه

طاب الصبوح لنا فهاك وهات * واشرب هنيئا يا أخا اللذات
كم ذا التوانى والشباب مطاوع * والدهر سمح والحجاب موات
قم فاصطبح من شمس كأسك واغتبق
بكواكب طلعت من الكاسات
صفراء صافية توقد بردها * فيجبت للنيران فى الجنات
ينسل من قار الظروف حبابها * والدر يجتاب من الظلمات
وتريك خيط الصبح مفتولا اذا * صبت من الراووق فى الكاسات
عذراء واقعها المزاج أماترى * منديل عذرتها بكف ساقات
يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأساود الحيات
يدرى منازل نيران كؤسه * ما بين منصرف وآخر آتى

(وقال) الاديب الفاضل الأوحد أمين الدين جوبان القواس

اذا افترجنح الليل عن مبسم الفجر * ولاح به ثغر من الانجم الزهر
وفاحت لنا من عابق الروض نكهة * رشفنا بها برد الرضاب من الخمر
وعهدى بوجه الارض سبتجا لم * يغرغر منها الدمع فى مقل القدر
اذا أرجف الماء النسيم لوقته * كساه شعاع الشمس درعا من التبر

وبحر

وبحر الرياض الخضر بالزهر مزبد * كأنا به فى فلك مجلسنا نسر
ومن شهب الكاسات بالنجم نهتدى * اذا ظل سار العقل فى لجة السكر
نصون الحميا بالقنانى وانما * نصون القنانى بالحميا وما ندر
ولما حكى الراووق فى العين شكله * وقد علق العنقود فى سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فكاله * عيون على أيام عهد الصبا تجرى
عجبت لها والراح تبكى به فلم * تغض بحباب الكأس باسمة الثغر
اذا ما أتانى كأسها غير مترع * تحققت عين الشمس فى هالة البدر
يناولنيها مخطف الخصر أهيف * فلله ذاك الاهيف المخطف الخصر
ينادمنا نظما ونثرا ولفظه * ومبسمه يغنى عن النظم والنثر
فلم يسقنى كأس المدامة دون أن * سقانى بعينيه كؤسا من الخمر
وناجوز ثم انثنى غصن بانة * وعنّ مها لما تبسم عن درر
وقال وفرط السكر يثنى لسانه * الى غير ما يرضى التقى وهو لا يدرى
ردوا من رضابى ما يعيض من الطلى * اذا كان وجهى فيه مغنى عن الزهر
ومن كان لا تحوى ذراعاه مئزرى * فدون الذى تحوى أنامله خصرى

(وقال) الشيخ الامام الفاضل البارع صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى رحمه الله

أدار التبر فى كأس اللجين * رشا بالراح مخضوب اليدين
وطاف على الصحاب بكأس راح * فطافت مقلتاه بآخرين
رخيم من بنى الاتراك طفل * يجاذب خصره جبلى حنين
يبدل نطقه ضادا بدال * ويشرك عجمة قافا بغين
اذا يحلو الحميا والحميا * شهدنا الجمع بين النيرين
يطوف على الرفاق من الحميا * ومن خمر الرضاب بمسكرين
وآخر من بنى الاعراب حفت * جيوش الحسن منه بعارضين
الى عينيه تنتسب المنايا * كما انتسب الرماح الى ردين
يلاحظ سوسن الخدين منه * فيبدلها الحياء بوردتين
ومجلسنا الانيق تضىء فيه * أوانى الراح من ورق وعين
فما ملقنا فم الابريق فيه * وبات الزق مغلول اليدين
وشمعنا شبيه سنان تبر * تركب فى قناة من لجين

وقهوتنا شبيه شواظ نار * توقد فى أكف الساقيين
اذا ملئ الزجاج بها وطارت * حواشى نورها فى المشرقين
عجبت لبدر كأس صار شمسا * يحف من السقاة بكوكبين

(وله)

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * فرقت حلة الظلماء باللهب
بكر اذا زوجت بالماء أولدها * أطفال درعلى مهد من الذهب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما فى سالف الحقب
باكرتها فى رفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والادب
بكل متشح بالفضل مشتمر * كأن فى لفظه ضرب من الطرب
بل رب ليل غدا فى الاهاب غدت * تضىء فيه كؤس الراح كالشهب
بدلت عقلى صداحين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من مبدء الطرب
بعث أتانا فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور ام من نفخة القضب
بروضة ظل فيها الظل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب
بكت عليه أساليب الحيا فغدا * خدلان يرفل فى أثوابه القشب
بسط من الروض قد حاكت مطارفها * يد الربيع وجادتها يد السحب

(وقال) الواواء الدمشقى رحمة الله عليه

اسقيانى ذبيحة الماء فى الكأ * س وكفانى عن شرب ما تسقيانى
اننى قد آمنت بالامس اذ مت * بأنى أموت بكرة ثانى
قهوة تطرد الهموم اذا ما * سكنت فى مواطن الاحزان
نثرت راحة المزاج عليها * حدقا ما تدور فى أجفان
فهى تجرى من اللطافة فى الار * واح مجرى الارواح فى الابدان
يتهادى بكأسها من هدايا * هظنى من ظرائف الاشجان
آنها الرابح الذى راحتا * بخضاب الكؤس مخضوبتان
عج بضحك الاقداح فى رهج القصـ * ـف اذا ما بكت عليها القنانى
واسقنى القهوة التى تنبت الور * د اذا ما ثنت فى خدود الغوانى
لا تدغ صدر المدام بأيدى المز * ج ما دغدغت صدور المثانى

وقال

(وقال) أبو الفتوح بن قلاقس رحمه الله

كم مقلة للشقيق الغض رمداء * انسانها سابح فى بحر دمع انداء
وكم ثغور اقاح فى مراشفها * رضاب طائفة بالرى وطفاء
فما اعتذارك من عذراء جامحة * لانت كما لامستها راحة الماء
نضت عليها حسام المزج فامتنعت * بلامة للحباب الجم حصداء
أما ترى الصبح يخفى فى دجنته * كأنما هو سقط بين أحشائى
والطير فى عذبات الدوح ساجعة * تطابق اللحن بين العود والناء
فى بالكأس كسرى تحيى رمته * بروح راح سرت فى جسم سراء
وعذ بمجز آيات المدامة من * نوافث السحر فى أجفان حوراء
فما الفصاحة الا ما تكرره * منازل الدن من ترجيع فأفاء
فاعكف على جلس اللذات مغتنما * فالدهر فى حربه تلوين حرباء

(قيل) أتى عبد الملك بن مروان بسكران فقال له ماذا شربت فقال

معتقة كانت قريش تعافها * فلما استحلوا قتل عثمان حلت

فقال مع من فقال

سقونى مع الشعرى بكأس روية * وأخرى مع الجوزاء لما استقلت

قال فما غنيت فقال

سقونى وقالوا لا تغن فلو سقوا * جبال حنين ما سقونى لغنت

فعفى عنه وأطلق سبيله ومن كلام الشيخ برهان الدين القيراطى

يوم أنيق وغيم دفيق * وروض اذا سلسل ماؤه المطلق تهلل وجهه الطليق * فاذا دعى الندامى فيه بالصبوح جاءت قينة فى يدها ابريق * واذا نحرت السقاة فيه دماء الرقاق صارت أيامهم كلها أيام تشريق * واذا خاط من الشرب ثياب سروره غار من أرجه المسك الفتيق (قلت) قوله أيام التشريق مأخوذ من قول أبى الحسن الجزار يفتخر

انى لمن معشر سفك الدما لهم دأب * وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

وقال برهان الدين القيراطى أيضا

زوج الماء براحك * وأجلها بين ملاحك

لاتعطل يوم لهو * من صبوح فى صباحك
واذا خفت افتضاحا * كل عيش فى افتضاحك
أوترى فيها جناحا * قم ودعنى من جناحك
وصل اليوم اغتباقا * من كؤس باصطباحك
صاح هذا وقت راحى * واقتراحى واقتراحك
فاطرح من لام جهلا * فى اطراحى والطراحك

وقال شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة هذه الابيات تحبب فى الحبيب وتقلب اكسير راحها الجين الزجاج الى الذهب قد امتزجت بالقلوب امتزاج الماء بالراح ولم يفتح بمثلها على صاحب مفتاح الافراح * كم رقصت على سماعها الاحبه ونقط الحبيب دينارها من خده وشامته بدينار بقيراط وحبه وقال الشيخ بدر الدين البشتكى أبقاه الله تعالى

أقول كلما والله نظرت الى هذه الابيات * والكلمات الجميلات * أكاد أطير بلا راح * وأطير من الادب بلا جناح هذه عبارة الشيخ بدر الدين ومن خطه نقلت (قلت) ولو قال بدر الدين وأطير من الادب وأطير من الفرح لكان أحسن فتأمله وأنشد عن لفظه لنفسه سيدنا القاضى المفنن البارع صدر الدين على بن سيدنا ومولانا القاضى أمين الدين بن الآدمى سلمه الله تعالى ونقلتها من خطه

سبح القمرى فى الدوح وغرد * فحسبنا ان فى الروضة معبد
والندى فاض على زهر الربا * فسرت بين الندامى نفحة الند
انما الزهر ثغور فتحت * باسمات بجميل المزن تحمد
فاسقنى القهوة حتى اثنى * مثل غصن البان لما يتأود
من يدى ظبى عزيز أهيف * مخطف الخصر رقيق ماس القد
كامل الاوصاف لكن ثغره * ولما ريقه حلو مبرد
جامع الحسن لو صل مانع * طرفه الهندى قد بالغ فى الحد
ضيق العين اذا ما سمته * قبلة سل من اللحظ مهند
وحمى فاه بلحظ فاتر * فهو تركى على الثغر مجرد
ياله من عجب فى لحظه * سكر العشاق منه وهو عربد

لينت

لينت أعطافه المخمرة لى * فأعادت أسد الخليه أغيد
بنت كرم عشقوها زمنا * طال حتى أنه لم يحص بالعد
تسلب العقل من الرأس كما * سلبت قدما من الكرمة باليد
قل لساقينا اذا طاف بها * سحرا بين الندامى يتردد
أترع الكأس واسرع واغتنم * جمع شملى واخشش أن يتبدد
ماترى الانجم كانت زمرا * لم يدع ذا الصبح منها غير فرقد
فهى مثلى حين غابت سادتى * عن عيانى بعد جمع صرت مفرد

(قلت) واذ ذكرنا مدحها أيضا وأوسعنا المجال فى ذلك فلا بأس بايراد نبذة من ذمها فى الحديث المرفوع جمع الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الخمر وفى كتاب المبهج الخمر مصباح السرور ولكنه مفتاح الشرور (وقيل) لبعضهم تركت النبيذ وهو رسول السرور الى القلب فقال نعم ولكنه بئس الرسول يبعث الى القلب فيذهب الى الرأس وكان العباس بن على عم المنصور يأخذ الكأس بيده يقول لها أما المال فتتلفين وأما المروءة فتخلفين وأما الدين فتفسدين فيسكر ساعة ثم يقول أما النفس فتسخين وأما القلب فتشجعين وأما الهم فتطردين أفتراك متى تقتلين ويشربها (قيل) لاعرابى لم لا تشرب النبيذ قال لا أشرب ما يشرب عقلى (وقيل) لبعضهم لم لا تشرب فقال عقلى لا أقدر على جمعه فكيف أفرقه وما أظرف من قال شعرا

تقول أثوابى لما رأت * شيبى وتكعيبى على صدرى
بالله ياشيخ أما تستحى * الى متى تصبغنى بخمرى

وقال آخر

قد هجرت الراح حتى * ليس لى فيها نصيب
وعلى الراووق منى * طول ما عشت صليب

(وقيل) مهر الخمر العقل والدين والدرهم سئل بعض الشيوخ عن الخمر فقال تضييع مال وعقل وزيادة بول وجنون واذ قد ذكرنا الخمر ومنافعها ومضارها ومدحها وذمها فلا بأس بايراد نبذة من المفرحات المركبة نقلتها من كتاب مفرح النفس تأليف الحكيم الفاضل الرئيس بدر الدين مظفر بن القاضى مجد الدين عبد الرحمن قاضى بعلبك ولى رياسة الطب بدمشق (وتوفى سنة تسعمائة

وخمسة وسبعين بدمشق) رحمة الله عليه (صفة) مفرح حار للملوك والكبير الاوائل كان الخلفاء المتقدمون من بني العباس وغيرهم يستعملونه وله منافع كثيرة يطول شرحها والحاصل انه يبرئ جميع الامراض السوداوية عاجلا ويفرح تفريحا مفرطا حسنا * خولنجان وزراوند مدحرج وسنبل وسلخة وجعدة وزنجبيل وقاقلة كبار وصغار ودار صيني الصين وقرنفل وزرنب وذرساذ من كل واحد ثلاثة دراهم قفاح الاذخر وغاريقون وحاشا وترنجبين وقسط حلو وسادج وبسفايج محكوك وحماما من كل واحد خمسة دراهم وعرق ذهب وياقوت أحمر رماني وزمرذ من كل واحد مثقال وزعفران مثقالان يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل مادى ويوضع فى اناء من صينى أو فضة ويرفع ويستعمل الشربة منه مثقالان بشراب تفاح شامى وماء لسان ثور نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح حار للمتوسطين من الناس سعد خمسة دراهم زرورد منزوع الاقماع عشرة دراهم قرنفل وسنبل الطيب ومصطكى وأسارون وزرنب وزعفران من كل واحد درهمان بسباسة وقاقلة كبار وصغار وجوزبو من كل واحد درهم عود ثلاثة يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل منزوع الرغوة ويرفع ويستعمل الشربة وزن مثقال بشراب تفاح حلو وماء لسان ثور نافع ان شاء الله تعالى

مفرح حار للفقراء وهو شراب الابريسم وله منافع كثيرة منها التفريح المفرط وقوة الاحشاء خصوصا الكبد وينفع من جميع الامراض الباردة ويقوى الانعاظ يؤخذ ابريسم خام ينقع فى الماء أياما عشرة فى قدر من حديد فان لم يتهيأ من حديد فينقع فى الماء المطفى فيه الحديد دفعات كثيرة ويغلى غليانا جيدا ويصفى ويضاف اليه بوزن الماء سكرا وعسلا ويعقد ويرفع ويطيب بشئ من زعفران وخولنجان ومصطكى روح ويستعمل نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح بارد للملوك والكبراء طباشير عشرة دراهم لسان ثور خمسة دراهم زرورد منزوع الاقماع أربعة دراهم طين أرمنى سبعة دراهم شيراملج خمسة عشر درهما خشب صندل أبيض وأحمر وأصفر من كل واحد درهمان زعفران نصف درهم عرق ذهب جيد وفضة من كل واحد مثقال ابريسم محرق على ماوصفنا درهم يدق الجميع ناعما وينخل ويعجن بجلاب قد عقد من

عسل

عسل وسكر بماء الورد وماء التفاح وماء السفرجل وماء الرمان ويحرك ويرفع الشربة ثلاثة دراهم بشراب حماض وتفاح شامى وماء لسان الثور وماء ورد وماء خلاف نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح بارد للمتوسطين من الناس يؤخذ اهليلج كابلى وأملج من كل واحد خمسة دراهم وزرورد منزوع الاقماع وخشب صندل أبيض وأصفر وأحمر من كل واحد ثلاثة دراهم وورق فضة مثقالان ولؤلؤ كبار نقى البياض غير مثقوب مثقال يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل الاهليلج الكابلى الشربة مثقالان بشراب حماض وتفاح شامى بماء ورد وماء خلاف نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح معتدل للمتوسطين من الناس بهمنين أحمر وأبيض من كل واحد خمسة دراهم عسل اهليلج كابلى منزوع الرغوة عشرون درهما شاهترج ولسان ثور وترنجبين من كل واحد عشرة دراهم طباشير وكسفرة يابسة وطين مختوم من كل واحد ثلاثة دراهم ابريسم خام محرق على ماوصفنا قشر الفستق الخارج من كل واحد درهمان بسد واؤلؤ كبار غير مثقوب وكهربا من كل واحد درهم عود هندى خام نصف مثقال يدق الجميع ناعما وينخل ويعجن بجلاب قد عقد من سكر وعسل ويرفع فى اناء من صينى أو فضة الشربة مثقالان بشراب حماض وتفاح شامى وماء لسان الثور وماء ورد وماء خلاف وماء نيلوفر نافع ان شاء الله تعالى (نادرة) دخل رجل على بعض أصحابه يعوده من مرض بالقلب وكان له غلام يدعى ياقوت شديد الافتتان به وكان متهما به فقال له حاشاك يا سيدنا تشكو وجع القلب وعندك المفرح الياقوتى

(الباب التاسع عشر فى الصاحب والنديم)

قال النبى صلى الله عليه وسلم أكثروا من الاخوان فان ربكم حى كريم يستحيى أن يعذب عبده بين اخوانه وقال على رضى الله عنه أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان وأعجز منهم من ضيع ما ظفر به منهم وقال عمر رضى الله عنه ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك أن تبتدأه بالسلام وأن توسع له المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه وقال الخليل بن أحمد الرجل بلا صديق كاليمين بلا

شمال وقال رجل لابن المقفع أنا بالصديق آنس من الاخ فقال صدقت الصديق نسيب الروح والاخ نسيب الجسم وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب (اعرابى) المودة بين السلف ميراث بين الخلف (اعرابى) دع مصارعة أخيك وان حث التراب فى فيك اعتذر رجل الى صاحب من تعذر اللقاء فقال أنت فى أوسع عذر عند ثقتى وفى أضيق عذر عن شوقى (المأمون) الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء لا يحتاج اليه الا فى الاحايين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الى الله وأقربكم منى مجالسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه الغريب من ليس له حبيب وقال أيضا لا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس بأخ من ضيعت حقه وقال علقمة بن لبيد العطاردى لابنه اذا نازعتك نفسك صحبة الرجال فاصحب من اذا صحبته زانك وان خدمته صانك وان نزلت بك مؤونة مانك اصحب من اذا مددت يدك بفضل مدها وان بدت بك ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها اصحب من يتناسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه قال لابى داود السجستانى صاحب له آستمد من محبرتك قال لا فاحترك الرجل حياء فقال أعلمت انه من شرع فى مال أخيه بالاستئذان فقد استوجب بالحشمة الحرمان قرع باب بعض السلف صديق له بالليل فنهض اليه وبيده كيس وسيف وهو يسوق جارية له ففتح الباب وقال قسمت أمرك بين نائبة فهذا المال وعدو فهذا السيف وأيمة فهذه الجارية (كان) على بن الجهم يمدح أبا تمام ويطيب فيه فقيل له لو كان أخاك مازدته على هذا المدح فقال ان لم يكن أخا بالنسب فانه أخ بالادب (مر) بخالد ابن صفوان رجلان فعرج اليه أحدهما وطواه الآخر فقال عرج علينا هذا لفضله وطوانا ذاك لبغيه (الاعمش) أدركت أقواما لا يلقى الرجل أخاه الشهر والشهرين فاذا لقيه لم يزده على كيف أنت وكيف حالك ولو سأله شطر ماله أعطاه ثم أدركت آخرين اذا لم يلق الرجل منهم أخاه يوما سأله حتى عن الدجاجة فى البيت ولو سأله حبة من ماله منعه وأحسن من قال من رضى بصحبة من

لا خير فيه لم يرض بصحبة من فيه خير (كان) يقال ان الكيس الذى لا يعمل مناجات الصديق (الهند) من كتم لاحبة نصحه والاطباء علته والاخوان بثه فقد خان نفسه كان الخليل ابراهيم صلوات الله عليه اذا ذكر زلته غشى عليه وسمع اضطرابه من ميل فقال له جبريل يا خليل الله الجليل يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله قال يا جبريل كلما ذكرت الزلة نسيت الخلة قال العتبى لقاء الاخوان نزهة القلوب قال سليمان بن وهب غزل المودة أرق من غزل الصبابة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق وقال يونس النحوى يستحسن الصبر عن كل واحد الا عن الصديق وقال ابن المعتز اذا قدمت المودة شبهت بالقرابة وقال عمرو بن العاص من كثر اخوانه كثر غرماؤه يعنى فى قضاء الحقوق (عمرو) ابن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وكان بعضهم يقول اللهم احرسنى من أصدقائى فاذا قيل له فى ذلك قال انى أقدر أحترس من أعدائى ولا أقدر على الاحتراس من أصدقائى وقال ابن الرومى

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

واعلم انه لا يتناهى فى حسدك الا الاصدقاء والندماء فانهم متى رأوك بحال وهم بأنقص منه انغرس فى قلوبهم حسدك فلو خولتهم أضعاف نعمتك لم يزالوا يحسدونك حتى تفتقر ويستغنون والحسد داء الابد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل قال معاوية بن قرة نظرت فى المودة والاخاء فلم أجد أثبت مودة من ذى أصل قال أبو الحسن بن جبير الاندلسى البلنسى

تغير اخوان هذا الزما * ن فكل خليل عراه الخلل
وكانوا قديما على صحة * فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم * فصرت أطالع باب البدل

ولله در ناصر الدين بن النقيب

فأين الصديق الصدوق الذى * مودته من قرى صافيه
فخالى صديق سوى درهمى * ولالى حبيب سوى العافيه

وقال أبو العلاء المعرى

بجربت دهرى وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ود امرء غرضا

وقال القاضى ناصح الدين الارجانى والثانى يقرأ معكوسا وهو غاية

أحب المرء ظاهره جميل * لصاحبه وباطنه سليم
مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقال صلاح الدين الصفدى

عذيرى فى الليالى من صديق * على مالى وعرضى قد تسلط
تأول اذ تأنر عنه خيرى * فهل ألقاه يوما قد توسط

وقال الشريف العقيلى وأجاد

الذ مودات الرجال مذاقة * مودة من ان ضيق الدهر وسعا
فلا يلتمس الود الذى هو سادجا * اذا لم يكن بالمكرمات مرصعا

وقال مخارق أنشدت المأمون قول أبى العتاهية (مولد أبى العتاهية سنة ثلاثين ومائة وتوفى سنة احدى عشر ومائتين)

وانى لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

قال لى أعد فأعدت سبع مرات فقال لى يا مخارق خذ منى الخلافة واعطنى هذا الصاحب لله در أبى العتاهية ما أحسن ما قال وأحسن من قال

بروحى من صاحبته فوجدته * أرق من الشكوى وأصفى من الدمع
يوافقنى فى المزل والجد طائعا * فينظر من عينى ويسمع من سمعى

وقال الجاحظ كان أبو دؤاد اذا رأى صديقه مع عدوه قلا صديقه وقال ابن عساكر فى تاريخ دمشق قال ابن عائشة قال هشام بن عبد الملك ما بقى على شئ من لذات الدنيا الا وقد نلته وما اشتهى الا شيأ واحدا أخا أرفع مؤنته التحفظ بينى وبينه وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه صحبة العاقل فى المفاوز والاسفار خير من صحبة الجاهل بين الرياض والانهار ولله در القاضى الفاضل

ومابرح الاخوان اخوان الزمان فاذا أحسن كانوا من التابعين له باحسان واذا أساء كانوا من المهاجرين لا من الهجرة ولكن من الهجران وقال جعفر بن محمد لولده يا بنى من غضب عليك من اخوانك ثلاث مرات ولم يقل فيك سوءا فاتخذه خليلا ويجب على الصديق اذا رأى صديقه معسرا وهو موسر ان يواسيه ببعض ماله فقد حكى عن بعض الحكماء انه رأى رجلين لا يفترقان فيسأل

فسأل عنهما فقيل هما صديقان فقال ما هما بصديقين لانى أرى أحدهما موسرا والآخر معسرا ولو كانا صديقين لتواسيا وقال المأمون لندمائه أفيكم من يقدر يدخل يده فى كم صديقه فيأخذ منه نفقة يومه فقالوا لا فقال ما أنتم بأصدقاء والصديق الصديق معدوم وأما من تصادقه مجاز فيمثل بقول القائل

ارض من المرء فى مودته * بما يؤدى اليك ظاهره
من يكشف الناس لا يجد أحدا * تصح منهم له سرائره

(الهند ابالك) والاغترار بمصادقة العدو فانهما أوجبا الا أمر وعلة دفع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء يسخن فاذا رفع عن النار عاد باردا وصفة الصديق أن يعادى من تعاديه ويهوى من تهوى وقال بعض الحكماء صديق عدوى عدوى وقال الشاعر

تود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ان الرأى منك لعازب
اذا نحن أظهرنا لقوم عداوة * ولان لهم منكم جناح وجانب
فلا أنتم منا ولا نحن منكم * اذا أنتم سالمتم من نحارب
وليس أخى من ودنى رأى عينه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب

واعلم ان الخصال المحمودة والكمال لا يوجدان فى شخص أبدا ولا بد من عيب يشوبه فان اخترت صديقا ورضيته وكاشفته فبدت منه هفوة أو زلة فاغفرها فالسيف ينبو والجواد يكبو واذا صفى الصديق فلا تناقشه فى دينه ولا مذهبه فان ذلك يوجب القطيعة والعداوة واجر معه فى هواه من دينه اذا جرى هو فى هواك من صداقتك قال أبو العلاء المعرى رحمة الله عليه

اذا ما الخل أصفانى وداده * فسقيا فى الحياة له ورعيا
ليقرأ ان أراد كتاب موسى * ويقرأ ان أراد كتاب شعيا

وأصلح ما صادقت حكيما أو أديبا عاقلا عالما فان عداوة هذا خير من صداقة الجاهل قال بعض الحكماء الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره ما يبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ومتى تغير الصديق عليك فاستنبط ذلك بقرينة حس منك كما قال الشاعر

واذا استجمت مودة خل * فاعتبرها من أعين الغلمان

ان عين الغلام تنبيك عما * في ضمير المولى من الكتمان

(القول على النديم) النديم فعيل بمعنى مفاعل منادم والندمان أكثر منادمة وملازمة من النديم لان زيادة اللفظ توجب زيادة المعنى ويقال رجل رحيم ولا يقال رحمان لانه ثناء المبالغة وفي الدعا يا رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لان رحمته في الدنيا عمت الكافر والمؤمن والفاسق والناسك وفي الآخرة يخص برحمته المؤمنين والمسلمين دونهم واشتقاق اسم النديم من المنادمة كأنه يندم على مفارقته لوجود الراحة به والانس اليه (وينبغي) له أن يكون حسن المبرة بنيل المهنة مستوى الذيول واطراف الاكمام نظيف المخفي من الملبس كالقلنسوة والسراويل والتكة والجورب ومنديل الكم فاذا كملت فيه هذه الخصال كان محبوبا الى القلوب سهلا على الارواح واذا لم يكمل كان بالضد مستثقلا معيبا في العيون بغيضا على القلوب كما قيل في أبي يعلى الكاتب القرشي

نعمة الله لا تعاب ولكن * ربما استثقلت على أقوامي
لا يليق الغناء بوجه أبي يعلى * ولا نور بهجة الاسلامي
دنس الثوب والعمامة والبرذو * ن والنعل والقفا والغلامي

(وينبغي) له اذا جلس للشراب مع الملك أن يجلس في المرتبة التي لا يتجاوزها الى ما هو أعلى منها عنده ولا يحط نفسه عنها ولا يكثر الاتكاء بين يديه وليكن منتصب الجلوس خفيف الوطأة ان قام قام لقيامه وليحذر التبسيط والتمديد والتمطي والتثاؤب والتنخم والبصاق وتقريك اليدين وفرقعة الاصابع واللعب بالخاتم والعبث باللحية والعمامة ولا يكون من شأنه التعزية والتهنئة ولا التشميت عند العطسة ولا الاسراع بالتحية ولا العبث بالفاكهة والرياحين والازهار ولا التناول للشمامات ولا الاكثار من التنقل بعد الشرب ولا يرمي ثفل ما يمتصه بحيث يرى ولا بعض الفاكهة نهشا بل يقطع منها حاجته بالسكين قطعا ولا يكثر شم الريحان ولا ادارة اليد فيه ولا يقطع رؤسه ولا ينفضه عند أخذه ولا يفركه ولا يلتقطه بعد مضغه وليكن شربه مصا وكرعه جرعا ولا يشرب من الشراب ما لا يطيق فيزول عقله وليصب لنفسه ما يعلم أنه يقوم به ولا يرفع القدح قبل الملك ولا يصب فيه نبيذا من قبل صبه أو معه ولا يقترح صوتا ولا يظهر الطرب ولا يوقع على تلحين ولا يبدو منه هزل ان ناوله الساقي قدحا

أخذه

أخذه بلا ازدياد ولا نقصان ولا مماسكة ولا مماراة فاذا أحس بنفسه سكرا أسرع القيام والانصراف وهو يملك نفسه ولا يلمس كف غلام عند مناولة كأس ولا يكثر ملاحظته عند معاطاته الراح ولا يشير اليه ولا يغمزه ويستحب منه أن يكون مفتنا فيجري مجرى أبان اللاحقي بما وصف به نفسه للفضل بن يحيى البرمكي وذلك انه ورد الى بابه ليعرض نفسه وأدبه عليه فأتى الى محمد بن زيدان الثقفي فقال له ان رأيت أصلحك الله أن تعرض قصتي على الامير فقال وما فيها قال أعرض نفسي وأدبي عليه فقال عند الامير مثلك مائة ألف فأتى منصور بن هشام فقال له تعرض رقعتي على الامير فقال وما فيها فقال له أعرض نفسي وأدبي عليه فقال فهل لك فيمن دون الامير ليشاطرك الضياع والاموال والرقيق ماخلا الاهل والولد قال قد نازعتني نفسي الى شئ لا بد لي من أن أعطيها شهوتها منه فأخذ قصته فأدخلها الى الفضل بن يحيى فاذا فيها

أنا من بغية الامير وكنز * من كنوز الامير ذو ارباح
كاتب حاسب أديب خطيب * ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الر * يشة مما يكون تحت الجناح
لي في النحو فطنة واتقاد * أنا فيه قلادة بوشاح
لو رمى بي الامير أصلحه الله * رماحا حطمت سمر الرماح
غير ما عاجز ولا مسكين * طوع أمر الامير أسمى الجراح
لست بالضخم يا أمير ولا القدم ولا المدحرج الدحداح
لحيمة سبطة ووجه مليح * واتقاد كشعلة المصباح
وكثير الحديث من ملح النا * س بصير بخافيات ملاح
كم وكم قد خبأت عندي حديثا * هو عند الامير كالتفاح
فيمتلي تخلو الملوك وتلهوا * وماحي للمشكل القداح
أيمن الناس طائرا يوم صيد * في غد وغدوة أو رواح
أعلم الناس بالجوارح والخيـ * ـل وبالخرد الحسان الملاح
كل هذا جمعت والحمد لله * على أنني ظريف المزاح
است بالناسك المشمر كيسه * ولا الفاتك الخليع الوقاح
لو دعاني الامير عاين مني * سمريا كالبلبل الصياح

(قال) فدعى به فلما دخل أتى كتاب من أرمينية فرماه اليه وقال له أجب عنه فأجاب من ساعته فى عرصته فأمر له بمائة ألف درهم وكان أول داخل وآخر خارج واذا ركب فى الموكب فركابه مع ركاب الفضل (ومن) صفات النديم أن لا يكون بجوجا ولا حسودا ولا ممارياً ولا طماع العين ولا طايش اللب ويكون حولاموا فقالك فى علمك ومذهبك ودينك كتوما للسر ويكون أديبا عاقلا أو حكيما فاضلا ليس على طبيعتكما منافرة طبيعية ولا عرضية بشرا اذا حدثته وبشر اذا حدثك كلما ازداد سكره ازداد تواضعه لك ومودته وفضله فالخمرة تحرك ما يوجد من عقل وجهل وتبرزه فى الانسان من القوة الى الفعل وهى محك العقول (صافح) أبو العميثل عبد الله بن ظاهر عند قدومه من سفره فقبل يده فقال عبد الله خدش ثاربك كفى فقال شوك القنفذ لا يضر بتربن الاسد فتبسم عبد الله وقال كيف كنت بعدى قال اليك مشتاقا وعلى الزمان عاتبا ومن الناس متوحشا أما الشوق اليك فلفضلك وأما العتب على الزمان فلمنعه منك وأما الاستيحاش من الناس فلرضاهم بعدك فاحتبسه فلما حضر الشراب سقاه بيده وقال

نادمت حوراكأن البدر غرته * معظما سيدا قد أحوز المهلا
فعلني برحيق الراح راحته * فت سكرا فشكر اللذى فعلا

(بينا) أبو العباس السفاح يحدث أبا بكر الهذلى فعصفت الريح فأدرت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلى ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلى فقال ان الله تعالى يقول ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما لى قلب واحد فلما تخمره السرور بقائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على البيضاء ما أحسست بها ولا وجمت لها فقال السفاح لئن بقيت لارفعن منك ضبعا لا يطوف به السماع ولا يحط عليه العقبان ومن (الآداب) اللطيفة ما يحكى عن ابراهيم بن المهدى قال كنت عند الرشيد فأتاه رسول معه أطباق عليها مناديل ورقعة فأخذ يقرأ الرقعة ويقول وصلة الله وبره فقلت يا أمير المؤمنين من هذا الذى أطنبت فى شكره لنشركك فى جميل ذكره فقال عبد الملك بن صالح ثم كشف عن الاطباق فاذا هى فواكه فقلت يا أمير المؤمنين ما يستحق هذا الوصف الا أن يكون فى

الرقعة

الرقعة ما لا نعلمه فرمى بها الى فاذا فيها دخلت يا أمير المؤمنين الى بستان لى قد غمرته بنعمتك وقد أينعت فواكهه فحملتها فى أطباق قضبان ووجهت بها الى أمير المؤمنين ليصل الى من بركة دعائه مثل ما وصل الى من نوافل بره فقلت وما فى هذا الكلام ما يستحق الدعاء فقال أو ما ترى كنى بالتضبان عن الخيزران وهى اسم امنا (وقال) الشعبى أخطأت عند عبد الملك بن مروان أربعا وهى حدثنى بحديث فاستعدته منه فقال أما علمت أنه لا يستعاد أمير المؤمنين وقلت حين أذن لى أنا الشعبى يا أمير المؤمنين فقال ما أدخلناك حتى عرفنا ك وكنيت عنده رجلا فقال أما انه لا يكنى أحد عند أمير المؤمنين وسألته أن يكتبنى حديثا فقال انا نكتب ولا نكتب (ولما) كان مجلس الشراب مؤهلا للاستكثار من اللذات والتقلب فى المسرات كان الاولى به أن يجمع من الندماء من فيه من الحذاق بالغناء ومن يكون حديثه يطرب سامعيه وملحه أحسن موقعا من الاغانى المعجبة فى قلوب مناديه كما وصفه بعض الشعراء فقال

حديث يشرب له الغوانى * ويأخذ كل سمع باستماعى

فيكون للحديث نوبة وللغناء أخرى (وحكى) عن بشار أنه قال لا تجعلوا مجالسكم حديثا كله ولا غناء كله ولا هزل كله ولا جد كله ولكن تنقلا فان العيش خلس (واعلم) أن فى النديم والخمرة لذات شتى فلذة الخمر زوال الهموم والغموم والافكار ولذة النديم المحادثة قال الشاعر

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا عدوا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

(وأما) أوساط الناس فيجب أن لا يستكثر من الندماء ويقتصر على القليل فان الكثير سبب اذهاب المال ووجود العداوة وفقدان المروة وتعب القلب والجسم ولا يجب أن تصطفى نديما حتى تغضبه فى الصحو فان وجدته جولا مطاوعا قبولا لما تأمره به يصفيك وداده حاضرا وغائبا ما عدا ذلك فى الشدائد اذا وقعت فيها فاعتمد عليه فقلما تجد هذا النديم وقد قال الشاعر

اذا كنت مختار النفس صاحبا * فمن قبل ان تبدئه بالود أغضبه
فان كان فى حال التعدى راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

(قال) بعض الظرفاء شرط المنادمة قلة الخلاف * والمعاملة بالانصاف

والمسامحة بالشراب * والتغافل عن الجواب * وادمان الرضى * والطراح ما مضى واسقاط الثنيات * واجتناب افتراح الاصوات * وأكل ما حضر * واحضار ما تيسر * وستر العيب * ولقد أحسن من قال

لا خير فى الشرب الا مع أخا ثقة * ان سر غنى وان غنيته طربا
يعطيك صمتا اذا غنيته واذا * شربت حى وان حييته شربا
عف اللسان عفيف الفرج تحمده * فى كل حال اذا ثرى وان تربا
فاشدد يديك عليه ان ظفرت به * وأكثر مودته لا تكثر الرهبا

(كان) ابراهيم بن المهدى يقول لذة العيش فى ثلاث منادمة الاحباب ومعاقرة الشراب ومذاكرة الآداب (ويروى) ان أول من جعل لندمائه امارة ينصرفون بها من مجلسه اذا أراد ذلك كسرى وهو انه يمد رجله فيعرفون أنه يريد قيامهم فينصرفون وتبعه الملوك فكان فيروز الاصغر يدلك عينيه وكان بهرام يرفع رأسه الى السماء وكان فى الاسلام معاوية يقول العزة لله وعبد الملك يلقى المروحة من يده وحدث بهذا الحديث عند بعض البخلاء وسئل ما أمارته فقال اذا قلت ياغلام هات الطعام والناس يختلفون فى الشرب فمنهم من يرى كثرة الندماء ومنهم من يرى الانفراد وممن رأى هذا الرأى جماعة من أهل الادب قديما وحديثا ولهم فيه أشعار وأخبار ومنهم من رأى مطالعة الكتب عليها واعمال الفكرة فى تصنيف العلوم والآداب كما حكى عن الشيخ الرئيس ابن سينا انه قال كنت أستعين على مصنفات علومى باستعمال اليسير من الخمر المصلوح من الماء ومنهم الفارابى ودليل ذلك قوله شعرا

لما رأيت الزمان تنكسا * وليس فى العشيرة انتفاع
كل رئيس به ملال * وكل رأس به صداع
لزمت بيتى وصنت نفسا * لها عن اللذة امتناع
أشرب مما اقتنيت راحا * لها على راحتى شعاع
لى من قراريرها ندامى * ومن قراقيرها سماع
واجتنى من حديث قوم * قد اقفرت منهم البقاع

(قال) بعضهم رأيت أعرابيا جالسا بالفلات تحت ظل شجرة ومعه ركوة وهو يشرب قدحا ويصب فى أصل الشجرة قدحا فقلت له ما هذا فقال هو نديم

لا

لا يعربد على يلحقنى بظله ويحمل عنى كله (وقال) بعضهم دخلت على بعض الرؤساء فلقيته يشرب وبين يديه كلب صيد وهو يشرب قدحا ويصب قدحا بين يدى الكلب ومهما أكل طعاما أو تقلا رمى الى الكلب منه فقلت له أتنادم كلبا فقال نعم يكف عنى أذاه ويحرسنى من أذى سواه يشكر قليلى ويحفظ بيتى ومقيلى وأنشد شعرا

وأشرب وحدى من كراهتى الاذى * مخافة شر أو سباب لئيم

(وقال) الشيخ صفى الدين الحلى وأجاد

اذا لم أجد للراح خلا موافيا * فلى بى أنس كامل حين أشرب
لسانى يغنينى وفكرى منادمى * وكفاى تسقينى وقلبى يطرب

ومما يجب على ذوى السيادة والمروءة أن يسامحوا نديمهم اذا وقعت منه هفوة أو غفلة (وما أحسن قول خالد الكاتب)

واست بلاح لى نديما بزلة * ولا هفوة كانت ونحن على الخمر
عزلت بجنبى قول خلى وصاحبى * ونحن على صهباء طيبة النشر
فلما تمادى فات خذها غريقة * فانك من قوم جماجمة زهر
فمازلت أسقيه وأشرب مثلما * سقيت أخى حتى بدا وضح الفجر
ونوصر يعا للجبين موسدا * فوسدته واخترت حلى على الهجر
وأيقنت أن السكر طار بلبه * فأغرق من شتمى وقال ولم يدر
وزال لسان كان اذ كان صاحيا * يقلبه فى كل فن من الشعر

(وقال أبو نواس رحمة الله عليه)

ولست لنديم صدق * وقد أخذ الشراب بوجنتيه
تناولها والا لم أذقها * فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولكنى آخذ الكأس عنه * وأصرفها بعسة حاجبيه
وان رام الوساد لنوم سكر * دفعت وسادتى أيضا اليه
وهذا ما حييت له وانى * أبر له من والديه

(ولله در الصاحب بن عباد) قد حملت أوزار السكر على ظهور الخمر

(وتلطف من قال) وطويت بساط الشراب على ما فيه من خطأ وصواب

(وقال أيضا) تعلم فى مرافقة النديم * مطاوعة الاراكة للنسيم

وعاشره بأخلاق فانى * وحقك عبد رق للنديم
أعاطيه أحاديثى وكأسى * فيسكر بالحديث وبالقديم

(وقال ابن المعتز)

وندماى فى شباب وحسن * أتلفت مالهم نفوس كرام
بين أقداحهم حديث قصير * هو سحر ومأسواه كلام
وغناء يستجهل الراح بالرا * ح كما ناح فى الغصون الحمام
فكأن السقاة بين الندامى * الفات بين السطور قيام

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله)

بروحى نديم يشهد العقل أنه * قضى العمر باللذات وهو خبير
تذكر مزج الكاس عند وفاته * فأوصى لها بالثلث وهو كثير

وأنشدنى من لفظه لنفسه أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى

ورب نهار فيه نادمت أغيدا * فما كان أحلاه حديثا وأحسنا
منادمة فيها منال لمجتدا * نهار تقضى بالحديث وبالمنا

(كتب) الى الحسن بن وهب صديق له من أهل الادب فصلا من كتاب قال فيه وقد قسمك الله بين طرفى وقلبى ففى مشهدك أنس قلبى برويه طرفى وفى بعدك لهو طرفى يذكر قلبى (فأجابه الرجل) فهمت كتابك الذى أخبرت فيه بما أخبرت فسيان عندك على هذا رأيتنى أم لم ترنى اذ كان بعضك يؤنس بعضا وحضور أعضائك تنوب لك عن حضورى لكننى أراك فيخشع قلبى وأغيب عنك فيدمع طرفى فسيان بين من سلا أبدا ومن حزن دهره (سئل) اسحق الموصلى عن عدد الندماء فقال واحدهم واثنان غم وثلاثة نظام وأربعة تمام وخمسة مجلس وستة زحام وسبعة موكب وثمانية سوق وتسعة جيش وعشرة نعوذ بالله من شرهم وضرهم (قال أبو العينا) رب وحشة أنفع من أنيس ووحدة أمتع من جليس (وقال الجاحظ)

أرى للكأس حقا لا أراه * لغير الكأس الا للنديم
هو القطب الذى دارت عليه * رحا اللذات فى الزمن القديم

(وكتب المرحوم فتح الدين محمد بن الشهيد الى القاضى أمين الدين ابن الانفى المالكى) تغمده الله برحمته وكان قد تأخر عن زيارته

حتام

حتام فى سجن الصدود * سرور عبدك يحتبس
معنى الجفاء فهمته * قد زدت فى المعنى قبس
واغث بأنفاس الرضا * نفسى فما فيها نفس
يا مالكى بأبيك زر * نروى الزيارة عن أنس
أقرأ ألم نشرح فكم * نلقاك تقرأ فى عبس
العمر أنفس أن تعيش نهارهمك كالغلس
ان الحياة لغفوة * والعيش طيف يختلس

(الباب العشرون فى سامرة أهل النعيم)

(الليلة) الاولى حكى انه كان بمدينة بغداد رجل من اولاد النعيم ورث من أبيه مالا جزيلا وكان يتعشق قينة فأنفق عليها شيأ ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها ولم يزل ينفق عليها ماله وهو فى أكل وشرب الى أن لم يبق له شئ وافلس فطلب معاشا يعيش فلم يقدر على شئ وكان الفتى فى أيام سعادته يحضر القينة فى صناعة الغناء اتزدادى صناعتها فبلغت فى الصناعة الغاية التى لم يدركها احد سواها وكان الفتى قد علم من صناعة الغناء مثلها أو فى فاستشار بعض اخوانه ومعارفه فقال له ما أعرف لك معاشا اصلح من أن تغنى أنت والجارية فتأخذ على ذلك المال الكثير وتأكل وتشرب وأنت كل يوم طيب العيش فأنف من ذلك وعاد اليها فأخبرها بما أشير به عليه وأعلمها أن الموت أحب اليه من ذلك فصبرت معه على الشدة ثم قالت لقد رأيت لك رأيا قال ما هو قالت تبيعنى فانه يحصل لك من ثمنى ما ان تعيش فيه عيشا طيبا وتتخلص من هذه الشدة وأخلص أنا وأحصل لى نعمة فان مثلى لا يشتريه الا ذو نعمة وبه أكون السبب فى رجوعى اليك قال فحملها الى السوق فكان أول من أعرضها عليه فتى هاشمى من أهل البصرة ظريف أديب كريم النفس واسع الحال فاشتراها بألف وخمسمائة دينار عينا فقال الرجل حين لفظت بالبيع وقبضت المال ندمت غاية الندامة وبكيت أشد بكاء وصارت الجارية فى أقبح من صورتى وجهدت فى الاقالة فلم يكن الى ذلك سبيل واخذت الدنانير فى الكيس ومضيت لا درى الى أين أذهب لان بيتى موحش منها وورد على من البكاء واللطم والنحيب شئ لا أصفه قال

فدخلت بعض المساجد وجلست أبكي فيه وأفكر فيما نابني وفيما عملت بنفسي فمالتني عيني وتركت الكيس تحت رأسي كالمخدة ونمت فلم أشعر الا بانسان قد جذبه من تحت رأسي ومضى يهرول فانتبهت فزعا فطلبت الكيس فوجدته قد أخذ فقمت أريد أجري وراءه واذا برجلي مربوطة في حبل والحبل في وتد فوقعت على وجهي والى حين أن أخلص رجلي هرب ذلك الرجل عني فبقيت ألطم على وجهي ورأسي وقلت فارقت من أحب وذهب المال فكيف حالي فزادني الامر الى أن جئت الى الدجلة ووضعت ثوبي على وجهي ورميت روحي في الدجلة ففطن الحاضرون بي وأن ذلك لغيظ نالني فرموا أرواحهم خلفي فشالوني وسألوني عن أمري فأخبرتهم خبري فصرت بين راحم ومستجهل الى أن جاءني شيخ منهم فأخذ بغصتي وقال لي ياهذا ذهب مالك وتذهب نفسك وتكون من أهل النار فثق بالله العظيم قم معي فأربي بيتك فما فارقني حملني الى منزلي وقعد عندي حتى رأى السكون في فشكرته وانصرف فكدت أقتل نفسي فذكرت الآخرة والنار فخرجت من بيتي هاربا الى بعض أصدقائي القدماء فأخبرته بخبري وما جرى علي فبكى لي رحمة وأعطاني خمسين دينارا وقال اقبل رأيي واخرج الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك الى حيث تجد قلبك تشاغل وأنت من أولاد الكتاب وخطك جيد وأدبك بارع فاقصد من شئت من العمال فاطرح نفسك عليه فلعله أن يستخلفك في شئ تنتفع به وتعيش معه ولعل الله عزوجل أن يجمع عليك جاريتك فعملت على هذا وجئت الى (الكنبين) وقد قوي حالي وزال عني بعض الهم واعتمدت على أنني أقصد واسط لانه كان لي بها أقارب فاذا زلال مقدم وجراية كبيرة وقماش فاخر ينقل الى الزلال فسألتهم أن يحملوني الى واسط فقالوا هذا الزلال لرجل هاشمي ولا يمكننا حملك على هذه الصورة فسألتهم أن يحملوني وأرغبتهم في الاجرة فقالوا لي اذا كان ولابد اخلع هذه الثياب التي عليك والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا فرجعت واشتريت من ثياب الملاحين وجئت الى الزلال بعد أن اشتريت خبزا وما يصلح للسفر وجلست معهم فما كان الا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان يخدمانها فسهل علي ما كان بي وقلت أراها واسمع غناءها من هنا الى البصرة واعتقدت أن أجعل قصدي البصرة وطمعت أن أداخل مولاها وأصير من ندمائه

وقلت

وقلت لعلها لا تخليني من المراد وكنت واثقا بها فلم يكن أسرع من أن جاء الفتى الهاشمي راكبا ومعه عدة ركبان فنزلوا في الزلال وانحدروا فلما صار عند كلوادى أخرج الطعام وأكل والجارية وأكل الباقون على وسط الزلال وأطعم الملاحين ثم أقبل على الجارية فقال لها كم هذه المدافعة عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء ليس أنت أول من فارق مولا كان له محبا فعملت ما كان عندها من أمري ثم ضربت ستارة في جانب الزلال واستدعى الذين يأكلون ناحية جلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فاذا هم اخوته ثم أخرج الصواني فيها الخماسيات والحردابات من المحكم مملوءة شرابا ففرقت عليهم وقدمت لهم الانقال وماشاكل ذلك ومازالوا يرفقون بالجارية الى أن استدعت بالعود واصلحته واندفعت تغني من البعيد الاول وهو

بان الخليط بمن عرفت فأدلجوا * عمدا بمن أهواه لم يتحرجوا
وغدت كأن على ترائبي نحرها * جمر الغضا في ساعة تتأجج

ثم غلبها البكاء ورمت العود وقطعت عن الغناء وتنغص على القوم مشربهم ووقعت أنا مغشيا علي فظن القوم أني قد صرعت فصار بعضهم يقرأ في أذني وأفقت بعد ساعة فلم يزالوا يدارونها ويرفقون بها ويسألونها الى أن أصلحت العود واندفعت تغني في البعيد الثاني

فوقفت أندب للذين تحملوا * وكأن قلبي بالشفار يقطع
فدخلت دراهم أسائل عنهم * والدار خالية المنازل بلقع

ثم شهقت شهقة كادت تتلف وارتفع بكاؤها وصرخت أنا ووقعت مغشيا علي وتبرم الملاحون مني وقالوا كيف حملتم هذا المجنون فقال بعضهم اذا بلغتم بعض القرى فأخرجوه وأريحونا منه فجاءني من ذلك أمر عظيم ثم وضعت على نفسي الصبر والتجلد وقلت أعمل الحيلة في أن أعلمها بمكاني من الزلال لتمنع من اخراجي وبلغنا الى قريب ضيعة فقال صاحب الزلال اصعدوا بنا الى الشط فطرحوا القماش وطلعوا وكان مساء فطلع الملاحون وخلا الزلال فقمت حتى صرت خلف الستارة فغيرت طريقة العود عما كانت عليه الى طريقة أخرى وكانت تعلمها مني فرجعت الى موضعي من الزلال وفرغ القوم من حوائجهم في الشط ورجعوا والقمر قد انبسط فقال لها مولاها بالله عليك لا تنغصي علينا عيشنا ولم يزالوا الى أن أخذت

العود وجسته وشهقت حتى ظنوا أن روحها قد طلعت وقالت والله مولاى معى فى الزلال فقال لها مولاها والله يا هذه لو كان معنا ما منعته من معاشرتنا ولعله كان يخف مابك وننتفع بغنائك ولكن هذا بعيد قالت هذا مما لا اسمعه مولاى معنا قال الهاشمى فسأل الملاحين قالت افعل فسأل الملاحين وقال هل حملتم معكم أحدا قالوا لا وأشفقت أن ينقطع السؤال فصحت نعم هو ذا أنا فقالت كلام مولاى والله فجاءنى الغلمان فحملونى الى الرجل حملا فلما رآنى عرفنى وقال ويحك ما هذا الزى وما الذى أصابك الى أن صرت الى هذه الحالة قال فصدقته عن أمرى وبكيت وأعلى نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى هو واخوته بكاء شديدا رقة لنا ثم قال لى يا هذا والله ما وطئت الجارية ولا سمعت لها غناء الا اليوم وأنا رجل موسع على ولله الحمد وانما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاقى من أمير المؤمنين وقد بلغت الامرين مما أردت ولما علمت أنى أريد الرجوع الى وطنى قلت أسمع من غناء بغداد شيأ فاشتريت هذه الجارية لاصيرها عندى مغنيات لى بالبصرة واذا كنتما على هذه الحالة فوالله لانا لن المكرمة والثواب فيكما وأشهد الله تبارك وتعالى على أن هذه الجارية اذا وصلت الى البصرة أعتقتها وأزوجك اياها واجرى عليكما ما يكفيكما وزيادة ولكن على شريطة أننى اذا أردت الاجتماع تضرب لها ستارة وتغنى من خلفها ونحن مع بعضنا بعض لا تبخل علينا بذلك وأنت من جملة اخوانى وندمانى ففرحت بذلك ثم أدخل رأسه الى الجارية وقال يرضيك ذلك فأخذت تدعو له وتشكره ثم استدعى غلامه فقال خذ بيد الغلام ومده بثياب وبخره وقدمه الينا بعد أن يأكل شيأ وفعل بى الغلام ما أمره به وعدت اليه فحط بين يدى مثل ما بين ايديهما من الشراب والنقل ثم اندفعت الجارية تغنى بانيساط وهو

عيروني بأن سفحت دموعى * حين هم الحبيب بالتوديع
زعموا أننى تهتكت فى الحـ * ـب ما أريد غير مطيع
لم يذوقوا طعم الفراق ولاما * أحرقت لوعة الاسى من ضلوع
كيف لا أسفح الدموع على رسم * عفا بعد ساكن وجموع
هب ان كتمت حالى لاتخفى * زفرات المتيم المصدوع
انما يعرف الغرام لمن لا * ح عليه الغرام بين الربوع

فطرب

فطرب القوم من ذلك طربا شديدا وزاد فرح الفتى بذلك فلما رأيته على ما هو عليه من الفرح أخذت العود من الجارية وأصلحته وضربت به فى أحسن صنعة وغناء واندفعت أقول

اسأل العرف ان سألت كريما * لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسوآل الكريم يورث عزا * وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد * فالقى بالذل ان لقيت الكبارا
ليس اجلال الكريم بذل * انما الذل أن تجل الصغارا

ففرح القوم بى وزاد فرحهم وأنسوا بى غاية الايناس ولم نزل على مسرة وسرور وغبطة وحبور وأنا أغنى ساعة وهى تغنى ساعة كذلك الى أن جئنا الى بعض الشطوط فارسى الزلال وصعد من الزلال كل من فيه وقضوا حوائجهم وصعدت أنا أيضا وكنت سكرانا فقعدت أبول فأخذتنى عينى فنمت وطلع القوم وانحدر الزلال ولم يعلموا بى وهم سكارى وكنت دفعت النفقة التى معى الى الجارية ولم يبق معى حبة واحدة وأن القوم انحدروا ووصلوا الى البصرة ولم أنتبه انا الا من حر الشمس فجئت الى الشط فلم أرى حسا وقد كنت أجلت الرجل أن أسأله بمن يعرف وأين داره من البصرة فبقيت على شاطئ نهر معتلا كاول يوم بدأت فى المحبة وكأن ما كنت فيه منامات واجتازت بى سمارية فحملت فيها ودخلت الى البصرة وما كنت دخلتها قط فنزلت خانا وبقيت متحيرا لا أدرى ما أعمل ولم يتجه لى معاش الى أن اجتاز بى يوما انسان كنت أعرفه ببغداد فتبعته لا كشف له حالى وأسترفده ثم أنفت من ذلك ودخل منزله فعرفته وجئت الى بقال على باب الخان الذى نزلته فاعطيته دانقا وأخذت منه دواة وورقة وجلست أكتب اليه رقعة فاستحسن خطى البقال ورأى ثوبى دنسا فسألنى عن أمرى فاخبرته أنى رجل غريب فقير قد تعذر على التصرف وما بقى معى شئ فقال تعمل معى كل يوم بنصف درهم وطعامك وكسوتك وتضبط لى حساب دكانى فقلت له نعم قال لى اصعد فصعدت ونوقت الرقعة وجلست معه ودبرت أمره وضبطت دخله وخرجه فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائدا وخرجه ناقصا فحمدنى وبقيت معه كذلك شهورا ثم جعل لى كل يوم درهما ولم يزل حالى يقوى معه الى أن حال الحول فناله منى الصلاح فدعانى الى أن

تزوجت بابنته وشاركنى فى الدكان ففعلت ودخلت بزوجتى ولزمت الدكان والحال يقوى الا أنى فى خلال ذلك مكسور النفس ميت النشاط ظاهر الحزن وكان البقال يشرب فربما جذبنى الى مساعدته فأمتنع وأظهر ذلك حزنا منى واستمرت بى الحال على هذا سنتين وأكثر فلما كان فى بعض الايام اذا قوم يجتازون بطعام وشراب وكل أحد على ذلك فسألت الشيخ عن القصة فقال لى هذا اليوم عيد الشعانين يخرج أهل الطرب واللعب والشراب والقينات الى نهر الابلة فيرون النصارى ويشربون ويتفرجون فدعتنى نفسى الى هذا وقلت لعلى أقف لاصحابى على خبر فقلت للبقال كنت اريد النظر الى هؤلاء قال لى شأنك وأصلح لى طعاما وشرابا وسلم الى غلاما وسفينة فخرجت فأكلت وبدأت بالشراب حتى وصلت الى الابلة وابتدأ الناس ينصرفون وعزمت على الانصراف واذا أنا بالزلال بعينه فى وسط الناس سائر فى نهر الابلة فتأملت واذا بأصحابى على سطحه ومعهم عدة مغنيات فحين رأيتهم لم أتمالك فرحا وصحت بهم فلما رأونى عرفونى وأخذونى اليهم وقالوا لى أنت حى وعانقونى وفرحوا بى وسألونى عن قصتى فأخبرتهم بها على أتم شرح وقالوا انا لما فقدناك فى الحال وقع لنا أنك قد سكرت ووقعت فى الماء وغرقت فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت عودها وقطعت شعرها ولطمت وجهها وأقبلت على البكاء والنحيب ولم نقدر معها من ذلك وورد نا البصرة فقلت لها ما تحبين أن يعمل بك فقد كنا وعدنا مولاك بوعد تمنعنا المروءة من استخدامك بعده وسماع غنائك قالت يا مولاى تملكنى من القوت اليسير ولباس ثياب الشعر السوداوأن أعمل قبرا فى جنب من الدار وأجلس عنده واتوب عن الغناء فملكناها من ذلك وهى جالسة عنده الى الآن فأخذونى معهم ومضوا بى فلما دخلت الى الدار ورأيتها على تلك الصورة ورأتنى شهقت شهقة عظيمة ماظننت أنها تعيش فاعتنقناها طويلا ثم افترقنا ثم قال مولاها تأخذها قلت نعم أعتقها كما وعدت وزوجنى بها ففعل ذلك ودفع الينا ثيابا كثيرة وفرشا وفاشا وآلة وجعل الى خمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما اردت أجريه عليك فى كل شهر منذ أول دخول البصرة وقد اجتمع طول هذه المدة فخذه والجارية متسابقة فى كل شهر شئ آخر لكسوتك وكسوة الجارية والشرط فى المنادمة وسماع الجارية من وراء الستارة وقد وهبت لك الدار الفلانية قال

فعلمت

والنظائر اللوامع والبوارق فى الجوامع والفوارق نظم الروضة يسمى الخلاصة شرحه يسمى رفع الخصاصة الورقات المقدمة شرح الروض حاشية على القطعة للاسنوى العذب السلسل فى تصحيح الخلاف المرسل جمع الجوامع الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع مختصر الخادم يسمى تحصين الخادم تشنيف الاسماع بمسائل الاجماع شرح التدريب الكافى زوائد المهذب على الوافى الجامع فى الفرائض شرح الرحبية فى الفرائض مختصر الاحكام السلطانية للماوردى (الاجزاء المفردة) فى مسائل مخصوصة على ترتيب الابواب الظفر بقلم الظفر الاقتناص فى مسئلة التماص المستطرفة فى أحكام دخول الخشفة السلالة فى تحقيق المقر والاستحالة الروض الاريض فى طهر المحيض بذل المجهود لسؤال المسجد الجواب الحزم عن حديث التكبير جزم القلادة فى تحقيق محل الاستعاذة ميزان المعدلة فى شأن البسملة جزء فى صلاة الضحى المصابيح فى صلاة التراويح بسط الكف فى اتمام الصف اللمعة فى تحقيق الركعة لاتمام الجمعة وصول الامانى باصول التهانى بلغة المحتاج فى مناسك الحاج السلاف فى التفصيل بين الصلاة والطواف شد الانواب فى سد الابواب فى المسجد النبوى قطع المجادلة عند تغيير المعاملة ازالة الوهن عن مسئلة الرهن بذل الهمة فى طلب براءة الذمة الانصاف فى تمييز الاوقاف انموذج اللبيب فى خصائص الحبيب الزهر الباسم فيما يزوج فيه الحاكم الغول المضى فى الحنث فى المضى القول المشرق فى تحريم الاشتغال بالمنطق فصل الكلام فى ذم الكلام جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب تقرير الاسناد فى تيسير الاجتهاد رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين تنزيه الانبياء عن تسفيه الاغبياء ذم القضاء فضل الكلام فى حكم السلام نتيجة الفكر فى الجهر بالذكر طى اللسان عن ذم الطيلسان تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك أدب الفتيا القام الحجر لمن زكى سباب أبى بكر وعمر الجواب الحاتم عن سؤال الخاتم الحجج المبينة فى التفضل بين مكة والمدينة فتح المغالق من أنت قالق فصل الخطاب فى قتل الكلاب سيف النظار فى الفرق بين النبوت والتكرار (فن العربية وتعلقاته) شرح الفية بن مالك يسمى البهجة المضيه فى شرح الالفيه الفريدة فى النحو

والتصريف والخط النكت على الالفية والكافية والشافية والشذور
والنزهة الفتح القريب على مغنى اللبيب شرح شواهد المغنى جمع الجوامع
شرحه يسمى همع الهوامع شرح الملحة مختصر الملحة مختصر الالفية دقائقها
الاخبار المروية فى سبب وضع العربية المساعد العلية فى القواعد النحوية
الاقتراح فى اصول النحو وجدله رفع السنة فى نصف الزنه الشمعة المضيئة
شرح كافية ابن مالك در التاج فى اعراب مشكل المنهاج مسئلة ضربى زيدا
قائما السلسلة الموشحة الشهد شذا العرف فى انبات المعنى للحرف
التوشيح على التوضيح السيف الصقيل فى حواشى ابن عقيل حاشية على
شرح الشذور شرح القصيدة الكافية فى التصريف قطر الندا فى ورود
الهمزة للندا شرح تصريف العزى شرح ضرورى التصريف لابن مالك تعريف
الاعجم بحروف المعجم نكت على شرح الشوهام للعينى فجر الغمد فى اعراب
أكمل الحمد الزند الورى فى الجواب عن السؤال السكندرى (فن) الاصول
والبيان والتصوف شرح لمعة الاشراق فى الاشتقاق الكوكب الساطع
فى نظم جمع الجوامع شرحه شرح الكوكب الوقاد فى الاعتقاد نكت على
التلخيص يسمى الافصاح عقود الجمان فى المعانى والبيان شرحه شرح أبيات
تلخيص المفتاح مختصره نكت على حاشية المطول للفنرى رحمه الله تعالى
حاشية على المختصر البديعة تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية
تشييد الاركان فى ليس فى الامكان أبدع مما كان درج المعالى فى نصرة
الغزالى على المنكر المتعالى الخبر الدال على وجود القطب والاوتاد والنجبا
والابدال مختصر الاحيا المعانى الدقيقة فى ادراك الحقيقة النقاية فى أربعة
عشر علما شرحها شوارد الفوائد قلائد الفرائد نظم التذكرة ويسمى القلائد
المشحون (فن التاريخ والادب) تاريخ الصحابة وقد مر ذكره طبقات الحفاظ
طبقات النحاة الكبرى والوسطى والصغرى طبقات المفسرين طبقات الاصوليين
طبقات الكتاب حلية الاولياء طبقات شعراء العرب تاريخ الخلفا تاريخ
مصر هذا تاريخ أسيوط معجم شيوخى الكبير يسمى حاطب ليل وجارف سيل
المعجم الصغير يسمى المنتقى ترجمة النووى ترجمة البقلينى الملتقط من الدرر
الكامنة تاريخ العمر وهو ذيل على ابنا الغمر رفع الياس عن بنى العباس

النفحة

النفحة المسكية والتحفة المكية على نمط عنوان الشرف در الكلام وغرر الحكم
ديوان خطب ديوان شعر المقامات الرحلة الفيومية الرحلة المكية الرحلة
الدمياطية الرسائل الى معرفة الاوائل مختصر معجم البلدان ياقوت
الثمار يخ فى علم التاريخ الجمانه رسالة فى تفسير الفاظ متداوله مقاطع
المجاز نور الحديقة من نظم القول المجمل فى الرد على المهمل المنى فى الكنى
فضل الشتاء مختصر تهذيب الاسماء للنووى الاجوبة الزكيه عن الالغاز
المسكيه رفع شأن الحبشان احاسن الاقتباس فى محاسن الاقتباس تحفة
المذاكر فى المنتقى من تاريخ ابن عساكر شرح بانت سعاد تحفة الظرفاء
باسماء الخلفاء قصيدة رائية مختصر شفاء العليل فى ذم الصاحب والخليل

(ذكر من كان بمصر من حفاظ الحديث ونقاده)

(أبو ذر) عبد الله بن عمرو بن العاص عقبة بن عامر الجهنى الثلاثة صحابة ذكرهم
الذهبى فى طبقات الحفاظ وقد مروا أبو الخير مرثد مكحول نافع مولى ابن عمر
يزيد بن أبى حبيب عبد الله بن أبى جعفر مروا (الاعرج) عبد الرحمن بن داود
المدنى صاحب أبى هريرة أحد الحفاظ والقراء أخذ القراءة عن أبى هريرة
وابن عباس وأكثر من السنن عن أبى هريرة أخذ عنه القراءة نافع بن أبى نعيم
وعنه قال البخارى أصح أسانيد أبى هريرة أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة
قال الذهبى فى طبقات القراء كان الاعرج أول من برز فى القرآن والسنن وقالوا
هو أول من وضع العربية بالمدينة أخذ عن أبى الاسود وله خبرة بانساب قريش
وافر العلم مع الثقة والامانة خرج الى الاسكندرية فأدركه أجله بها مات فى سنة
سبع عشرة ومائة (عقيل) بن خالد الايلى أبو خالد مولى عثمان عن عكرمة ونافع
وعنه ابن لهيعة والليث مات بمصر سنة احدى وأربعين ومائة (يونس) بن يزيد
الايلى أبو يزيد الرقاشى عن الزهرى ونافع مات بالصعيد سنة تسع وخمسين ومائة
(عمرو) بن الحرث حياة بن شريح يحيى بن أيوب الغافقى الليث بن سعد بن لهيعة
المفضل بن فضالة مروا (بكر) بن مضر بن محمد بن حكم بن سليمان أبو محمد المصرى
عن يزيد بن أبى حبيب وغيره كان ثقة عابدا صالحا ولد سنة اثنتين ومائة ومات
يوم عرفة سنة أربع وسبعين (ابن وهب) بن القاسم الامام الشافعى مروا

(أسد) السنة أسد بن موسى بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموى المصرى عن شعبة وروح وعنه الربيع الجيزى وأحمد بن صالح ولد بمصر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومات بها فى المحرم سنة اثنتى عشرة ومائتين (سعيد) بن أبى مريم الحكم بن محمد بن سالم الجمحى المصرى الحافظ أبو محمد عن مالك والليث قال ابن يونس كان فقيها ولد سنة أربع وأربعين ومائة ومات سنة أربع وعشرين ومائتين (عبد الله) بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنى مولاهم أبو صالح كاتب الليث مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين (عبد الله) بن يوسف التنيسى أبو محمد الدمشقى راوى الموطأ نزيل تنيس قال البخارى كان من أثبت الشاميين مات بمصر سنة ثمان عشرة ومائتين عن ثمانين سنة (عبد الله) بن الزبير الحميدى أبو بكر أحد الائمة صاحب المسند كان بمصر ملازما للشافعى فلما مات رجع الى مكة يفتى بها الى ان مات سنة تسع عشرة ومائتين قال أبو حاتم هو رئيس أصحاب ابن عيينة وهو ثقة امام (نعيم) بن حماد المروزى أبو عبد الله نزيل مصر أول من جمع المسند أخرج منها فى فتنة القول بخلق القرآن فحبس بسامر حتى مات سنة ثمان وعشرين ومائتين (يحيى) بن عبد الله بن بكير المخزومى مولاهم المصرى راوى الموطأ صنف التصانيف مات فى صفر سنة احدى وثلاثين ومائتين (أصبغ) بن فرج سعيد بن عفير حولة أحمد بن صالح المصرى أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح مروا (أبو عبد الله) محمد بن رمح بن مهاجر التجيبى مولاهم المصرى الحافظ سمع من الليث وابن لهيعة قال النسائى ما أخطأ فى حديث واحد وقال ابن يونس ثقة ثبت كان أعلم الناس باخبار بلدنا مات فى شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين (الحرث) بن مسكين يونس بن عبد الله الاعلى مروا (الحسن) ابن عبد العزيز بن الوزير الجذامى أبو على الجروى المصرى روى عن بشر بن بكر وعنه البخارى وقال الدارقطنى لم ير مثله فضلا وزهدا رحل من مصر الى العراق فلم يزل بها حتى مات سنة سبع وخمسين ومائتين (محمد) بن سنجر أبو عبد الله الجرجانى الحافظ صاحب المسند عن أبى نعيم وطبقته قال فى العبر مات بصعيد مصر فى ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين (محمد) بن عبد الله بن الحكم مر (الربيع) بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادى مولاهم أبو محمد المصرى صاحب الامام الشافعى وراوى كتبه والمؤذن بجامع الفسطاط روى

عنه

عنه أصحاب السنن الاربعة والطحاوى وأبو زرعة الرازى وغيرهم وأملى الحديث بجامع ابن طولون وهو أول من أملى به ووصله ابن طولون يومئذ بجائزة سنية ولد سنة أربع وسبعين ومائتين ومات يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين ومائتين (قبيطة) الحافظ الثقة أبو على الحسن بن سليمان المصرى نزيل مصر عن أبى نعيم وعنه ابن خزيمة مات سنة احدى وستين ومائتين (أبو بكر) محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى عن أسد السنة وعنه أبو داود والنسائى وثقه ابن يونس وذكره ابن فرحون فى طبقات المالكية وقال له تصانيف فى الحديث وغيره مات سنة تسع وأربعين ومائتين (ابن أخت غزال) الامام أبو بكر محمد بن على بن داود البغدادى نزيل مصر قال ابن يونس كان ثقة فى الحديث مات بها فى ربيع الاول سنة اربع وستين ومائتين (محمد) بن حماد الظهرانى الرازى الحافظ أحد من رحل الى عبد الرزاق حدث بمصر والشام والعراق وكان ثقة مات سنة احدى وسبعين ومائتين قاله فى العبر (يحيى) بن عثمان بن صالح السهمى المصرى روى عن أبيه واصبغ بن فرج وخلف وعنه ابن ماجه وآخرون قال ابن يونس كان حافظا للحديث توفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين (عبدان) أبو محمد عبد الله بن محمد بن عيسى المروزى الفقيه الحافظ مفتى مرو وعالمها وزاهدها أقام بمصر سنين وقرأ على المزنى والربيع ثم انتقل وهو الذى أظهر مذهب الشافعى بخراسان تفقه به ابن خزيمة وابو اسحق المروزى وخلق صاروا أئمة وصنف كتاب المعرفة فى مائة جزء وكتاب الموطأ وكان يرجع اليه فى الفتاوى والمعضلات ولد ليلة عرفة سنة عشرين ومائتين ومات ليلة عرفة سنة ثلاث وتسعين (النسائى) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن يحيى القاضى الحافظ الامام شيخ الاسلام أحد الائمة المبرزين والحفاظ المتقنين والاعلام المشهورين جلال البلاد واستوطن مصر فأقام بزقاق القناديل قال أبو على النيسابورى رأيت من أئمة الحديث أربعة فى وطنى وأقاموا بمصر وعبدان بالاهواز ومحمد بن اسحق وابراهيم ابن أبى طالب بنيسابور وقال الحاكم كان النسائى أفقه مشايخ مصر فى عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال وقال الذهبى هو أحفظ من مسلم له من المصنفات السنن الكبرى والصغرى وهى أحد الكتب الستة وخصائص على ومسند

على ومسند مالك ولد سنة خمس وعشرين ومائتين قال ابن يونس كان خروجه من مصر سنة اثنتين وثلاثمائة ومات بمكة وقيل بالرملة فى صفر سنة ثلاث وثلاثمائة (على) بن سعيد بن بشير بن مهران الحافظ البارع أبو الحسن الرازى يعرف بعلبك نزيل مصر ومحدثها قال ابن يونس كان يفهم ويحفظ مات فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين ومائتين (يحيى) بن زكريا النيسابورى أبو زكريا الاعرج أحد الحفاظ وهو عم محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوة روى عن قتيبة وابن راهويه قال فى العبر دخل مصر على كبر السن ومات بها سنة سبع وثلاثمائة (محمد) بن محمد بن النقاح بن بدر الباهلى أبو الحسن قال فى العبر بغدادى حافظ متعفف روى عن ابن بنى اسرائيل وطبقته توفى بمصر فى ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثلاثمائة (الطحاوى) الامام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن مسلمة الازدى المصرى الحنفى بن أخت المزنى تفقه بالقاضى أبى حازم وكان ثقة ثبتا فقيها لم يخلف بعده مثله انتهت اليه رياسة الحنفية بمصر وله معانى الآثار وأحكام القرآن والتاريخ الكبير واختلاف العلماء وكتاب فى الشروط ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين ومات فى ذى القعدة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة (مكحول) الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتى عن ابن عبد الحكم وعنه ابن زبركان من الثقاة العالمين بالحديث مات فى جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة (الطحان) الحافظ الامام أبو بكر أحمد بن عمرو بن جابر الرملى عن بكار بن قتيبة وعنه ابن زبر مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (ابن يونس) الحافظ الامام أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن الامام يونس عبد الاعلى الصدفى المصرى صاحب تاريخ مصر ولد سنة احدى وثمانين ومائتين وسمع أباه والنسائى ولم يرحل ولا سمع بغير مصر لكنه امام فى هذا الشأن متيقظ حافظ مكثر خبير بأيام الناس وتواريخهم مات فى جمادى الاولى سنة سبع وأربعين وثلاثمائة (ابن الحداد) مر (حمزة) بن محمد بن على بن العباس الكنانى المصرى الحافظ الزاهد العالم أبو القاسم ممن جزء البطاقة عن النسائى وأبى يعلى وعنه الدارقطنى وابن سعيد قال الحاكم متفق على تقدمه فى معرفة الحديث يذكر بالورع والزهد والعبادة مات فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

(ابن

(ابن السكن) الحافظ الحجة أبو على سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادى نزيل مصر ولد سنة أربع وتسعين ومائتين وسمع أبا القاسم البغوى وابن جوصا وعنه عبد الغنى بن سعيد وعنى بهذا الشأن وصنف الصحيح المنتقى مات فى المحرم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة (النقاش) الحافظ الامام الجوال أبو بكر محمد بن على بن حسن المصرى نزيل تنيس ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين وسمع النسائى وأبا على وعنه الدارقطنى مات رابع شعبان سنة تسع وستين وثلثمائة (الحسن) ابن رشيق الامام أبو بكر محمد العسكرى المصرى عن النسائى وعنه الدارقطنى وعبد الغنى قال ابن الطحان ما رأيت عالما أكثر حديثا منه ولد فى صفر سنة ثلاث وثمانين ومائتين ومات فى جمادى الآخرة سنة سبعين وثلثمائة (ابن النحاس) المصرى الحافظ الامام أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن الجراح نزيل نيسابور كان ذا رحلة واسعة سمع أبا القاسم البغوى ومنه الحاكم مات سنة ست وسبعين وثلثمائة عن خمس وثمانين سنة (ابن مسرور) الحافظ الجوال أبو الفتح عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن مسرور البلخى عن ابن سعيد ابن يونس وعنه عبد الغنى وطن بمصر ومات فى ذى الحجة سنة ثمان وسبعين وثلثمائة (أحمد) بن أبى الليث نصر بن محمد الحافظ أبو العباس النصيبى المصرى قال الحاكم باقعة فى الحفظ مات سنة ست وثمانين وثلثمائة (ابن خترابة) الوزير الكامل الحافظ أبو الفضل جعفر بن الوزير أبى الفتح الفضل بن الفرات البغدادى نزيل مصر وزر لصاحب مصر كافور الخادم وحدث عن محمد بن هرون الحضرمى وغيره ورحل اليه الدارقطنى وعزم على التأليف على مسنده قال السلفى كان من الحفاظ المتقنين يملى ويروى فى حال الوزارة عندى من امالية ومن كلامه على الحديث الدال على حدة فهمه وقوة عمله وخترابة اسم جدته أم أبيه ولد سنة ثمان وثلثمائة ومات فى ثالث عشر ربيع الاول سنة احدى وتسعين (عبد الغنى) بن سعيد بن على الازدى الامام الحافظ المتقن النسابة امام زمانه فى علم الحديث وحفظه قال البرقانى ما رأيت بعد الدارقطنى أحفظ منه له مؤلفات منها المؤتلف والمختلف وغيره ولد سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ومات فى سابع صفر سنة تسع وأربعمائة (أبو سعيد) المالينى أحمد ابن محمد بن أحمد بن اسمعيل كان أحد الحفاظ المكثرين الرحالين فى الحديث الى

الآفاق روى عن ابن عدى مات بمصر فى شوال سنة اثنتى عشرة وأربعمائة
(أبو نصر) السجزى الحافظ عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلى البكرى نزيل
مصر كان متقنا مكثرا بصيرا بالحديث والسنة واسع الرحلة قال أبو طاهر الحافظ
سألت الجمال عن الصورى والسجزى أيهما أحفظ فقال السجزى احفظ من
خمسين مثل الصورى مات فى المحرم سنة أربع وأربعين وأربعمائة (الجمال)
الحافظ الامام المتقن محدث مصر أبو اسحق ابراهيم بن سعيد بن عبد الله النعمانى
مولاهم المصرى ولد سنة احدى وتسعين وثلثمائة وسمع عبد الغنى بن سعيد
وابن نظيف ومنه أبو بكر بن عبد الباقى وأحد من روى عنه بالاجازة ابن ناصر
الحافظ وجمع عوالى سفيان بن عيينة وغير ذلك وكان ثقة حجة صالحا ورعا
كبيرا القدر مات سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة (السلفى) الحافظ أبو طاهر
عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد الاصفهانى كان اماما حافظا متقنا ناقدا ثبتا
دينا خيرا انتهى اليه علو الاسناد روى عنه الحفاظ فى حياته وله تصانيف
وكان أوحد زمانه فى علم الحديث وأعلمهم بقوانين الرواية كان مقيما
بالاسكندرية توفى يوم الجمعة خامس ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة
وله مائة وست سنين (عبد الغنى) بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى
الحنبلى الحافظ الامام أوحد زمانه فى علم الحديث والحفظ تقى الدين أبو محمد
الزاهد العابد صاحب العمدة والكمال وغير ذلك من التصانيف نزل مصر فى
آخر عمره ومات بها يوم الاثنين ثالث عشر بن ربيع الاول سنة ستمائة وله تسع
وخمسون سنة ودفن بالقرافة (أبو الحسن) على بن فاضل بن سعد الله الحافظ
الصورى ثم المصرى قال الذهبى أكثر عن السلفى ورأس فى الحديث مات بمصر
سنة ثلاث وستمائة (أبو الحسن) على بن المفضل بن على المالكى المقدسى
ثم السكندرى الحافظ العلامة شرف الدين ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة
وتخرج بالسلفى وكان من حفاظ الحديث وأئمة المذهب العارفين به وله
تصانيف مات بالقاهرة فى شعبان سنة احدى عشرة وستمائة (ابن الأنماطى)
الحافظ البارع تقى الدين أبو الطاهر اسمعيل بن عبد الله بن عبد المحسن المصرى
الشافعى ولد فى حدود سنة سبعين وخمسمائة وسمع ابن الخشوعى ومنه
المنذرى وكان اماما حافظا مبرزا مفيدا مات فى رجب سنة تسع عشر وستمائة

(ابن

لم آخذه حتى نكد عليه ثم أهويت لاخذه منه وأهوى هو ليضعه فاختلفت
أيدينا على الاناء فانكفأ القدح وانهرق اللبن فقال ان هذا لطماح جدا
وضرب بيده الى مقدم البيت واستخرج سوطا ملوما مثل الثعبان ثم دخل
فهتك الستر على ومتع السوط منى تمام عشرين سوطا ثم جاءت امه واخته
فانتزعاه من يده لا والله ما فعلا ذلك حتى زال عقلى وهممت أن أجيبه بالسكين
وان كان فيها الموت فلما تراجوا شددت سترى وقعدت كما كنت فلم البث
الا قليلا حتى دخلت ام جيداء فكلمتنى وهى لا تشك انى ابنتها واندفعت فى
البكاء والنحيب وتغطيت بثوبى وواريتها ظهرى فقالت يا بنية اتق الله فى
نفسك ولا تعرضى بمكروه زوجك فذاك أولى بك واما الاستتر فذاك آخر الدهر
وخرجت من عندى وقالت سأرسل اليك أختك تونسك الليلة فما البثت غير
دقيقة واذا الجارية قد جاءت فجعلت تبكى وتدعو على من ضربنى وأنا
لا أكلمها ثم انضجعت الى جنبى فلما استمكنت منها شددت يدى على فيها
وقلت يا هذه تلك أختك مع الاشتر وقد قطع ظهرى الليلة بسببها وأنت اولى
بالستر عليها فاختارى لنفسك ولها والله ان تكلمت بكلمة لاصيحن أنا
بجهدى حتى تكون الفضيحة شاملتهم فلما سمعت ذلك دفعت يدى عن فيها
واهتزت كما يهتز القضيب فلم أزل بها حتى انست بى فباتت والله معى أحسن
رفيق رافقته ولم نزل نتحدث وتضحك منى وما انى وتمكنت منها تمكن من
لو أراد زنية فعلها ولكن الله عصم فله الحمد ولم نزل كذلك حتى طلع الفجر واذا
جيداء قد دخلت علينا فلما رأتنا ارتاعت وقالت ويحك من هذه فقلت أختك
قالت وما الخبر قلت هى تخبرك فانها والله نعم الاخت وأخذت ثيابى ومضيت الى
صاحبى فركبت أنا وهو وحدثته بما أصابنى وكشفت له عن ظهرى فاذا فيه
ضرب رمى الله ضاربه بالنار كل ضربة يخرج منها الدم فلما رآنى كذلك قال لقد
عظم صنعك ووجب شكرك وطالت يدك فلا أحرمنى الله مكافأتك ولم يزل لى
شاكرا معترفا (الليلة الخامسة) قال الواقدى كان ابراهيم بن المهدى قد ادعى
الخلافة لنفسه بالرى وأقام بها لكها سنة واحدى عشر شهرا واثنى عشر يوما وله
أخبار كثيرة أحسنها عندى ما حكاه لى قال لما دخل المأمون الرى وطلبنى أشد
الطلب وجعل لمن أتاه بى مائة ألف درهم خفت على نفسى وتحيرت فى أمرى

فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدري أين أتوجه فررت على وجهي حتى وقعت في زقاق لا ينفذ فقلت انا لله وانا اليه راجعون ان عدت على أثري يرتاب بي فرأيت في صدر الزقاق عبدا أسود وهو قائم على باب دار فتقدمت اليه فقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى دار نظيفة فيه حصيرة نظيفة ومخدة جلدا لانها نظيفة ثم أغلق الباب علي ومضى لسبيله فتوهمته قد جعل الجعالة في وانه خرج ليدل علي فبقيت على مثل النار قلقا فبينا انا كذلك اذ أقبل ومعه جمال عليه كلما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وجرة نظيفة وكيزان جدد فحط عن الجمال والتفت الي وقال جعلني الله فداك انا رجل حجام وانا أعلم انك تتقذرمني لما أتوالاه من معيشتي فشأنك بما لم تقع عليه يد وكان لي حاجة الى الطعام فطبخت لنفسي قدرا ما أذكر أني أكلت مثله فلما قضيت أربي من الطعام قال لي هل لك من شراب فانه يسلي الهم ويطيب العيش ويدفع عن النفس الغم قلت ما أكره ذلك رغبة في أن أؤانسه فأتى بقطر من جديد لم تمسه يد وجاءني بدنين من شراب مطيبة وقال لي روق نفسك فروقت شرابا نهاية في الجودة وأحضر لي قدحا جديدا وفاكهة ونقلا مختلفة في طسوت نظار جدد ثم قال لي بعد ذلك اتأذن لي جعلت فداك أن أقعد ناحية عنك وآتي بنبيذ لي فأشرب منه سرورا بك فقلت له افعل فشرب وشربت ثلاثا ثم دخل الى خزانته فأخرج عودا مصلحا ثم قال ياسيدي ليس من قدري أن أسألك تغني ولكن قد وجب علي مروءتك وحرمتي فان أردت بأن تشرف عبدك بأن تغني لنفسك فافعل فقلت ومن أين لك أني أحسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله أشهر من ذلك أنت ابراهيم بن المهدي خليفتنا بالامس الذي جعل المأمون لمن دل عليك مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظمت هيبته ومروءته عندي وعلمت أن تخونه أجل من المال الذي بذله في فتناولت العود فأصلحته وغنيت وقد مر بخاطري فراق أهلي وولدي

وعسى الذي أهدى ليوسف أهله * وأعزه في السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا * والله رب العالمين قدير

فقال ياسيدي اجعل الذي تغنيه ما يقتضيه حالك فقلت نعم فقال غن لي

ان

ان الذي عقد الذي انعقدت به * عقد المكاره فيك يحسن حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة * ولعلها ان تنجلي ولعلها

فغنيته ولم أكن أحسن لحنه ولكني لحنته وتفاءلت به وحسن عندي ايراده فشرب وشربت وقال غن لي ياسيدي فقلت

فلا تجزع وان اعسرت يوما * فقد أيسرت في الزمن الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر * لعل الله يغني عن قليل
ولا تظن بربك غير خير * فان الله أولى بالجميل

وكنت أعرفه فغنيت وشربت فقال لله درك علي لله يداذ آنسني بمثلك وما كنت أحسب أن الزمان يسمح لي بكونك في منزلي فان رأيت أن تغني لي فقلت

واذا تنازعني أقول لها اصبري * موت بريحك أو علو المنبر
ما قد قضى الرحمن فاصطبري له * ولك الامان من الذي لم يقدر

فغنيته وحسن في روحي اقتضاءه وآنست به واستظرفته ثم قال لي ياسيدي أتأذن لي أن أغني ماسخ وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت له زيادة في أدبك ومروءتك فأخذ العود وغنى

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما بدا الليل المضر بذي الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذا رنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلما * نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فوالله لقد أحسنت بالبيت قد سرني وذهب عني كلما كنت فيه من الهم وسألته أن يغني فغنى

تعيرنا انا قليل عدادنا * فقلنا لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
وأنا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقربن حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فداخلني من الطرب ما لا مزيد عليه الى أن عاجلني السكر فلم أستيقظ الا بعد المغرب فعاودني فكري في نفاسة هذا الجام وحسن أدبه وظرفه وكيف

اقتضانى من الغناء ما أراد أن يسلينى به فقمت وغسلت وجهى وأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير كثيرة لها قيمة فرميت بها اليه وقلت له استودعك الله فانى ماض من عندك وأسألك أن تصرف ما فى هذه الخريطة على بعض مهماتك ولك عندى المزيد ان أمنت من خوفى فأعادها الى متنكرا وقال لى ياسيدى ان الصعلوك مالا قدر له وليس عندكم من ذوى الرياسات ويظن به الظنون الرديئة عن الاخذ آخذ على ماوهبنيه الزمان من قدرك وحلولك عندى ثم انى ألححت عليه فأومى الى موس وقال والله لئن راجعتنى فيها لاقتلن نفسى فخشيت عليه وأخذت الخريطة فأعدتها الى كمى وقد اثقلنى حملها فلما انتهيت الى باب داره معولا الى المضى قال لى ياسيدى ان هذا الموضع أخفى لك وليس فى مؤنتك ثقلة فأقم عندى الى أن يفرج الله عنك فرجعت وسألته أن يكون منفقا من الخريطة فلم يفعل وكان يفعل فى كل يوم مثل ما فعله فى يوم حلولى عنده فأقمت اياما فى أذعيش فتبرمت من الاقامة فى منزله واحتشمت من التثقيل فتركته وقد مضى يجدد لنا حاجاتنا فقمت وتزينت بزى النساء بالخف والنقاب فخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف أمر شديد وحثثت لاعبر الجسر فاذا أنا بالموضع قد رش وصار زقاقا فأبصرنى جندى ممن كان يخدمنى فعرفنى وقال هذه حاجة المأمون فتعلق بى فخفت حلاوة الروح دفعته هو وفرسه فرميتهما فى ذلك الزقاق وتبادر الناس لينقذوه فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت باب دار وامرأة فى دهليزه فقلت ياسيدة النساء أحفنى دمى فانى رجل خائف فقالت على الرحب وأطلعتنى الى غرفة وفرشت لى وقدمت لى طعاما وقالت يهدى روعك فما يعلم بك مخلوق عندى ولو أقمت سنة وهى معى فى ذلك وأذبالباب يدق دقا عنيفا فخرجت فتحت الباب فاذا بصاحبى الذى دفعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرس فقالت ياهذا مالك فقال لها ان حديثى عجيب ظفرت بالفتى وانفلت منى ولو كنت حملته الى المأمون لتعجلت لى مائة الف درهم قالت وما هو قال ابراهيم بن المهدى لقيته وتعلقت به فدفعنى والفرس فأصابنى ماترين قال فانحرفت اليه خرقا فعملتها فى جرحه وعصبته وأسقته شرابا ونام عليلا وطلعت الىّ فقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم فقالت

فقالت لا بأس عليك ثم جددت الكرامة فأقمت عندها ثلاثا ثم قالت انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على أثرك فيتم بك فانج بنفسك فسألتها امهالى الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها فأتيت الى بيت مولاة كانت لى فلما رأتنى توجعت لى وبكت وحمدت الله على سلامتى وخرجت كأنها تريد السوق والاهتمام فى الضيافة وظننت خيرا فما شعرت الا باسحاق بن ابراهيم الموصلى بنفسه فى خيله ورجله والمولاة معه فسلمتنى له فرأيت الموت عيانا وحملت الى المأمون فجاس مجلسا عاما وأدخلنى اليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا رحاك ولا حباك فقلت على رسلك يا أمير المؤمنين ان أولى الثار بحكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناولته أيدى الاغترار بما أمدله من اسباب الرجا لم يأمن من غائلة الدهر وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذنب تحت عفوك فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم أنشدت

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بحلمك عنه
ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فرفع رأسه الىّ فيدرته وقلت

أذنبت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

فرق لى المأمون واستروحت رواح الرحمة فى وجهه ثم أقبل على أخيه أبى اسحق وابنه العباس وجميع من حضر فى خاصته وقال ما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه لم نجد مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه ينكث بأصبعه فى الارض ثم قال متمثلا

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهين عظمى

فكشفت القنعة عن رأسى وكبرت تكبيرة عظيمة فقلت عفا والله عفى أمير المؤمنين فقال لا بأس عليك يا عم فقلت يا أمير المؤمنين ذنبى عظيم أعظم من أن اتعوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن انطق معه بشكر ولكن أقول

ان الذى خلق المكارم حازها * فى صلب آدم والامام الشافعى
مائت قلوب الناس منك مهابة * وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع
رد الحياة على بعد ذهابها * كرم الملك العادل المتواضع

فقال لى المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك ضياعك فقلت رددت مالى ولم تبخل على به وقبل ردك مالى قد رددت دمى

نأيت عنك وقد خولتنى نعما * هما الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمى أبغى رضاك به * والمال حتى أسل النعل من قدم
ما كان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لولم تعدها كنت لم تلم
وان جحدتك ما أوليت من نعم * انى الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وامر لابراهيم بمال وخلع عليه وقال يا ابراهيم ان ابا اسحق وابا العباس اشارا بقتلك فقلت انهما انصحاك يا أمير المؤمنين ولكن ابيت الا ما أنت أهله ودفعت عنى ما خفت بما رجوت فقال المأمون قدمات حقدى عليك بحيات عذرك وعفوى عنك واعظم من عفوى عنك أنى لم أجرعك مرارا متنان النافعين ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع رأسه وقال يا ابراهيم أتدرى لم سجدت فقلت شكرا لله الذى أظفرك بعدوك وعدو ولاتك فقال ما أردت هذا ولكن شكرا لله على ما ألهمنى من العفو عن مثلك فحدثنى الآن حديثك فشرحت له صورة أمرى وما جرى لى مع الحجام والجندى والمرأة والمولاة التى أسلمتنى فأمر المأمون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع انعامه عليك فقالت رغبة فى المال فقال لها هل لك من ولد أو زوج فقالت لا فأمر بضربها مائة سوط وخلدها فى السجن ثم قال أحضروا الجندى وامرأته والمزين فأحضروا فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال الرغبة فى المال فقال المأمون أنت أولى أن تكون حجاما من أن تكون من أوليائنا ووكل به من يلزمه الجلوس فى دكان الحجام ليتعلم الحجامة واستخدم زوجته قهرمانة فى قصره وقال هذه امرأة عاقلة أديبة تصلح للمهمات ثم قال للحجام لقد ظهر من مروءتك ما يجب

معه المحافظة عليه وسلم اليه دار الجندى ودابته وخلع عليه وأثبته برزقه وزيادة ألف دينار فى كل سنة ولم يزل بخير الى أن مات (الليلة السادسة)
قال الامير بدر الدين يوسف المهمندار بن الامير سيف الدين ابى المعالى ابن رماح المعروف بمهمندار العرب حكى لى الامير شجاع الدين محمد الشرزى متولى القاهرة فى الايام الكاملية سنة ثلاثين وستمائة قال بينما انا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فضيفنا واكرمنا وكان الرجل أسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير وحضر له اولاد حسان فيهم صفاء لون فقلنا ما فلان هؤلاء اولادك بيض وأنت شديد السمرة فقال هؤلاء امهم فرنجية اخذتها فى ايام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب نوبة خطين فقلنا وكيف اخذتها فقال لها حديث عجيب فقلت أتحفنا به فقال زرعت كانا فى هذه البلدة وقلعته ونقضته فانصرف عليه خمسمائة دينار فلم يجب أكثر من ذلك فأشير على بحمله الى الشام فحملته فلم يجب أكثر من ذلك فقيل لى بعه صبرا لعله يرجع لك حق الطريق فبعت بعضه صبرا الى ستة اشهر والبعض تركته عندى واكريت حانوتا أبيع فيه على مهل الى حين انقضاء الستة أشهر فبينما أنا أبيع وقد مرت بى امرأة فرنجية زوج بعض الخيالة ونساء الفرنج يمشون فى الاسواق بلا نقاب فأتت تشترى منى كانا فرأيت من جمالها ما أبهرنى فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وعادت الى بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من الكرة الاولى فتكررت الى عندى وعلمت أنى أحبها فقلت للعجوز التى معها انى قد تعلقت بحبها فكيف تحتالين لى فقالت لها ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو فقلت لها اذا ذهبت روحى باجتماعى بها ما هو كثير وحكت لى كلاما كثيرا جرى بينهما واتفق الحال على أن أدفع لها خمسين دينارا صورية وتجئ اليه قال فوزنت خمسين دينارا صورية وسلمتها للعجوز فقالت هيئ لنا موضعك ونحن الليلة عندك قال فخضيت وجهزت ما قدرت عليه من ما كول ومشروب وشمع وحلوى وكانت دارى مطلة على البحر وكان الصيف ففرشت لى على سطح الدار وجاءت الفرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل فنمنا تحت السماء والقمر يضئ علينا والنجوم تنظر فى البحر فقلت فى نفسى أما تستحى من الله وأنت غريب وتحت السماء وعلى بحر وتعصى الله مع نصرانية فتستوجب عذاب النار وعذاب الدنيا اللهم انى أشهدك أنى قد

عنفت عن هذه النصرانية فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت
الى الصبح فقامت فى السحر وهى غضبى ومضت ومضيت الى حانوتى فجلست
فيه واذا هى قد عبرت على تهى والعجوز وهى مغضبة وكأنها القمر فهلكت
وقلت فى نفسى من هو أنت حتى تترك هذه الجارية أنت الجنيد أو المرى
السقطى ثم لحقت العجوز وقلت ارجعى فقالت وحق المسيح ما نرجع اليك
الا بمائة دينار فقلت نعم ومضيت الى حانوتى ووزنتها وجاءت الى ثانى دفعة
فلحقتنى تلك الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها لله تعالى ثم مضت ومضيت
الى موضعى ثم عبرت على وكلمتنى وكانت مستغربة وقالت وحق المسيح ما بقيت
تفرح بى عندك الا بخمسمائة دينار أو تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت أنى
أغرم ثمن المكان جميعه وأفدى نفسى فبينما أنا كذلك والمنادى ينادى معاشر
المسلمين ان الهدنة التى بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين
الى جمعة ليقضوا أمورهم وينصرفوا الى بلادهم فانقطعت عنى وأخذت أنا فى
تحصيل ثمن المكان الذى لى والمصالحة على ما بقى منه وأخذت معى بضاعة
حسنة وخرجت من عكا وأنا فى قلبى من الفرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق
وبعت البضاعة التى لى بأوفى ثمن لانقطاع وصولها بسبب فراغ الهدنة ومن
الله سبحانه وتعالى على بكسب جيد واخذت اتجر فى الجوارى عسى أن يذهب
ما بقلبى من الفرنجية ولازمت التجارة فيهن فمضى على ثلاث سنين وجرى للسلطان
الملك الناصر ما جرى من وقعة خطين وأخذه جميع الملوك وفتحه بلاد الساحل
باذن الله تعالى فطلب منى جارية للملك الناصر وكان عندى جارية حسنة
فاشتريت له بمائة دينار فاوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت عشرة دنانير فلم يجدوها
فى الخزانة ذلك اليوم لانه أنفق الاموال جميعها فشاوروه على ذلك فقال
امضوا به الى الخزانة التى فيها السبى من نساء الفرنج فخيروه فى واحدة منهن
يأخذها بالعشرة دنانير التى له فأتيت الخزانة فنظرت اليها فعرفت الجارية
الفرنجية غريمتى فقلت أعطونى هاتيك فأخذتها ومضيت الى خيمتى وقلت لها
أتعرفيننى قالت لا فقلت أنا صاحبك التاجر فى المكان الذى جرى له معك
ما جرى واخذت منى الذهب وقلت ما بقيت تبصرنى الا بخمسمائة دينار وقد
أخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مديدك أنا أشهد أن لا اله الا الله وان محمد

رسول

رسول الله فأسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بأمر القاضى
فرحت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى فعجب وعقد لى عليها وباتت تلك الليلة
فحملت ثم دخل العسكر فأتينا الى دمشق فما كان الا شهور قلائل وأتى رسول
الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فرد من كان أسيرا من
الرجال والنساء ولم يبق الا امرأة الفارس التى عندى فسألوا عنها واحوالى السؤال
والكشف فوشى بها أنها عندى فطلبت منى وحضرت وأنا فى شدة وقد تغير لونى
فقالت ما بدا لك وما الذى أصابك قلت جاء رسول الملك وأخذوا الاسارى
جميعهم وطلبونى فقالت لا بأس عليك أحضرنى اليهم وأنا أعرف الذى أقول
لهم قال فأخذتها وأحضرتها قدام السلطان الملك الناصر والرسول جالس عن
يمينه فقلت هذه المرأة التى عندى فقال لها الملك والرسول ترحين الى بلادك
أم الى زوجك فقد فكت أسرك أنت وغيرك فقالت للسلطان أنا قد أسلمت
وحبلت وها بطنى كما ترونه وما بقيت الفرنج تنتفع بى فقال لها الرسول بخيرها
أيما أحب اليك هذا المسلم أم زوجك الفارس فلان فقالت له كما قالت
للسلطان فقال الرسول لمن معه من الفرنج اسمعوا كلامها ثم قال لى الرسول خذ
امرأتك وامض فوليت بها وقد أرسل الى عاجلا وقال ان أمها أرسلت لها معى
وديعة وقالت ان ابنتى أسيرة وهى عريانة شعثة واشتهى أن ترسل لها هذا
الجدان وتسلمه لها قال فتسلمت الجدان ومضينا الى الدار ففتحته فوجدت
فاشها بعينه وقد صررته لها أمها ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينارا
والمائة دينار كما هما بربطتى لم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهى تعيش وهى التى
عملت هذا الطعام (الليلة السابعة) قصة أريب بنت اسحق زوج عبد الله بن
سلام القرشى وكان عبد الله بن سلام هذا واليا لمعاوية على العراق وكانت
أريب هذه من أجل النساء وقتها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا وكان يزيد بن
معاوية قد سمع بجمالها وبما هى عليه من الادب وحسن الخلق والخلق ففتن بها
فلما عيل صبره استهاج فى ذلك مع أحد خصيان معاوية وكان ذلك الخصى خاصا
بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شغفه بها وأنه ضاق ذرعه
بأمرها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمره فبعث له شأنه فقال معاوية
مهلا يا يزيد قال له على م تأمرنى بالمهل وقد انقطع منها الامل قال له معاوية فأين

جاك ومروءتك فقال له يزيد قد عيل الجلد ونفد الصبر ولو كان أحد ينتفع به من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلى به قال له اكتم يا بنى أمرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ أمره فيك ولابد مما هو كائن وكانت أريب بنت اسحق مثلا فى أهل زمانها جمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فأخذ معاوية فى الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه فيها فكتب معاوية الى عبد الله ابن سلام وكان استعمله على العراق ان أقبل حين تنظر كتابى لامر فيه حظك ان شاء الله تعالى ولا تتأخر عنه وأجد السير وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه عبد الله ابن سلام الشام أمر معاوية أن ينزل منزلا قد هيأه وأعد فيه نزله ثم قال لابى هريرة وأبى الدرداء ان الله قد قسم بين عباده نعما أوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها فحباني منها عز وجل بأتم الشرف وأفضل الذكر واوسع على رزقه وجعلنى راعى خلقه وأمينه على بلاده والحاكم فى أمر عباده ليبلونى أأشكر أم أكفر وأول ما ينبغى للمرء أن يتفقده وينظر فيه من استرعاه الله أمره ومن لاغناية عنه وقد بلغت لى ابنة أريد أنا نكحها وأنظر فى تجهيل من يباعلها العل من يكون بعدى يقتدى بى فى هديتى ويتبع فيه أثرى فانه قد بلى هذا الملك بعدى من يغلب عليه زهوا الشيطان ويزينه الى تعطيل بناتهم ولا يرون لمن كفؤا ولا نظيرا وقد رضيت لها عبد الله بن سلام القرشى لدينه وشرفه وفضله ومروءته وأدبه فقال أبو هريرة وأبو الدرداء ان أولى الناس برعاية نعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيما خصه منها لانت أنت صاحب رسول الله وكاتبه وصهره وقال معاوية فاذكروا ذلك عنى وقد كنت جعلت لها فى نفسها شورى غير أنى لارجو أن لا تخرج من رأى ان شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام بالذى قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وانكحى اياك منه فاحرصى على المسارعة الى هواى وقولى لهما عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب جسيم غير أن تحته أريب بنت اسحق وأنا خائفة أن يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء فأنال منه ما يسخط الله فيه فيعذبنى عليه واست بفاعلة حتى يفارقها فلما ذكر ذلك أبو هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام وأعلماه

بالذى

بالذى أمرهما معاوية فردهما الى معاوية خاطبين منه فقال قد تعلمان رضاى به وحرصى عليه وقد كنت أعلمتكما الذى جعلت لها فى نفسها من الشورى فادخلا عليها وأعرضا الذى رأيت لها عليها فدخلا عليها وأعلماها ذلك وأعلماها بالذى ارتضاه أبوها فقالت كالذى قال أبوها فأعلما عبد الله ابن سلام بذلك فلما ظن انه لا يمنعهما منه الا افتراق أريب أنفذهما على طلاقها وبعث بهما اليها خاطبين وأعلما معاوية الذى كان من فراق عبد الله بن سلام امرأته طالبا رضاها فأظهر معاوية كراهيته لفعله وقال لهما ما أستحسن له طلاق امرأته ولا أجيبته فانصرفا فى عافية ثم عودا الينا فيها ونأخذ ان شاء الله رضاها وكتب الى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لاريب بنت اسحق فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء الى معاوية أمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها تبريا من الامر ونظرا فى القدر ويقول لم يكن لى أن أكرهها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها فدخلا وأعلماها بطلاق عبد الله امرأته ليسراها وذكرا من فضله وتمام مروءته وكريم محمدته فقالت جف القلم بما هو كائن وانه فى قريش لرفيع القدر وقد تعرفان ان التزويج جده جد وهزله جد والاناة فى الامور ممن لا يخاف فيها من المحذور فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأنى فيها كان المرء فيها بحسن العذر خليقا وبالصبر عليها حقيقا وانى سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ويصح لى بالذى أريد علمه من أمره وان كنت أعلم أن الاختيار لاحد فيما هو كائن ومعلمتكما بالذى يرتئيه الله فى أمره ولا قوة الا بالله قالا وفقك الله وخار لك ثم انصرفا عنها فلما أعلماه بقولها أنشأ يقول فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غدا لناظره قريب وتحدث الناس بالذى جرى من طلاق عبد الله بن سلام امرأته وخطبته ابنة معاوية وقالوا لم يطلق حتى فرغ من طلبه له الذى كان من بغيته واستحث عبد الله أبا هريرة وأبا الدرداء فاتياها فقالا لها اصنعى ما أنت صانعته واستخيرى الله فانه يهدى من استهداه قالت أرجو والحمد لله أن يكون الله قد خار فانه لا يكل الى غيره من توكل عليه وقد اختبرت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فيه فنهم الناهى عنه والآمر به واختلافهم أول ما كرهت فلما أبلغاه كلامها علم أنه مخدوع فان المرء وان كمل له حلمه واجتمع

له عقله واستبد رأيه ليس يدافع عن نفسه قدرا برأى ولا كيد ولعل ما أسروا به
واستحلوا به لا يدوم لهم سروره ولا يصرف عنهم محذوره قال وذاع أمره وفشا
فى الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته وانما أرادها لابنه بئس
ما صنع فلما بلغ ذلك معاوية قال لعمرى ما خدعته فلما انقضت اقراءها
وجه معاوية أبا الدرداء الى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها
وبها يومئذ الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما فقال أبو الدرداء اذ
قدم العراق ما ينبغى لذى نهى أن يبدأ بشئ ويؤثره على مهم أموره قبل
زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة فاذا دخلت موضعا هو فيه وأديت حقه
والسلام عليه انقلبت الى ما جئت اليه فقصد الحسين فلما رآه الحسين عليه
السلام قام اليه وصافحه اجلالا لصحبته من جده صلى الله عليه وسلم ولموضعه من
الاسلام وقال له ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهنى معاوية خاطبا على ابنه يزيد
أريب بنت اسحاق فرأيت على حقا أن لا أبدأ بشئ قبل السلام عليك فشكر له
الحسين ذلك وأثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها
اذا انقضت اقراؤها فلم يمنعنى من ذلك الا تخير مثلك فقد أتى الله بك فاخطب
رحمك الله على وعليه ليجرى من اختاره الله لها وهى أمانة فى عنقك حتى تؤديها
اليها وأعطها من المهر مثل ما يبذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعل ان شاء الله
فلما دخل عليها قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته فجعل
لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مستخلص ولا
للخروج عن علمه مستناص فكان ما سبق لك وقدره اليك من فراق عبد الله بن
سلام اياك ولعل ذلك لا يعيرك ويجعل الله فيك خيرا كثيرا وقد خطبك أمير
هذه الامة وابن ملكها وولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية
والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من أقر به من أمته
وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما جئتك خاطبا
عليهما فاختارى أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو كان هذا
الامر جاءنى وأنت غائب لاشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم
اقتطعه دونك فاما اذ كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمرى بعد الله اليك

وجعلته

وجعلته فى يديك فاختر لى ارضاهما لربك والله شاهد عليك فاقض فى قصدى
بالتحرى ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى فليس أمرهما عليك خفيا ولا انت
عما طوقتك غبيا قال أبو الدرداء أيتها المرأة انما على اعلامك وعليك الاختيار
لنفسك فقالت عفا الله عنك انما أنا بنت أخيك ومن لا غنا لها عنك ولا يمنعك
رهبة أحد من قول الحق فيما طوقتك فقد وجب عليك أداء الامانة فيما حملتك
والله خير من روعى وحنف انه بنا خبير لطيف فلما لم يجد بدا من القول والاستشارة
قال يا بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى لك وأرضى عندى
والله أعلم بخيرهما لك وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا فمه
على شفتى الحسين فضعى شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه
قالت قد اخترت ورضيته فتزوجها الحسين بن على عليهما السلام فساق لها
مهرا عظيما وبلغ معاوية الذى كان من فعل أبى الدرداء فى ذلك نكاح الحسين
اياها فتعاظمه جدا ولامه شديدا وقال من يرسل ذا بله وعمى يركب خلاف
ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها بدرات مملوءة
ذهبا وكان ذلك أعظم ماله لديه وأحبه اليه وقد كان معاوية أطرحه وقطع عنه
جميع رواتبه عنده اسوء قوله وتهمته انه خدعه فلم يزل يجفوه حتى عيل صبره
وقل ما فى يده ولام نفسه على المقام لديه فرجع الى العراق وهو يذكر ماله
الذى استودعه اياها ولا يدرى كيف يصنع فيه واين يصل اليه وهو يتوقع
جحودها السوء فعله بها ولانه طلقها على غير شئ أنكره عليها فلما قدم العراق لقى
الحسين فسلم عليه ثم قال له قد عرفت ما كان من خبرى وخبر أريب وكنت قبل
فراقى اياها قد استودعتها مالا عظيما وكان الذى كان ولم أقبضه ووالله ما انكرت
منها فى طول صحبتها فتيلا ولا أظن بها الا جميلا فذاكرها أمرى وأحضها على
رد مالى على فان الله يحسن عليه ذكرك ويحرك به أجرك فسكت عنه فلما
انصرف الحسين الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو يحسن الينا عليك
ويحمل النشر عنك فى حسن صحبتك وما أنسه قديما من أمانتك فسرنى ذلك
وأعجبنى وذكر أنه كان استودعك مالا فأدليه أمانته وردى عليه ماله فانه لم
يقل الا صدقا ولم يطلب الا حقا قالت صدق استودعنى مالا لا أدرى ما هو وانه
لمطبوع عليه بخاتمه ما حول منه شئ الى يومه وها هو ذا فادفعه اليه بطابعه فأثنى

عليها الحسين خيرا وقال الا أدخله عليك حتى تبرئ اليه منه كما دفعه اليك ثم لقى عبد الله فقال ما انكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا اليها وتوف مالك منها قال عبد الله أو تأمر من يدفعه الى قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبرئها منه اذا أديته اليك فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فأدالميه أمانته فأخرجت اليه البدر فوضعتها بين يديه وقالت هذا مالك فشكر وأثنى وخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثى لها من ذلك وقال خذى فهذا قليل منى فاستعبرا جميعا حتى علت أصواتهما بالبكاء أسفا على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما للذى سمع منهما فقال اشهدا نها طالق ثلاثا اللهم قد تعلم أنى لم أستنكحها رغبة فى مالها ولا جمالها ولكنى أردت احلالها لبعلها فطلقها ولم يأخذ شيأ مما ساق لها فى مهرها فسألها عبد الله أن يصرف للحسين ما ساق لها فأجابته شكر الما صنعه بهما فلم يقبله الحسين وقال الذى أرجوه من الثواب خير لى فلما انقضت اقراؤها تزوجها عبد الله بن سلام وبقيا زوجين متصافيين الى أن فرق الموت بينهما وحرمها الله يزيد بن معاوية نقلتها من تاريخ ابن بدرون

(الباب الحادى والعشرون فى الشعراء المجيدين وهو مقدمة وتتمة)

أقول لابد من مقدمة ينتفع بها الطالب لهذا العلم لئلا يخلو كتابنا من ذلك الشعر قول موزون مقفى يدل على معنى والمعنى للشعر بمنزلة المادة واللفظ بمنزلة الصورة وهو يشتمل على أربعة أشياء لفظ ومعنى ووزن وقافية وتهذيبه أن يكون اللفظ سمحا سهل المخارج حلوا عذبا وتهذيب الوزن أن يكون حسنا تقبله النفس والغريزة غير منكسر ولا متزحف وتهذيب القافية أن تكون سلسلة المخارج مألوفة فان القوافى حوافر الشعر وأن يقصد الكلام الجزل دون الرذل ولا يعمل نظما ولا نثرا عند الملل فان الكثير معه قليل والخواطر يتبع واذا رفق بها جمت واذا عنف عليها مرجت وليترنم بالشعر وقت عمله فانه يعين عليه وقد يتخيل الشاعر الشعر الجيد فيمكنه

مرة

مرة ولا يمكنه أخرى واياك وتعقيد المعانى واجعل المعنى الشريف فى اللفظ اللطيف لئلا يتلف أحدهما الآخر ومتى عصى الشعر فاتركه ومتى طاوعك فعاوده وروح الخاطر اذا كل واعمل فى أحب المعانى اليك وفى كلما يوافقه طبعك فالنفوس تعطى على الرغبة ولا تعطى على الاكراه واعمل الابيات متفرقة على ما يجود به الخاطر ثم انظمها فى الآخر وحصل المبدأ والمقطع والخروج فهو أصعب ما فى القصيدة فاذا فعلته سهل عليك واشعرها أولا وهذبها أخرا فقد قيل عن زهير انه كان يعمل القصيدة فى شهرين ويهذبها فى حول ولذلك سمى شعره الحولى المنقح قال الخوارزمى من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وأهاجى الحطيئة وهاشميات الكميت وقلائص جرير وخمريات أبى نواس وتشبيهات ابن المعتز وزهريات أبى العتاهية ومراثى أبى تمام ومدايح البحترى وروضيات الصنوبرى واظائف كشاجم ولم يخرج الى الشعر فلا شب الله قرنه واذا نثرت منظوما فغير قوافى شعره عن قرائن سجعه واذا سرقت معنى فغير الوزن والقافية ليخفى ذلك واذا أخذت شعرا فزد على معناه وانقص من لفظه واحترز مما يطعن به عليك فحينئذ تكون أحق من قاله به وان لا يكاتب العامة بكلام الخاصة ولا بالعكس واكثر من حفظ النظم والنثر فعلى قدر ما يحفظ منه يقوى فيه واعلم أن الشعر يسخى البخيل ويشجع الجبان ويفرج الهموم ويرضى الغضبان وكذلك قالوا الشعر بعد من السحر وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا (وقال الشافعى) فى كتاب الام والشعر كلام كالكلام فحسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه وفضله على سائر الكلام أنه سائر فى الناس يبقى على الزمان فينظر فيه وان كان حسنا كان كغيره من الكلام الحسن انتهى (وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى فى خطبة ديوانه ويكفى من تفضيله أن النبى صلى الله عليه وسلم استنشد بعض الصحابة من شعر أمية فأنشده مائة قافية وكانت الصديقة تحفظ للبيد ألف بيت وافية وكان الشعبى يقول لو شئت أن أملى عليكم من انشادى شهر الأعيد بيتا لفعلت وكان الاصمعى يحفظ اثنى عشر الف ارجوزة ومازال السلف يحفظون الشعر قديما ويتخذونه فى الخلوات نديما وينشدونه فى مواطن المؤانسة ويوردون دقائقه فى ساعات المجالسة ولو أوردنا ما ورد فى فضله من الآثار المسندة والاخبار

الممهدة لوقف الناظر منها على حجج قوية ومحجة ضوية ولقد كان جماعة من العلماء الراسخين والائمة الورعين لهم فى صناعة الشعر الغاية وانتهوا فى الاجادة فيه الى النهاية يعرف ذلك من وقف على تراجمهم واحصاها وطالع أخبارهم واستقصاها (وحديث) أحنوا فى وجوه المداحين التراب فالمراد به الغلو والاطراء واستقباح المدح المفرط كلاما وشعرا ونظما ونثرا ولا يختص ذلك بالشعر وحده لما يخشى من افتتان سامعه عنده (وقال أبو بكر المذلى) قال لى الشعبى أتحب الشعر قلت نعم قال انما تحبه قول الرجال ويكرهه مؤنثوهم ثم ان الناظمين لارواح الالية أفراد والناظمين بفرائده ذو وانفراد والسالكين للمناهج الفاصلية أضمرتهم البلاد والمقتفين لمنار السراج والمتحلين بحلية الجمال قلت منهم الاعداد والمؤلفين لعقودها المتواتر مدحها أجادوا بما اذعانه اغماد وجهال مالهم بالاشعار اشعار راموا الوصول الى معانيه اللطيفة بطباع كثيفة وحاولوا أسبابه الخفيفة بنفوس ثقيلة وأسبابه الثقيلة بعقول خفيفة لا يظفر أحدهم بأبيات أو تاده وان كان فى عتوه ذو الاوتاد ولا يتجملون من ملابسه بما يسترهم وان تعصبوا أو نقبوا فى البلاد ولا يحيون من ألفاظهم اليابسة الا بما يقال لهم اذا قطعوه جابوا الصخر بالواد فيقال لمجيدهم اذا أتى بلفظ وزنه وأخلاه من المعانى الحسنة اذا كنت لا تدرى سوى الوزن وحده فقل أنا وزان وما أنا شاعر ثم ان منهم من يظفر بمعنى ولكن يقلبه تركيبا ويركبه مقلوبا ويأتى بجمل غير مفيدة وقد قلت فى ذلك من قصيدة

وشاعر بالمعانى لا شعور له * مركب الجهل بيدى سوء تركيب
موكل بمعانيه يحرسها * فما يركب معنى غير مقلوب

فما أولاه بأن يركب على نفسه مقلوبا ويضرب بأذنه على سوء الادب تأديبا انتهى كلام القاضى برهان الدين (وقال) الشيخ الامام العالم المفنن النحوى العروضى القاضى زين الدين عمر بن الوردى فى خطبة الكلام على مائة غلام ولعمرى ما أنصفنى من ساءنى الظن أو قال عنى كيف رضى مع درجة العلم والفتوى بهذا الفن فالصحابة كانوا ينظمون وينثرون ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون (وقال أبو بكر الخوارزمى) فى مدحهم ماظنك بقوم الاقتصاد محمود

الا

الا منهم والكذب مذموم الا فيهم اذا ذموا أثبتوا واذا مدحوا سلبوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا افتروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يحقر وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر وسهامهم تنفذ فى الاعراض اذا بثت سهامهم عند الاعراض وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد عليها عدل سرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار وبلغت ألف قنطار ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صادروا الصديق لم يستوحش منهم بل ماظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العقل هم أمراء الكلام يقصرون طويله ويقصرون مديده ويخففون ثقيله (وقال الحسن ابن سهل) لا تكسد صناعة الشعر الا فى شر زمان وأخس سلطان (ومن حيلهم) اللطيفة ماذكره أبو الفتح كشاجم فى كتابه المصائد والمطاردوهو ان بعض الملوك كان كثير الاشتغال بالصيد منهمكا فيه وكان بعض الشعراء قصده فتعذر ما أمله وحال بينه وبينه الحجاب لكثرة الفه بالصيد فعمد الشاعر الى رقاع لطاف وكتب فيها ما قاله من الشعر فى مديحه وصاد عنده من الظبا والارانب والثعالب وشد تلك الرقاع فى أذناب بعضها وآذان بعض وراعى خروجه الى الصيد فلما خرج كمن له فى مظانه ثم أطلقها فلما ظفر بها ورأى تلك الرقاع استبشر وزاد فى استظراف الرجل واستلطفه وزاد فى رعى ذمامه وأمر بطلبه فأحضر ونال منه خيرا كثيرا (وقريب) منها سأل رجل نخر الملك وزير بنى بويه حاجة وأمله فلم يعطه شيأ فمضى الرجل الى القاضى واستدعى على بن نباتة الشاعر فلما جاءه الرسول قال والله ما لاحد على دين ولا بينى وبين أحد معاملة ولا محاكمة فمن خصمى أحضره حتى أرضيه فلما جاء الرجل قال ما حقك حتى أوفيك قال له أنت قلت فى شعرك حيث مدحت نخر الملك بقولك

لكل فتى قرين حين يسمو * ونخر الملك ليس له قرين
أخ بجنابه وانزل عليه * على حكم الرجا وأنا الضمين

فأنت قد ضمنت لى ونزلت عليه فلم يفعل والضمين غارم فما أعطانى شيأ فقال أمهلنى حتى أصل اليه فلما دخل على نخر الملك أخبره بالقصة فقال له وكم أملت

منه فقال مائة دينار فقال ادفعوها اليه ثم قال لابن نباتة اذا مدحتنى فلا تضمن عنى (توفى ابن نباتة المذكور سنة خمس وأربعمائة ومولده سنة سبع وعشرين وثلثمائة) وقال فخر الترك أيضا المجنوى يمدح السلطان الملك الصالح أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل تغمدهم الله برحمته ويذكر بنيانه للجزيرة المسماة بالروضة وجلوسه بالمقياس وأولها

الروض مقتبل الشبيبة مؤنق * خضل يكاد عصارة يتدفق

وقد ذكرت اوائلها فى باب الروضات والبساتين ثم ذكرت منها الخمريات الى مبتدا هذه الابيات

ايه مديحى لانفصال قصيدة * يوم الزهان ولا محولك ضيق
هذا مقام الملك حيث تقول ما * تهوى وتطيب كيف شئت فتصدق
فى حيث لا شرف الصفات بمعوذ * فيه ولا باب المدايح مغلق
ملك يلوذ الدين منه بمعقل * أسس سطاه سورة والخندق
لو ان سر الملك فيه محنف * قامت شمائله عليه تنطق
هدأت بسيرته الرعية واغتدى * قلب الحسود من المهابة يخفق
فالدين بعد تفرق متجمع * والكفر بعد تجمع متفرق
الصالح الملك الذى آياته * عقديه جيد الزمان مطوق
عرق الرعية بمن دولته التى * فيهم تأكد عهدها والموثق
جمعت كما اقترح الرجاء الى الغنى * امنا فقد رزقوا الذى لم يرزقوا
فالله نحمد ثم أيوب الذى * أمن الغنى به واثرى المملق
تطل بهم عداته بسنائه * عشقا وقد لرح مما يعشق
فبضمه ضم الحبيب فلو بها * يوم الوغى وهو العدو الازرق
أيات ملكك معجزات كلها * ومدى اهتمامك غاية لا يلحق
شيدت أبنية ترکت حديثها * مثلا يغرب ذكره ويشرق
من كل شاهقة تطل تهيبا * من هول مطلعها الكواكب تسهق
ليس الرخام ملونا فكأنه * روض يفوقه الربيع المغدق
واحتال فى الذهب الصقيل شغوفه * فكأنه شفق الاصيل المشرق
ياحسنها والنيل مكتنف بها * كالسطر مشتمل عليه مهرق

فكأنما

فكأنما طارف اليه ناظر * وكأنه جفن عليه مطبق
وافاه مصطفقا عليه موجه * فكأنما هو للسرور مصفق
وتجاذبت أيدى الرياح رداءه * عنه فظل رداؤه يتمزق
وسرى النسيم وراهن برفقه * فرقى الذى عذب الرياح يمزق
تلك المنازل لاحديث يفترى * عما سمعت ولا العراق وجلق
لله يوم كان فضلك باهرا * فيه ومنك جماله والرونق
يوم تحلى الدهر منه برونق * لما غدا المقياس وهو مخلق
هو ثالث العيدين الا انه * للهو ليس على العبادة يطلق
جمعت لمشهده خلائق غادرت * فيه رحيب البر وهو مضيق
وعلا عباب البحر من سباحه * أمم يغص بها الفضاء ويشرق
كادت تبين لهم على صفحاته * طرق ولكن يعبقون وترثق
لم يمش مركوب بهم فنفوسهم * حشوا النحاكما حث الانيق
حفت جسومهم لفرط صبابة * هزت اليك فخاشوا ان يغرقوا
وفدوا اليك مموهين بأخذما * تعطى وأكثر سؤلهم ان يرمقوا
متجردين عن المخيط لانهم * حجاج بيتك غير أن لم يحلقوا
طافوا به سبعا على وجناتهم * سعيا وأرخى ستره فتعلقوا
والناس شاخصة اليك عيونهم * كل يحدد طرفه ويحدق
ظمئت نفوسهم اليك فلم يكن * صدر يقربه فؤاد شيق
متطلعين كما تطلع صائم * لبرى هلال العيد ليلة يرمق
حتى اذا قضيت مناسك كعبة المقياس وهى لكم عوائد سبق
وشكرت ربك فى الزيادة طامعا * ولشاكر النعماء المزيد محقق
ومددت للتخليق أكرم راحة * أضحى المخلوف بطيبها يتخلق
أقبلت تنظرك العيون فتنثنى * حسرى ويلحظك القلوب فتطرق
تمشى الهوينا قد علتك سكينة * كادت قلوب القوم منها تصفق
متتوجا تاج الجلالة لابسا * حلل الوقار وأنت فيها أليق
وقد امتطى بمنى يديك مهندا * غصنا يروق النصر منه يبرق
حتى انتهيت الى مقر كرامة * بالنيرات مزخرف ومنمق

فجلست حيث جلست منه بزينة * شرفا وطاف بك الملوك وأحدقوا
كل يغض من المهابة طرفه * فتراه وهو لغير فكر مطرق
والنيل مضطرب الغوارب مزبد * صب اليك فؤاده متشوق
لو يستطيع سعى فقبل راحة * هو فى السماح بخلقها يتخلق
فرأيت منك ومنه تجرى رحمة * يتبارزان كلاهما يتدفق
أطعمتهم لما سقى فعليكما * رزق العباد كلا كما يسترزق
لكن بينكما على ما فيكما * من نسبة فى الجود فرقا يفرق
تحصى الاصابع جوده لحسابها * لكن حساب يداك ليس يحقق
ويفيض ذا فى كل عام مرة * وبحار جودك كل حين يدفق
ويخص ذا قوما وجودك يستوى * فيه الانام مغرب ومشرق
وندالك لامن يكدره وذا * يمنن فهو لاجل ذاك مريق
لما غدا المقياس مقسم راحة * يحيى الرعية فيضها المتدفق
أكبرت أن تعلو الملابس عطفه * فكسوته أنوار شمس تشرق
انسانه خلقا جديدا ما رأى * راءله شبها ولا هو مخلق
حرم الخلافة حله من ربه * ملك بمقلته الخلائق ترمق
ذو مقلتين فللتمنع معقل * صعب المرام وللتمتع حوشق
أخذ الوقار عن المشيب وربه * لكن عليه للشبيبة رونق
أيوان كسرى حيث شئت رأيته * منه وأدنى ما هنالك خورنق
حصن تمرد صنعه لامارد * وعلا فعز مناله لا الابلق
دغنت به هوج الرياح فماجرت * فى كرة الا بقلب يخفق
وكأنما هو فى النجوم ملمج * وكأنما هو فى النجوم محلق
هذا الذى أعمى الملوك وجوده * من بعد ما حاموا عليه وحلقوا
أدركت بالتمكين ما لم يدركوا * ورزقت بالتوفيق ما لم يرزقوا
فانقض وواترهم فالقضاء مسدد * والسعد مكتنف وأنت موفق

(قال) شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبى الوفا الموصلى الشهير بابن الخلاوى (مولده سنة ثلاث وستمائة ووفاته سنة ست وخمسين وستمائة) يهنئ الملك الرحيم صاحب الموصل بدار بناها

يا

يا دار نال العلا والمجد يأتيك * حاشاك مما تمنيه أعاديك
عدنا اليك على رغم العداة فكم * بتنا نحث الاغانى فى معانيك
وكم جلونا عروس الراح مشرقة * وكم خلونا بمن نختاره فيك
أصبحت بالعين للذات منزلة * فكل عين لمن عداك تفديك

(قال) الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة يهنئ بدناء دار

ودار علت قدرا على الدور مثلما * علا ربها بالمكرمات على الورى
مطابقة الاوصاف أما نسيمها * فصبح وأما ماؤها فتكسرا
تكرر فيها النبت دهنا وروضة * فلله ما أحلا نباتا مكررا
وشيد هارب الفضائل والندى * فيا حبذا دار القرا آه والقرا
تذكره دار النعيم بطيبها * فيسعى لجنات النعيم كما ترى
لقد زادها فى الحسن يوسف فاغتدت * تباع بمرآها القلوب وتشترا

(والمليح) فى هذا المعنى قول أبى مجبع السلمى

قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام
أجرى الامام عليه نهرا منعما * أعطى القياد وما عليه زمام

(ومنها) فى المديح وأجاد

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

(قلت) الشئ بالشئ يذكر وما أحسن ما ضمن هذه الابيات الشيخ برهان الدين القيراطى رحمة الله عليه وقال

ومشرف ان زاد تشريفا * فقد خلعت عليه جمالها الايام
هو جامع للحسن الا أنه * قصر عليه تحية وسلام
وعلى العدى من نقشه وطروسه * رصدان ضوء الصبح والاظلام

(وقال) على بن الجهم رحمة الله عليه

وفيه ملك كأن النجو * م يقضى اليها بأسرارها
تخر الملوك لها سجدا * اذا ما تجلت لابصارها
وفوارة نارها فى السماء فليست تقصر عن نارها
ترد على المزن ما أنزلت * على الارض من صدر أمطارها

(ونقلت) من كتاب رفع الحجب المنشوره على محاسن المقصوره من الجزء الاول تأليف العلامة قاضى الجماعه بحظيرة غرناطه الشريف المرحوم والخطيب بها أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسينى رحمه الله تعالى وهذا التأليف من العجائب المخترعه ألفه شرحا لمقصورة الامام الاوحد أبى الحسن حازم بن محمد بن حسين بن حازم الانصارى العرطاجى تغمده الله بالرحمة (قلت) ذكر العلامة لسان الدين محمد بن الخطيب فى تاريخه المسمى بالاحاطة ان مولد الشريف الحسينى سنة سبع وتسعين وستمائة و وفاته سنة ستين وسبعمائة قال الشارح و يتعلق بذكر المسالة ماذكره أبو عبد الله بكر بن عباس كاتب المنصور أبى يوسف يعقوب قال كان لابى بكر بن مجير عادة على المنصور فى كل سنة فصادف المنصور فى احدى وفادات فراغه من احداث المقصورة التى كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من ببابه المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوها اياها فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجربته على الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى الى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجير فأنشده قصيدته التى أولها

أعلمتنى الفى عصا اليسا * رفى بلدة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها

طورا تكون بمن حوته محيطة * وكأنها سور من الاسوار
وتكون طورا عنهم نجيبة * فكأنها سر من الاسرار
وكأنما علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالامام يزورها * فى قومه قامت الى الزوار
تبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات بالاقمار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها (ومن لطيف) بداية الشعر بحضرة ملوكهم ماذكره القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى كتابه مسالك الابصار فى ترجمة مجير الدين بن تميم (حكى) ان الملك المنصور استدعاه فى ليلة غفل رقيبها وحضر بيبها وسحبت من سود الذوائب ظفائرها وسجنت من بيض الايام ضرائرها الى مجالس مزخرف وفواكه لم تخرق وامامه جدول قد خرماه

فتكسر وان عليه كل بارق وتحسر والكؤس دائره والشموس فى أيدى البدو رسائره فلما رأى الجدول وقد أصابته من العين نظرة فتعثر وسقط عقد لؤلؤه وتنثر نظر اليه وقال رحمة الله عليه

يا حسنه من جدول متدفق * يلهى بروقى حسنه من أبصرا
ما زات أبذره عيونا حوله * خوفا عليه ان يصاب فيعثرا
فأتا و زاد تمادیا فى جريه * حتى هوى من شاهق فتكسرا

فسر المنصور بأبياته وأحب استطلاع خبايا ته وأمره بالجلوس اليه وجعله أرفع القوم لديه ولم يستقر به المكان ولا قعد ولا استكان حتى تحرك المجلس لغلام ورد كأنما يبسم عن برد فقال له المنصور بصوت يخفيه ماتقول فيه فقال

بأبى أهيف تبدى وجى * بابتسام عدمت منه اصطبارى
فأرانى بوجهه وثنايا * ه نجوما طلعن وسط النهار

فقال له سرا وقد أسفر وجهه وتسرا الا انه شديد النفار من المدام وله قرع بالملام فهل تقدر على استلانته وتسهيل بأسه واستهانته فما قطع المقال حتى التفت اليه بن تميم وقال

اتهجرها صرفا لاجل خمارها * وذلك شئ لو جرى غير ضائر
فلا تخش من داء الخمارى وعاطها * هنيئا مريا غير داء مخامر

(فكاد) الغلام يسطو عليه كالعائب وقال له كالعابث ماهذه فقال

صفراء لو لاحت لشمس الضحى * من قبل أن تطلع لم تطلع
أحسن ما فى وصفها أنها * لم تجتمع والهم فى موضع

فقال بل أشرب خيرا منها وأدع المنهى عنها نم انه أتى بركة فعب من مائها وأرى وجهه خيال قمره فى سمائها فقال

أفدى الذى أهرى بفيه شاربا * من بركة طابت وراقت مشربا
أبدت لعينى وجهه وخياله * فأرتنى القمرين فى وقت معا

ثم لم يزل به حتى شرب ولذ معه ليلة وطرب فلما طلع ابن ذكا وأنار الصبح وأضاء شكر له المنصور حل عقدة الغلام وقال مثلك من سحر بالكلام ثم أحسن له الجائزه وغدا ابن تميم ويده لها جائزه (وحكى) عنه أنه استدعاه فى صبيحة يوم أبيض

ونوبات باسمينه على الارض تنغض والثلج قدنثر كافوره والجليد قد كسر بلوره والسحائب قد أصحبت ذيولها مجروره والبرق قد تلون طول ليلته حتى أخرجها من صورة الى صوره وأوانى الزجاج قد شقت من وراء مدامها والدنان قد فك عنها اختتام قدامها ورجال الراح قد زادت فى اقدامها والساق بعذار كأنما كتب بالريحان أو نسج بالزمرد نبت ألحان وتحت عذاره خيلان قد خبأت مسكها فزاد تضوعا وكثر طيبه تنوعا قد تأرج نشرها وفاح وعلم بنقطها فى خده أنه قديم وصف التفاح فلما دخل عليه فى بكرة ذلك اليوم الاغر ورأى الدنيا ضاحكة تغتر أنشده

يا أيها الملك الذى بسطت له * بالجود كف دهرها لم تقبض
دنياك مذ وعدت بأنك لم تزل * فى نعمة وسعادة لا تنقضى
كأن الدليل على وفاها أنها * أضحت تقابلنا بوجه أبيض

فأجزل له الصله ولم تكن عوائده بمنفصله (ذكر) ابن ظافر فى بدائع البداية ان المعتمد بن عباد كان جالسا فمر عليه بعض خطبائه فى غلالة لا يكاد يفرق بينها وبين جسمها فسكب عليها اناء ماء ورد فعجب من حسنها وجمالها فقال

وهو بيت سالبة النفوس عزيزة * تختال بين أسنة وبواتر

واستجان النخلى وهو على الباب فقال

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن فى ورق الندى * يلتف فى ورق الشباب الناضر
تبدى بماء الورد عند برشعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وحسن حديثها * زهو المؤيد بالثناء العاطر

فلما قرأها استحسنها وقال له أو كنت معنا جالسا (وقال) محاسن الشوى

وحولك من كماة الارض شوش * غلائلها الجواشن والدروع
قد اعتقلوا ذوائب كالافاعى * اذا اضطربت عواملها تروع
تلوك اللجم تحتهم جياد * سلاهب ما بها عطش وجوع
صدمت بهم فريق الترك حتى * تهدم ركن جمعهم المنيع
فكروا والصوارم تستضاء * بأيديهم فعلقها النجيع

(وقال) الصلیبى الداعى رحمه الله

أنكحت

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم * فرؤسهم عوض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها * الا بحيث تطلق الاعمار

(وقال) ابن رشيق الازدى

لو أورقت من دم الابطال سمر قنا * لاورقت عنده سمر القنا الذبل
اذا توجه فى أولى كتائبه * لم تفرق العين بين السهل والجبل
فالجيش ينفض حوليه استنه * نفض العقاب جناحيها من البلل

(العلامة) ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب (مولده سنة ثلاثة عشر وسبعمائة وتوفى تقريبا سنة خمس وسبعين وسبعمائة)

لله موقفك الذى وثباته * وثباته مثل به يتمثل
والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل
لله قومك عند مستجر القنا * اذ ثوب الداعى المهيب واقبلوا
قوم اذا فتح الهجير وجوههم * جبوا برايات الجهاد وظللوا

وقال السيد الفاضل شمس الدين محمد بن الصاحب موفق الدين الآمدى

واذا سرى يلقى السنابك ضعف ما * يراه فوق الطرس من الجفا
مزاج كأس الراح من ماء الظبا * كما أسال من النجيع القرقفا
كأس العجاج ترى الكماة شخوصها * والبيض فوقهم حباب قد طفا
خضب النجيع لكل سيف معصما * ولكل رمح أصبعا قد طرفا

(وقال) عبد العزيز بن نباتة

وولوا عليها يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب
كتبنا بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

(وقال) الشهاب محمد يمدح الاشرف خليل بن قلاون

فصبحتها بالجيش كالروض بهجة * صواره انهاره والقنا الزهر
وأبدعت بل كالبحر والبيض موجه * وجود المذاكى سفن جودك الدر
وأغربت بل كالليل عوج سيوفه * أهلته والنبل أنجمه الزهر
وأخطأت لا بل كالنهار فشمسه * جيوشك والآصال راياتك الصفر

(وقال) الاسعد بن مماتى يمدح الظاهر غازى

أسكران نديم العدو غاز * وأسماء الملوك لها حلاها
كأن السمر ريشها طوال * فكم نفس بهن قد استقاها
اذا اكتحلت عيون من عداة * بغير حيلة وجدت عماها
وأطمع نفس أسمره وأضحى * يفتش عن نفوس ماخباها
كأنك خلتها سترت كمينا * فتطعنها لتبصر ماوراها
سل البيت المقدس عنه يخبر بسورة فتحه لما تلاها
محا الناقوس والصلبان عنه * وأثبت هل أتى فيه وطاها

وقال التهامي رحمة الله عليه

ودحوا فوق الارض أرضا من دم * ثم أنبتوا فنتوا سماء غبار
قوم اذا لبسوا الدروع حسبتها * سحبا مزررة على أقمار
وترى سيوف الدار عين كأنها * لجج تمد بها أكف بحار
حثوا الجياد من المطى وراوحوا * بين السروج هناك والاكوار
وكأنما ملؤا عباب دروعهم * وعمود نصلهم شراب قفار

(وقال) سبط بن الجوزي لما صالح الكامل الفرنج على دمياط وعاينوا الهلاك أرسلوا اليه يطلبون الصلح والرهان ويسلمون دمياط فحرص الكامل على خلاص دمياط منهم أجابهم ولو أقاموا يومين أخذوهم برقابهم فبعث اليهم الكامل ابنه الصالح أيوب وابن أخيه شمس الملوك وجاءت ملوكهم الى الكامل فالتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخيام ووصل المعظم والاشرف في تلك الحال الى المنصورة وذلك في ثالث رجب سنة ثمان عشرة وستمائة فجلس الكامل في خيمة عظيمة كبيرة عالية ومد سماطا واحضر ملوك الافرنج والخيالة ووقف في خدمته اخوته المعظم والاشرف وغيرهما وقام شرف الدين راجح الحلي وأنشد

هنيأ فان السعد راح مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتح بابه لنا * مبينا وانعاما وعزا مؤبدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله * الطغاة وأضحى بالمراكب من بدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام مجردا

فلم

فلم يبق الا كل سلوب مجندل * ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكفر في الارض رافعا * عقيرته في الخافقين ومنشدا
اعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا يخدمون محمدا

(وقال) الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغني أنه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمدا الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق (وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح لامية العجم أنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدني من لفظه لنفسه بدر الدين أبو المحاسن محمد بن يوسف المهمندار في السلطان الملك الظاهر لما خاض الفرات

لو عاينت عيناك يوم نزالنا * والخيل تطفح في العجاج الاكدر
وسنا الاسنة والضياء من الظبا * كشفا لاعيننا قتام العثير
وقد اطرخم الامر واحتدم الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجتر
لرأيت سدا من حديد ماثد * فوق الفرات وفوقه نار ترى
ظفرت وقد منع الفوارس ردها * تجري ولولا خيلنا لم تشكرى
ورأيت سيل الخيل قد بلغ الربا * ومن الفوارس أبحرا في أبحر
لما سبقنا أسهما طاشت لنا * منهم الينا بالخيول الضمر
لم يفتحوا للرمي منهم أعينا * حتى كحلن بكل لدن أسمر
فتسابقوا هربا ولكن ردهم * دون الهزيمة رمح كل غضنفر
ما كان أجرى خيلنا في اثرهم * لولا انها برؤسهم لم تعثر
كم قد فلقنا صخرة من صرخة * وكم ملأنا محجرا من محجر
ملأوا الفضاء فمن قليل لم ندع * فوق البسيطة منهم من مخبر
سدت علينا طرقنا قتلاهم * حتى جعلنا للمكان الاوعر
من كل أشهب خاض في بحر الدما * حتى بدا لعيوننا كالاشقر
وجرت دماهم على وجه الثرى * حتى جرت منها مجاري الانهر
والظاهر السلطان في آثارهم * يدوي الرؤس بكل عضب أبتر
ذهب العجاج مع النجيع بصقله * فكأنه في غمده لم يشهر

(وقال) الاديب الفاضل الكامل الترحال جواب الآفاق برهان الدين

ابراهيم الساحلى الشهير بالطوبخى المغربى ذكره العلامة لسان الدين ابن الخطيب فى الاحاطة وأثنى عليه الثناء البالغ وذكر ان وفاته سنة سبعمائة وتسعة وثلاثين من قصيدة مطولة مدح بها أحد ملوك اليمن وأولها

خطرت كبعاد القنا المتناظر * ورمت بألحاظ الغزال الاعفر
تسجى على الخد النقاب وانما * ترخى الغمام على الصباح المسفر
فتخال فوق الروض ظل أراكة * وعلى ثرى الكافور رملة عنبر
وبمجلع الصدغين مطرز وجنة * زحفت عليه كتائب ابن المنذر
من أمره زحفوا بعسكر تبع * وتقلدوا بعزائم الاسكندر
السائمين الرمح من خلل الظبا * والنجم من طرف السنان الازور
والمطعمين الاسد من أمثالها * أسلا كل مجندل ومعفر
والخالعين على الزمان ملابسا * نظمت مفاخرهم كنظم الجوهر
سلوا أسنته الضحى يوم الوغى * فيعيدها بالليل أين العثير
وجياده بالعاديات وبيضه * بالقارعات وكفه بالكوثر
قابل برعبك جيش صدك تثنى * واضرب بعزمك قبل سيفك تنصر
فرؤس من عاديت أغماد الظبا * ودماء من ناويت زى المعصفر
جرع عدوك فضل كأس قدسقى * منها أبوه فان أبى فليجبر
أعمد ذؤابته التى لم تستتر * وحسام مزنته التى لم تقطر
أرسل عليه عقاب عزم صادق * يستاق روح لعامه المستبشر
مزق ثياب العز عنه وخل فى * عطفيه حاشية الرداء الاحمر
هذى قواعد ملكه مدت الى * علياك جيد اللائذ المستنصر
ضاقت يدا بهما وقل نصيره * فيها فطلقها طلاق المعسر
خذها اليك محاجة من شاعر * غاصت اليك بأبحر لم تسجر
مرضى العيون كليلة أجفانها * ان لم تثر انسانها لم تبصر
وقف ابن أوس دونها وتخضبت * فى نسج حلتها أكف البحترى
واسحب ذيول العز فى أرض الندى * واركب ظهور الشهب يوم المفخر
واضرب رواق العز فى أرض العلى * وارفع سماك الفخر فوق المشتر

(وقال) القاضى الفاضل تغمده الله برحمته

اهذه

أهذه سير فى المجد أم سور * وهذه أنجم فى السعد أم غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها فى الجهادرر
وأنت فى الارض أم فوق السماء ففى * يمينك البحر أم فى وجهك القمر
يقبل البدر ترباً أنت واطئه * فالتراب عليه ذلك الاثر
نأى به الملك حتى قيل ذا ملك * دنا به الجود حتى قيل ذا بشر
فى كل يوم لنا من مجده عجب * وكل يوم لنا من ذكره سمر
نظرت فى نجمه فالسعد طالعه * لا ينقضى وعلى أمواله سفر
أبو الفوارس والابطال مشفقة * وهم بنوك فما تبقى ولا تذر
يلقى عروس المنايا وهى حاسرة * وخدها فيه من فيض الدما حفر
والضرب بالبيض من آثاره عكن * والطعن بالسمر من آثاره سعر
وربّ ليلة خطب قد سريت بها * وماسرى كوكب فيها ولا قمر
سمت الغويص بعزم ماله ضجر * وابعيد يباع مابه قصر
وأنت فى جيش رأى لاغبار له * ترمى العداة بقوس مالها وتر
هى الحروب التى لا السيف منثلم * فيها ولا الذابل اللدنى ينتظر
فى كعبة للندى لوحلها ملك * هب النطق حتى قيل ذا حجر
وسائل لى ما العليا فقلت له * فى فعله الخير أو فى قوله الخبر
ما أنصفت مجده نظام سيرته * ان الذى سترواً فوق الذى سطروا
نال السماء بأطراف القنا فبدت * من النصول عليها أنجم زهر
لا يحدث النصر فى أعطافهم مرحا * حتى كأنهم بالنصر ما شعروا
أجوادما العدا بين الرماح فما * يقال ما عندهم ماء ولا شجر
نرى غرائب من أفعال مجدهم * يردها الفكر لولم يشهد النظر
خلائق فى سموات العلا زهر * منها تنير وفى روض الثنا زهر
الناس أضيافكم والارض داركم * فهو المقام فلم قالوا هو السفر
ما أنصف الشكر لولا ان تسامحنا * فأنت تطنب جودا وهو يختصر

(الباب الثانى والعشرون فى الحذاق المطربين)

قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الطيبة فان النفس اذا حزنت

خدنورها واذا سمعت مايطربها ويسرها اشتعل منها ماخمد (وكان) حكماء الهند يسمعون الغناء للمريض ويزعمون أنه يخفف العلة ويقوى الطبيعة والغناء غذاء الارواح كما أن الاطعمة غذاء الاشباح (وقال) معاوية وقد سمع عنده مغن حرك رأسه وصفق بيده ودخلته أريحية ثم لما ثاب رأيه اليه اعتذر منه ان الكريم طروب ولا خير فى من لا يطرب (وقال) أبو الحسن بن مقلة يعجبنى من يقول الشعر تأدبا لا تكسبا ويغنى تطربا لا تطلبا * الشئ بالشئ يذكر وما ألطف قول الشيخ برهان الدين الفيرطى من قصيدة

يابى غنى ملاحة أشكوله * فقرى فيصيح بالغنا يتطرب

(وكان) مروان بن أبى حفصة اذا تغذى عند الموصلى يقول له الغناء غذاء الارواح كما أن الشراب غذاء الاشباح (يقال) السماع كالروح والخمر كالجسد والسرور ولدهما (اعلم) ان بين الخمر والغناء مناسبة فى أكثر الاحوال ومضارعة فيما يحمد منه من محمود الخصال لان فيه مايصير الجبان اذا سمعه شجاعا ومنه مايكون للهم دفاعا ونغمه يبعث الشحيح على السخاء ومقابله سؤال السائل بالعطاء وفيه ماليس فى الخمر من الخصائص العجيبة الامر وذلك أن الرجل الواحد يغنى له فى طريقه فيلين خلقه ويغنى له فى غيرها فتظهر شراسته وترفه واذا سمع ضربا منه استنفره واذا غنى بصوت آخر لم يمكن العواصف ان تهزه وفيه مايبكى سامعه ولممازجة الاصوات الحسنة للارواح واهدائها الى القلوب ظرائف الافراح كانت البهائم اذا سمعتها تحن اليها والطير يشغف بها ويطرب عليها والابل يكسبها الحداء مثل مايكسب الانسان الغناء والخيل والبغال والحمير تلذ بشرب الماء اذا تواصل من ساقيها الصفير والحمامة المطوقة والشحاريز والبلابل والزرازير والهزار دستانات وغيرها من الطيور المستحسنة الاصوات تسمع أصواتها فيبين منها الطرب وذلك داعيها الى تكريرها ولاجل ذلك يتخذها الملوك فى قصورهم ويجعل أماثل الناس كثيرا منها فى دورهم وان كانت أصواتها لا تدل على معنى رائق يعلم ولا تتضمن مايعرب عنه الكلام الذى يفهم فحاظنك بالالفاظ التى يسمعها السامع فيعيها ويفهم مايفيده اياه من معانيها اذا أدركها ملحنة ممن خصوا بصفاء الحاق والنغمات المستحسنة ولهذه العلة صار من سمع غناء المحسن يشرب من النبيذ عليه أزيد مما يحتمله حاله اذا لم يصغ

اليه

اليه ويستمرئ الكثير منه مع سماعه وان كان يثقل عليه قليله اذا خلا من استماعه وقد علم ان الصبى الطفل اذا انزعر خلقه واتصل بكاؤه لو جيء بناله أو ضجر بجده وصوتت له دادته بكلام تلحنه وتراجعه سكن قلقه أو سمع من منومته مثل ذلك زال أرقه (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلى عيش الدنيا بعد الصحة والشباب فى الطلاء والغناء والنساء والآلات التى اتخذت للغناء بها واستعملت على ترتيب أمكن معه ان يظهر منها مايظهر من الحيوان الذى يرجع صوته بالحان فان الحكمة فيها مطلوبة والمنافع المكتسبة منها جميلة جسيمة والعود أجلها خطرا وأحسنها فى القلوب أثرا وقد كان داود عليه السلام أحذق الناس بصوغ الالحان فى تسبيحه ويعرف الفاسد من ذلك من صحيحه وبه كان يضرب المثل فى حسن ايقاعه فى عوده وارتياح القلوب لصوته وتغريده وكان قبل افضاء الملك اليه واجتماع بنى اسرائيل عليه يحضره ملكهم طالوت اذ غلب عليه خلط ردى، كان يعتريه فيأمره أن يوقع له بالعود ويسمعه من أصواته ما يستلذه فيفعل فيسكن ماهاج به ولما صار الملك اليه نصب من أعظم الحذاق بتلحين المزامير والتسبيح بها على العيدان والطنابير وغيرها من الدفوف والطبول والصلصل ومايجرى مجراها جماعة وكانت العدة التى تحضر من هذه الطائفة عنده أربعة آلاف فى كل ليلة ذكر ذلك جميعه الثعالبى فى فوائد الافراح وحدود الغناء أربعة لا يستغنى عن واحد منها وبها يتم وعليها يبنى فأقلها النغم ثم تأليفه ثم قسمته ثم ايقاعه فما اشتمل من الشعر على هذه الحدود فهو غناء وان نقص منه فليس بغناء (وذكر) اليونانيون ان الاوتار الاربعة شبهت بالطبائع الاربع وان البم مشاكل للارض والسوداء والمثلث بالماء والمبانم والمثنى بالهواء والدم والزير بالنار وان النار لما كانت فى الطرف الاعلى فى العالم والارض فى الجهة السفلى منه جعل مابين البم والزير كذلك وزعمت الاعاجم أنه مشتق من صرير باب الجنة وماقدم أحد من الامم على العود من الملاهى الا لما جمع من الفضائل التى استبد بها وقصر سواه عن اللحاق فيها والحاذق به فى الغناء مقدم على كل حاذق (وذكر) ان عبد الملك أتى بعود قد أخذ مع شارب بالليل فقال وعنده قوم ماهذا ولاى شئ يصلح هذا واى شئ يعمل به فسكت جلساؤه فقال عبد الله بن مسعدة الفزارى هذا عود يؤخذ

خشبه فيشقق و يرقق و يلصق ثم يعلق عليه هذه الاوتار وتحركها الجارية الحسناء فينطق بأحسن من وقع القطر فى البلد القفر وامرأتى طالق ان لم يكن كل من فى هذا المجلس يعلم منه مثل ما علمت وأولهم أنت يا أمير المؤمنين قال فضحك عبد الملك

(فصل) وينبغى أن يكون المغنى جميل الخلق صافى الخلق حلاوه وعليه طلاوه مستعذب العباره نظيف الشارب يحفظ كثيرا من الملح والاخبار والنوادر والاشعار وشيأ صالحا من علم الاعراب ما يختلط معه بذوى الآداب غير غمام ولا مغتاب ولا فضولى ولا عتاب كامل الظرف بعيدا من الظنة متوقيا للهجن كتوما للاسرار مرتكبا طريق الاسرار ذو روايح ذكيه وبشرة نقيه وجوارح سالمة من العيوب وشمائل يخفق بها على القلوب صناعته مجبه وأغانيه مطربه فمن اجتمعت فيه هذه الصفات والمناقب وسلم مما تقدم ذكره من المعائب والمثالب كان حقيقا من الملوك بالاختصاص وخليقا منهم بأن يشرفوه بالاصطناع والاختصاص ومنهم من يكون حاذقا فى صناعته فيبلغ فى احكامه غاية استطاعته واجتمعت فيه الخلال الحميده وعرف بالاخلاق السديده غير انه لم يرزق صوتا يستعذبه و يحسن ممن يغنى له موقعه فتصطفيه الملوك لتعليم الغناء ممن يؤهلونه لذلك من الوظائف والاماء وتختلف أحوال الباقين فى أخلاقهم وخلقهم والمذهب من كل ذى علم وصناعه قليل وتعديد ما يوجد من أخلاق الرجال يطول (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلى شر الغناء والشعر الوسط لان الاعلى منهما يطرب والرذل يضحك من صاحبه و يلهى به والوسط لا يطرب ولا يضحك (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى شرح العيون ما صورته و يقال ان أول من اتخذ العود الملك المتوشلخ على مثال نخذ ابنه الميت وهو قول ضعيف (وقيل) بطليموس (وقيل) بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة كما تقدم ذكره (وذكر) ان أول من غنى على العود بألحان الفرس النضر بن الحرث بن كلدة وفد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء وقدم مكة فعلم أهلها وأول من غنى فى الاسلام بألحان الفرس سعيد بن مسجح وقيل طويلس وذلك ان عبد الله بن الزبير لما وهى بناء الكعبة رفعها وجدد بناءها وكان فيها

صناع

صناع من الفرس يغنون بألحانهم فوقع عليها ابن مسجح الغناء العربى ثم دخل الى الشام فأخذ عن ألحان الروم ثم رحل الى فارس فأخذ الغناء وضرب العود واتبعه من بعده وبدأ هذا العلم بطليموس وختم باسحق بن ابراهيم الموصلى (وذكر) القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والظرف أنه وجد للاسعد المرتضى أحمد بن عبد الواحد لما قبض عليه المستنصر فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة ما يجوز حد الحصر لكثرته وجلالته وعلو همته وفيما وجد له عدلان كبيران أوتارا برسم عيدان الغناء وعدلا مخزوما مضارب العيدان وثلثمائة طبل شبرى وغير ذلك من سائر أصناف الملاهى ووجد له هاون فضة وزنه سبعون رطلا

(فصل) فيما ورد للفضلاء فى مدحهم قال الشيخ برهان الدين القيراطى

أقول اذ حبس عود مطرب حسن * يريك يوسف فى أنغام داود
من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة
ومن بنانك يجرى الماء فى العود

وقال أطربنا العود الى أن غدا * مقاصنا يرقص مع صحبه
فشمعه قام على ساقه * وكأسه دار على كعبه

الشئ بالشئ يذكر أنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ تقى الدين بن حجة الحموى فسح الله فى أجله من قصيدة حربية

ان حبس عود الضرب مال سامعه * والخيل يرقصها ان حرك الوترا

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

وشذا فى أصفها * ن بالاغانى المطربات
مسمع غنا فأغنا * بصفات الحسن ذات
قلت اذ حرك عودا * عارفا بالنغمات
أنت مفتاح سرو * رى يا سعيد الحركات

(وقال) المرحوم فتح الدين بن الشهيد وقد أحضر له بدر الدين طائرا يعنى العواد بسفارة الحاجب توكل

نهارى ليس كله بمنادم * على عودة تعروا لحشا بالتفرك
وكنت أراه طائرا عز مطلبا * ولكننى حصلته بتوكل

وأنشدنى من لفظه لنفسه اجازة سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المالكى المخزومى الشهير بالدمامينى أسبغ الله ظلاله

يا عزولى فى مغنى مطرب * حرك الاوتار لما سفرا
لم تهز العطف منه طربا * عند ما يسمع منه وترا

(وقال) علاء الدين الوداعى فى مغن يدعى الفصيح

وليلة مالها نظير * فى الطيب لو ساعفت بطولى
كم نوبة للفصيح فيها * أطرب من نوبة الخليل

وممن برع فى الالحان وعلمها أبو عامر محمد بن الحجارة الغرناطى اشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعر فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عود الغناء وينظم الشعر ويلحنه ويغنى به ومن شعره قوله

اذا ظن وكرى مقلتى طائر الكرى * رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل

(ذكر) هذا الاديب نور الدين على بن سعيد فى كتابه المعرب فى حلى المغرب

(وقال) سيف الدين المشد

ومطرب قد رأينا فى أنامله * سبابة لسرور النفس أهلها
كأنه عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

وقال محيى الدين بن قرناص

مشبب بيفاع راح يقتلنا * فان تدار كنا بالنفخ أحيانا
هويت تشبيهه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

(وقال) محيى الدين بن عبد الظاهر

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

(وقال) الشيخ بدر الدين ابن الصاحب

أطربنا مشبب من غير جعل سأله * بأحسن موصول له لم يفتقر الى صله

(وظرف) فى قوله أيضا وان لم يكن فى المعنى

يا مهدى الاقصاب من سكر * صفرا حكى سمر القنا طولها
اياك أن تقطعها ساعة * فأطيب الاقصاب موصولها

(ومن) ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

اصغ لما قال أحور فهنا * وخل قيل اليوم ما قيلا
واسمع مقاطيعا لنا أطربت * فلا تقل الا مواصيلا

وقال ابراهيم المعمار

ومشبب أبدى لنا * قولا بنغمته الشهيه
متعانم فكأنه * متكلم بالفارسيه

(وقال) زين الدين بن عبد الله مضمنا

وناطقة صفراء تنطق عن هوى * فتعرب عما فى الضمير وتخبر
براها الهوى والوجد حتى أعاداها * أنابيب فى أجوافها الريح تصفر

(وقال) صلاح الدين الصفدى

لى مطرب كملت جميع صفاته * متأدب الحركات والتسكين
فاذا دعاه لمجلس حرفاؤه * يأتى ويجلس فيه بالقانون

(وقال) فتح الدين بن الشهيد

غنى على القانون حتى غدا * من طرب يهتز عطف الجليس
فخنت الارواح من شدوه * الى أنيس يأله من أنيس
داوى قلوبا من غليل الاسى * وكان فيه حوله رسيس
فصاحت الجلاس عجابه * يا صاحب القانون أنت الرئيس

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى أنشدنى القاضى جمال الدين عبد القاهر التبريزى لنفسه ملغزا فى الشبابة

وناطقة بأفواه ثمان * تميل بعقل ذى اللب العفيف
لكل فم لسان مستعان * يخالف بين تقطيع الحروف
يخاطبنا بلفظ لا يعيه * سوى من كان ذا طبع لطيف
فصيحة عاشق وند يم راع * وعزه موكب ومدام صوف

(وقال) الشيخ علاء الدين على بن أيبك من لفظه لنفسه فى مغن معذر (توفى المذكور سنة احدى وثمان مائة)

منمنم العارض غنى لنا * أشياء بالسمع حلا ذوقها
كأنما فيه قرية * تشذو ومن عارضه طوقها

(نادرة) شهد على امرأة أربعة بالزنا وكان فيهم مغن فقال له الوالى بما تشهد قال

أشهد أني رأيته قد رفع رجليها مثل البنجك وبحر حتى كأنه يغني وجعل مضرابه على التم وجعلت أسته ترقص ولا أدري أتم الصوت أم لا

(فصل) فيما ورد في ذم الغناء كتب البديع الهمذاني الى تلميذ له توفي أبوه وخلف له مالا يا مولاي ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك المخارج من النأي هو في الاذان زمر وغداة في الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعه والقنطار في هذا العمل بضاعه وطلب بعض المغنيين جائزة من بعض المحصلين فقال له المملوك اعلم ان المال روح والغناء ريح ولست اشتري الريح بالروح ومما ورد من النظم في ذم المتخلفين من أهلها (حكى) بعضهم ان بعض الفلاسفة خرج مع تلميذه فسمع صوت عود فقال لتلميذه امض بنا الى هذا المغني لعله يفيدنا صورة شريفة فلما قربا منه سمعا صوتا رديئا وتأليفا غير متقن فقال لتلميذه تزعم أهل الكهانة والزجر أن صوت البومة يدل على موت الانسان فان كان ذلك حقا فصوت هذا يدل على موت البومة ولبعضهم يهجو مغنيا

كنت في مجلس فقال مغن القوم كم بيننا وبين الشتاء
فشبرت البساط مني اليه * قلت هذا المقدار قبل الغناء

ولبعضهم يذم صوت مغن

انك لو أصغيت يوما الى * الحانه تلك المقادير
لخلت في الحلق أمراء جالسا * يعرك أذان السنانير

ولآخر في المعنى قال

انك لو تسمع الحانه * تلك اللواتي ليس يعدوها
لخلت من داخل حلقومه * موسوسا يخنق معتوها

(ولآخر)

ومغن ان تغنى * أوسع الندمان هما
أحسن الفتيان حالا * كل من كان اصما

(وقال) المصيصي الخياط

واذا تربع لا تربع بعدها * وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكأن جردان المدينة كلها * في عوده يقرضن خبزا يابسا

(وقال)

(وقال) آخر وأجاد

قلت اذ غنى عراقا * ليتنا في أصفهانا

(وقال) آخر

غنى أبو الفضل فقلنا له * سبحان مخليه من الفضل
غناؤه حد على شربه * فاشرب فانت اليوم في حل

(وقال) آخر وأجاد

ومغن يتغنى * اذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتا * فأبى ذاك وغنى
فشتمناه فغنى * فاشتفى القواد منا

(وقال) آخر في مغن بالرباب

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر * فالشيخ في كل الامور مهذب
طورا يغني بالرباب وتارة * يأتي على يده الرباب وزينب

(وقال) سيف الدين المشد يهجو عوادا

عوادنا قد طمست عينه * فصار بالتحريف قوادا
ما عاد الا لقياداته * لاجل ذا أصبح قوادا

قلت وان كان حصل له عمى فأحسن وأنشدني المرحوم فخر الدين بن مكانس قال أنشدني من لفظه لنفسه صاحبنا شمس الدين محمد الواسطي يهجو عوادا وزامرا

شبهت ذا العواد والزامر اذ * ضاقت علينا بهم المناهج
يعقوب يضرب وهو ساكت * وأرقم ينفخ وهو خارج

ولا بأس بايراد نبذة من حكايات الحذاق في الغناء (قال) اسحق بن ابراهيم الموصلي بعث الي المأمون يوما وبين يديه ثمانية عشر مغنيا تسع عن يمينه وتسع عن شماله وعنده ابراهيم ابن المهدي فقال كيف تسمع يا اسحق فقلت اسمع يا أمير المؤمنين خطأ فقال لابراهيم ما تقول يا عم فيما قال قال باطل ما هو هنا خطأ ولكنه يريد أن يتزيد عندك فقلت له أتأذن لي أن أقفه على الخطأ وأناظره فيه قال نعم قلت على انه سيدي وأنا عبده أو على الانصاف قال بل على الانصاف قلت يؤمرون الجواري أن يغنين الصوت الذي غنينه أولا فغنين ثم قلت له أفهمت الخطأ قال لا قلت فاني ألقي عنك النصف والخطأ في التسع البواقي

اللوانى عن الجانب الايسر قال فتفهم وقال ما أسمع خطأ قلت فانى أخفف عنك
أيضا هؤلاء الاربع الاواخر فاجتهد فى التفهم وقال ما ههنا خطأ قلت فانه فى آخر
الجوارى كلهن فتفهم فلم يقف عليه فقلت للجارية اضربى وحدك وامسكن
البواقى وغنت فقلت ماترى فقال بل الخطأ ههنا فقال المأمون احسنت
فيهم الخطأ بين اثنين وسبعين وترا ولم تفهمه أنت الامن أربعة (وقال) أحمد بن
المرزبان حدثنى بعض كتاب السلطان ان الرشيد هب ليلة من نومه فدعا بحمار
كان يركبه فى القصر أسود فركبه وخرج فى دراعة متلثما بعمامة متلحفا بازار
وشى و بين يديه أربعمائة خادم سود سوى الفراشين وكان مسرور العوغانى
جرئا عليه لمكانة كانت له عنده فلما خرج من باب القصر قال له اين تريد
يا أمير المؤمنين فى هذه الساعة قال أردت منزل ابراهيم الموصلى قال مسرور
فمضيت معه حتى انتهى الى منزل الموصلى فخرج فتلقاه وقبل حافر حماره وقال له
يا أمير المؤمنين انى فى مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرفك بى ثم نزل فى
طرف الايوان وأجلس ابراهيم فقال له ابراهيم يا سيدى أتبسط لشئ تأكله
قال نعم (حامير طى) فأتى به كأنما كان معدا له فأصاب منه شيأ يسيرا ثم دعا
بشراب حمل معه فقال الموصلى يا سيدى أغنيك أم تغنيك اماؤك فقال بل
الجوارى فخرجن جوارى ابراهيم فأخذن صدر الايوان وجانبيه فقال
أيضربن كلهن أم واحدة واحدة فقال بل يضرب اثنتان اثنتان وتغنى واحدة
واحدة ففعل ذلك حتى مر صدر الايوان وأخذ جانبيه والرشيد يسمع ولا ينصت
لشئ من غنائهن الى أن غنته صبية من حاشية الصفة

يا مورى الزند قد أعيت قوادحه * اقبس اذا شئت من قلبى بمقباسى
ما أقبح الناس فى عينى وأسمجهم * اذا نظرت فلم أبصرك فى الناس

(قال) فطرب لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب أرطالا وسأل الجارية عن
صانعه فأمسكت فاستدناها فتقاعست فأمر بها فأقيمت بين يديه فأخبرته
بشئ أسرته اليه فدعى بحماره فركبه وانصرف ثم التفت الى ابراهيم وقال له
ماضرك الا ان تكون خليفة فكادت نفسه تخرج حتى دعا به بعد ذلك وأدناه قال
وكان الذى أخبرته ان الصنعة فى الصوت لاخته علية وكانت الجارية لها فوجهتها
الى ابراهيم يطارحها عنها لمكانته عندها قال قال لى الرشيد يا ابراهيم بكر حتى
نصطبح

نصطبح فقلت أنا والصبح فرسى رهان نستبق الى حضرتك فبكرت فاذا أنا به
خال و بين يديه جارية كأنها خوط بان أو جذل عنان حلوة المنظر فغنت فى
شعر لابى نواس

توهمه طرفى فأصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى خاطر فجرحته * ولم أر جسما قط يجرحه الفكر
وصافحه كفى فألم كفه * فمن غمزه كفى أنامله عقر

(قال) ابراهيم فذهبت والله بعقلى حتى كدت أفتضح فقلت من هذه يا أمير
المؤمنين قال هذه الذى يقول فيها الشاعر

لها قلبى الغداة وقلبها لى * فنحن كذاك فى جسدين روح

ثم قال لها غنى فغنت

تقول غداة البين احدى نسائهم * لى الكبد الحرى فسر ولك الصبر
وقد خنقتها عبرة فدموعها * على خدها بيض وفى نحرها صفر

(قال) فشرب وسقاها وقال غن يا ابراهيم فغنيت حسب ما فى قلبى غير متحفظ
من شئ

تشرب قلبى حبها ومشى به * تمشى حميا الكأس فى جسم شارب
ودب هواها فى عظامى فشقها * كما دب فى الملسوع سم العقارب

(قال) ففطن لتعريضى فكانت جهلة منى فأمرنى بالانصراف ولم يدع بى شهرا
ولا حضرت مجلسه فلما أن مضى شهر دس الى خادما معه رقعة مكتوب فيها

قد تخوفت ان أموت من الوجـــد ولم يدر من هويت بمابى
يا كتابى أقرى السلام على من * لا يسمى وقل له يا كتابى
كف صب اليكم كتبتنى * فارجعوا كاتبى وردوا جوابى
ان كفا اليكم كتبتنى * كفا صب فؤاده فى عذاب

فأتانى الخادم بالرقعة فقلت ما هذه فقال رقعة فلانة الجارية التى غنتك بين
يدى أمير المؤمنين فأحسست بالقصة فشتمت الخادم ووثبت عليه وضربته ضربا
شفيت به نفسى وغيظى وركبت الى الرشيد من فورى فأخبرته بالقصة وأعطيته
الرقعة فضحك حتى كاد يستلقى ثم قال على عمد فعلت ذلك بك لامتحن مذهبك
وطريقتك ثم دعا بالخادم فلما رآنى قال لى قطع الله يديك ورجليك ويلك

قتلتنى فقلت القتل والله كان بعض حقك ولكنى رحمتك وأخبرت أمير المؤمنين حتى يأتى فى عقوبتك بما تستحقه فأمر لى بصلة سنية والله يعلم أنى ما فعلت ذلك عفا فالكن خوفا (قلت) وقريب من هذه الحكاية ما نقلته من خط الشيخ بدر الدين البشتكى سلمه الله تعالى وهو ان الوزير ابو عامر أحمد بن أبى مروان عبد الملك بن عمر بن عيسى بن محمد بن شهيد كان أهدى له غلاما من النصارى لا تقع العيون على شبهه فلحظه الناصر فقال أنى لك هذا قال هو من عند الله فقال تحفونا بالنجوم وتستأثرون بالقمر فاستعذر واحتفل فى هدية بعثها له مع الغلام وقال يا بنى كن من جملة ما بعثت به ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسى وكتب معه

أمولاى هذا البدر سار لافقكم * وللافق أولى بالبدور من الارض
أرضيكم بالنفس وهى نفيسة * ولم أرى قبلى من بهجته يرض

فحسن ذلك عند الملك وأضعفه بمال جزيل وتمكنت عنده مكانته ثم انه بعد ذلك أهديت اليه جارية من أجل نساء الدنيا فخاف ان يفضى ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون قضية الغلام فاحتفل فى هدية أعظم من الاولى وبعثها معها اليه وكتب له

أمولاى هذى الشمس والبدر أولا * تقدم كيما يلتقى القمران
قران لعمرى بالسعادة ناطق * فدم منهما فى كوثر وجنان
فما لهما والله فى الحسن ثالث * ولا لك فى ملك البرية ثانى

فتضاعفت مكانته عليه ثم ان أحد الوشاة رفع للملك انه بقى فى نفسه من الغلام حرارة وانه لا يزال يذكره حين تحركه الشمول ويقرع السن على تعذر الوصول فقال للواشى بذلك لا تحرك به لسانك والا طار رأسك وأعمل الملك الحيلة فى ان كتب على لسان الغلام رقعة منها يا مولاى تعلم انك كنت لى على انفراد ولم أزل معك فى نعيم وأنا وان كنت عند الخليفة مشارك فى المنزلة مجاور ما يبدو من سطوة الملك فتحيل فى استدعائى منه وبعثها له مع غلام صغير السن وأوصاه ان يقول له هى من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف أبو عامر على الرسالة واستخبر الخادم فعلم فى سؤاله ما كان فى نفسه من الغلام وما تكلم به فى مجالس المدام وكتب على ظهر الرقعة ولم يزد حرفا

امن

أمن بعد احكام التجارب ينبغى * لدى سقوط العير فى غابة الاسد
وما أنا ممن يغلب الحب عقله * ولا جاهل ما يدعيه أولو الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا * وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع واش به ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلى بالهوى غير مشترك * عن اسحق عن أبيه قال استأذنت الرشيد ان يهب لى يوما من أيام الجمعة لا نبعث فيه بجوارى واخوانى فأذن لى فى يوم السبت وقال يوم أستثقله فأت فيه بما شئت قال فأتيت يوم السبت بمنزلى وتقدمت فى اصلاح طعامى وشرابى بما احتجت اليه وأمرت بوابى باغلاق الابواب وتقدمت اليه فى أن لا يأذن لاحد على فبينا أنا فى مجلس والحرم قد حففن بى يترددون بين يدى اذا أنا بشيخ ذى هيبة وجمال عليه خفان قصيران وقميص ناعم ان وعلى رأسه قلنسوة لاطية وبيده عكازة مقمعة بفضة وروايح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار والرواق فدخلنى لدخوله على مع ما تقدمت به غيظ عظيم وهممت بطرد بوابى ومن يحجبنى لاجله فسلم على أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وأخذ بى فى أحاديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سكن ما بى من الغضب وظننت أن غلمانى تحروا مسرتى باذخال مثله على لادبه وظرفه فقلت له هل لك فى الطعام فقال لا حاجة لى فيه فقلت هل لك فى الشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا فسقيته مثله فقال يا أبا اسحق هل لك ان تغنى لنا شيأ فنسمع من صنعتك ما قد فقت به عند الخاص والعام فغاظنى قوله ثم سهلت الامر على نفسى وأخذت العود فجسسته ثم ضربت وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت ما رضى بما فعله فى دخوله بغير اذن واقتراحه على أغنيه حتى سمعانى ولم يحمل مخاطبتى ثم قال هل لك ان تزيدنا فقدمت وأخذت العود وغنيت وتحفظت وقت بما غنيته قياما تاما لقوله لى أكافئك فطرب وقال أحسنت يا سيدى وأوثق عددى ثم قال أتأذن لعبدك فى الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله فى أن يغنى بحضرتى بعد ما سمعه منى فأخذ العود وجسه فوالله لقد خلت انه ينطق بلسان عربى واندفع يغنى

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح

أراها على الناس لا يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح
أان من الشوق الذى فى جوانحى * أنين غصيص بالشراب جريح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت الحيطان والابواب وكل ما فى البيت يجيبه ويغنى معه من حسن غنائه حتى خلت والله أنى أسمع أعضائى وثيابى تجاوبه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى ثم غنى

ألا يا حمامات اللوى عدن عودة * فانى الى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتننى * وكدت بأسرار لهن أبين
دعون بتردادالهدير كأنما * شربن حميا أو بهن جنون
فلم ترعينى مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

فكاد عقلى أن يذهب طربا ثم غنى شعر اليزيد بن الطثريه

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادنى مسراك وجدا على وجد
أان هتفت ورقاء فى رونق الضحى * على غصن غض النبات من البرد
بكيت كما يبكى الحزين صبابة * وذبت من الحزن المبرح والجهد
وقد زعموا ان المحب اذا نأى * يمل وان النائى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

ثم قال يا ابراهيم هذا الغناء المأخورى خذه وانح نحوه فى غنائك وعلمه جوارياك فقلت أعده على فقال لست تحتاج قد أخذته وفرغت منه ثم غاب من بين عينى فارتعت وقمت الى السيف فجردته ثم غدوت نحو أبواب الحرم فوجدتها مغلقة فقلت للجوارى أى شئ سمعتن عندى فقلن سمعن أحسن غناء ما سمع بمثله قط فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال أى شيخ والله ما دخل اليوم اليك أحد فرجعت لا أتأمل أمرى فاذا هو قد هتف من بعض جوانب البيت وقال لا بأس عليك يا أبا اسحق أنا ابليس وأنا كنت نديمك اليوم فلا ترع فركبت الى الرشيد وأظرفته بالحديث فقال لى ويحك اعتبر الاصوات التى أخذتها فأخذت العود فاذا هى راسخة فى صدرى فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشرب وأمر لى بصلة جزيلة قال وكأن الشيخ أعلم بما قال انك قد أخذتها وفرغت منها فليتمتع بنفسه يوما واحدا كما تمتعت قال أبو الفرج الاصفهانى هكذا حدثنا ابن أبى الازهر لهذا

الخبر

الخبر وما أدرى ما أقول فيه * عن المدائنى قال قال ابراهيم الموصلى قال لى الرشيد يوما يا ابراهيم انى قد جعلت غدا للحرم وليلته للشرب مع الرجال واقتصرت من المغنين عليك فلا تشتغل غدا بشئ ولا تشرب نبيذا وكن بحضرتى فى وقت العشاء الآخرة فقلت السمع والطاعة لامير المؤمنين فقال وحق أبى لئن تأخرت أو اعتللت بشئ لاضربن عنقك قلت نعم يا أمير المؤمنين وخرجت فما جاءنى من أحد الا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لاحد حتى اذا صليت المغرب ركبت قاصدا اليه فلما قربت من داره مررت بفناء قصر واذا زنبيل كبير مستوثق منه بحبال وأربع عرى ادم قد دلى من القصر وجارية قائمة تنتظر انسانا قد وعد ليجلس فيه فنازعتنى نفسى الى الجلوس فيه ثم قلت هذا خطأ فلعله ان يجرى سبب يعوقنى عن الخليفة فيكون الهلاك فلم أزل أنازع نفسى حتى غلبتنى فجلست فى الزنبيل فرفع حتى صار فى أعلا القصر ثم خرجت فنزلت فاذا جوار كأنهن أقمار جلوس فضحكن وطرن وقلن قد جاء والله فلما رأينى من قريب تبادرن الى الحجاب وقلن يا عدو الله ما أدخلك الينا فقلت يا عدوات الله الذى أردتن ادخاله خير منى ولم كان أولى منى ولم يزل ذلك دائرا وهن يضحكن وأضحك معهن فقالت احداهن أما من أردتن فقد فات وما هذا الاظريف فهلمن نعاشره معاشرة جميلة فأخرج الى طعام ولم يكن فى فضل الا أنى كرهت أن أنسب الى سوء العشرة فأصبت منه ثم جئ بالنبيذ وجعلت أشرب وأخرجن ثلاث جوار لهن فغنين غناء حسنا فغنت احداهن صوتا لمعبد فقالت احدى الثلاث من وراء الستر أحسن ابراهيم هذا له فقلت كذبت هذا لمعبد فقالت يا فاسق ومايدريك الغناء ما هو ثم غنت الاخرى صوتا للغريض فقالت تلك أحسن ابراهيم هذا له أيضا فقلت كذبت يا خبيثة هذا للغريض فقالت اللهم اخزه ويلك مايدريك ثم غنت الجارية صوتا لى فقالت تلك هذا الشريج وأحسن فقلت كذبت هذا لابراهيم وأنت تنسبين غناء الناس اليه وغناءه اليهم فقالت ومايدريك فقلت أنا ابراهيم فتباشرن بذلك وظهرن كلهن لى وقلن كتمتنا نفسك وقد سررتنا سرورا عظيما فقلت أنا الآن أستودعكن الله فقلن وما السبب فأخبرتهن بقصتى مع الرشيد فضحكن وقلن الآن والله طاب حبسك علينا وعلينا ان خرجت أسوعا فقلت هو والله القتل فقلن الى لعنة الله

فأقمت والله عندهن أسبوعا لا أزول فلما كان بعد أسبوع ودعنني وقلن ان سلمك الله فأنت بعد ثلاثة أيام عندنا قلت نعم فأجلسنني في الزنبيل وسرحت فمضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد فاذا النداء قد أشيع ببغداد في طلبي وأن من أحضرني فقد سوغ مالي وملكي فاستأذنت فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد فلما رآني شتمني وقال السيف والنطع انك يا ابراهيم تشاغلت عني وجلست مع السفهاء أشباهك حتى أفسدت علي تلذذي فقلت يا أمير المؤمنين أنا بين يديك وما أمرت به غير فائت ولي حديث عجيب ما سمع بمثله وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختيارا فاسمعه فان كان عذرا فاقبله فقال هاته فحدثته فوجم ساعة ثم قال ان هذا لعجيب أفتحضرني معك قلت نعم وأجلسك معهن ان شئت قبلي حتى تحصل عندهن وان شئت فعلى موعد فقال بلى على موعد قلت أفعل قال انظر قلت ذاك حاصل فلما أصبحت أمرني بالانصراف وان أجيئه من عندهن فمضيت اليهن وقت الوعد فوجدت الزنبيل على حاله فجلست فيه ومدت الجواري وصعدت فلما رأينني تباشرن بي وحمدن الله على سلامتي وأقمت ليلتي فلما أردت الانصراف قلت ان لي أخا هو عندي عدل نفسي وقد أحب معاشرتكن ووعدته بذلك فقلن ان كنت ترضاه فمرحبا بذلك فوعدتهن ليلة غد وانصرفت وأتيت الرشيد فأخبرته فلما كان الوقت خرج معي متخفيا وقد كان الله وفقني أن قلت لمن اذا جاءه صديقي فاستترن عني وعنه ولم يسمع لكن لفظة وليكن ما تختبرنه من الغناء أو تقلنه من قول مراسلة فلم يتعدين ذلك وأقمن على أتم ستر وخفر وشربنا شربا كثيرا وقد كان أمرني ان لا أخاطبه بأمير المؤمنين فلما أخذ النبيذ مني قلت سهوا يا أمير المؤمنين فتواثبن من وراء الستارة حتى غابت عنا محاسنهن فقال لي يا ابراهيم قد أفلت مني من أمر عظيم والله لو برزت لك واحدة منهن لضربت عنقك قم بنا فانصرفنا فاذا هن له وقد كان غضب عليهن فحبسهن في ذلك القصر ثم وجه من غد بخدم فردوهن الى قصره ووهب له مائة ألف درهم وكانت الهدايا والالطاف تأتيني بعد ذلك منهن (حكاية)

تناظرت المغنون يوما عند الواثق فذكروا الضراب وحذاقهم فقدم اسحق بن ابراهيم الموصلي ربابا على ملاحظ والملاحظ في ذلك الرياسة عليهم كلهم فقال الواثق هذا حيف وتعدمنك فقال اسحق يا أمير المؤمنين اجمع بينهما

وامتحنهما

وامتحنهما فان الامر سينكشف لك فيهما فأمر بهما فأحضرا فقال له اسحق ان للضراب أصواتا معروفة فامتحنهما بشئ منها قال افعل فسمى ثلاثة أصوات كان أولها

علق طيبة السكب جهلا * فقد أغرى بتعذيبي
نمت عليها حين مرت بنا * محاسن ينفحن بالطيب
تصدها عنا عجوز لها * منكرة ذات أعاجيب

الشعر والغناء لاسحق فضرب عليه فتقدم ربرب وقصر ملاحظ فعجب الواثق من كشفه عما ادعاه في مجلس واحد فقال ملاحظ فما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس ولا يضرب هو فقال يا أمير المؤمنين انه لم يكن في زماني أضرب مني ولكنكم أعفيتموني من الضرب فثقلت علي ومع ذلك ان معي بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة ثم قال يا ملاحظ شوش عودك وهاته ففعل ملاحظ ذلك فقال اسحق يا أمير المؤمنين هذا خلط الاوتار خلط متعنت وهو لا يألو افسادها ثم أخذ العود فحبسه ساعة حتى عرف مواقعه ثم قال يا مخارق غن أي صوت شئت فغنى مخارق صوتا وضرب عليه اسحق بذلك العود الفاسد التوية فلم يخرجه من لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نقرة واحدة ويده تصعد وتنحدر على الدساتين فقال له الواثق والله ما رأيت مثلك قط ولا سمعت به اطرحه على الجواري فقال هيهات يا أمير المؤمنين هذا شئ لا يفي به الجواري ولا يصلح لهن ألبتة وانما بلغني ان الفلهيذ ضرب يوما بين يدي كسرى أنوشروان فأحسن فحده رجل من حذاق أهل صناعته فرقبه حتى قام لبعض شأنه فخالفه الى عوده فشوش بعض أوتاره فرجع وضرب وهو لا يدري والملوك لا تصلح في مجالسها العيدان فلم يزل يضرب بذلك العود حتى فرغ ثم قام على رجله وأخبر الملك بالقصة فامتحن العود فعرف ما فيه فقال له زه وزه وره هان زه ووصله بالصلة التي كان يصل بها من يخاطبه بهذه المخاطبة فلما تواطأت الروايات بهذا أخذت نفسي به وروضتها عليه وقلت لا ينبغي أن يكون الفلهيذ أقوى على هذا مني فما زلت أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الاوتار موضع على طبقة من الطبقات الا وأنا أعرف نغمته كيف هي والمواضع التي تخرج النغم كلها منها من أعاليها الى أسافلها وكل شئ منها يجانس شيأ غيره كما أعرف ذلك في مواضع الدساتين

وهـذا شئ لا يفى به الجوارى فقال له الواثق لعـمرى لقد صدقت ولئن مت لتموتن هذه الصناعة معك وأمر له بثلاثين ألف درهم

(الباب الثالث والعشرون فى الغلمان)

كان يقال العبـد من لا عبيد له وقال دعفل السابق فى المماليك هم غير مستفاد وغيظ فى الاكباد وقال سعيد بن مسلم لا بد للعبيد من عبيد وقال جعفر بن سليمان العبيد ان أكلوا من مالك زاد فى جمالك وقال غيره العيش فى سعة الدار والعز فى كثرة العبيد وقال آخر عز الملوك فى كثرة المماليك وقال آخر رب عبد خير من الولد لان الولد فى أكثر الاحوال يرى صلاحه فى موت والده والعبد يرى صلاحه بقاء مولاه (كان) يحيى بن أكتم يقول قد أكرم الله تعالى أهل جنته بأن أطاف عليهم الغلمان فى وقت رضاه عنهم وافضاله عليهم وبره بهم لفضلهم فى الخدمة على الجوارى وما الذى يمنعنى عاجلا فى طلب هذه المزية المخصوص بها أهل القربة عند الله تعالى والزلفة لديه (وقال) مطيع بن اياس لو لم يكن للمرد فضيلة لما كان الله جعل ملائكته مردا وأهل الجنة مردا وهذا فيه كفاية وانما عنى الحديث أهل الجنة جرد مرد مكحولون (وكان) واثلة بن الحباب يقول الغلام هو الرفيق فى السفر والصديق فى الحضر والمعين على الشغل والنديم عند الشرب وهو سبب الانس (وقيل) لمسلم الاصفرى لم فضلت الغلام على الجارية فقال لانه فى السفر صاحب ومع الاخوان نديم وفى الخلوة أهل (ومن رسالة) الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان فى فرجة يحدث مرآها الحسن أحاديث جنان امامه عشرة مماليك من الترك ليس الخبر فى محاسنهم المبدعة كالعيان جلبهم الى مصر تاجر لحظته السعادة فاستنزلت له البدور من آفاقها وأصحبته الشموس بشرفها واشراقها فصار الى مصر بيوسف وبمن سجد له فى المنام وأتى بلاد القبلة بجماعة مامنهم الا من هو فى الحسن امام ومافيهم الا من يقول له المتأمل بلسان الاعتراف يابشرى هذا سيد وبلسان العرف يابشرى هذا غلام قد وشحوا بالدقة خصورهم وحوا بأسياف الجفون كما تحمى الثغور ثغورهم من كل لدن القوام مهفهف ساجى الطرف أوطفه حلوا الجنابة والجانى طيف العين لا يجود على العانى منسوب الى أرض الفان أصله فيا حزنا من خده

القانى

القانى قد أفضح البدور فى الدياجى ورمى القلوب من حبه ولما بين هاجره وهاجى وعلا بعنق يجاب من أرض الفرات فعطل عنق الغزال بأرض حاجى ونضى من جفن عينيه حساما وقسم من لحظاتها على القلوب سهاما وطال قده عن قصر الاغصان ودنا عن الرماح فكان بين ذلك قواما فسبحت حين رأيت الاقمار واقفة على الارض وتفاءلت بوجوه حب التفاؤل بمثلها كاد يكون من الفرض وقلت

لفتت من الاتراك سرجا آذر * يعلم زهاد الورى كيف تعشق
لهم منظر فى الحسن يفتح خاطرا * ولكن سهم اللحظ فى القلب مغلق
دخلت بقلبى فى مجال عيونهم * فأودى به ذاك المجال الضيق
وكم قمر فى القوس عاينت منهم * فذاك ياطرفى المسافر تعلق

واستقبلنا دمشق على هذا الفأل الجليل وفاصلنا السفرة بحمد الله على وجه جميل

(فصل) فى المنظوم من ذلك قول لسان الدين بن الخطيب فى غلام ساقى قال

كيف أمنتما على الشرب ساق * لحظه فى القلوب غير أمين
راح يسقى فصب فى الكأس نزرا * ثقة منه بالذى فى العيون

(وقال) الشيخ شمس الدين الرئيس فيه

مدير الكأس حدثنا وعنا * بعيشك من كؤسك والحديث
حديثك عن قديم الراح يغنى * ولا يبقى الانام سوى الحديث

(وقال) صلاح الدين الصفدى فى غلام يشوى أوزا

قلت لما شوى الحبيب أوزا * واكتسى بالمهيب ثوب سناه
لو يعيش الجزار مات معنى * فى معانى محاسن الشوّائى

وله أيضا فيه

شوى الاوز فأضحت * فى خمرة الخد بسطه
فقلت تشوى أوزا * أم كنت تشوى بطه

قال الشيخ برهان الدين القيراطى فى غلام يلعب بالعود

غنى على العود شادسهم ناظره * أضحى به قلبى المضنى على خطر
دنا الىّ وحسبت كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى ساقى معذر

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى
عن أحمر المشروب ماتنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

(وقال) فى غلام تركى أهيف

علقته من بنى الاتراك مقترنا * من خاطرى وهو منى غير مقترب
جمالة الحلى والديباج قامته * تبت غصون الربا جمالة الحطب

(وقال) الشيخ صفى الدين الحلى فى راقص

جاء وفى قده اعتدال * مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال * وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقد * حف به اللطف والدخول
يحول ما بيننا بوجه * فيه مياه الحيا تحول
ورخ الرقص منه عطفا * تثنى الى نحوه العقول
فعطفه داخل خفيف * ورده خارج ثقيل

(وقال) آخر فى راقص

وراقص أبصرته مرة * فلم أزل بالرقص مفتونا
لو قيل شعر بين كمره * أخرجه بالرقص موزونا

(وقال) ابن خروف النحوى الاندلسى فيه

ومنوع الحركات يلعب بالنهى * لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن بين رياضه * متلاعبا كالظبى عند كناسه
بالعقل يلعب مقبلا أو مدبرا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى غلام يرمى بالقوس

فديتك أيها الرامى بقوس * ولحظ يا ضنا جسدى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

(وقال) محيى الدين بن قرناص فى غلام يرمى فى الاماج

أتى الاماج مائسا والردف قد أثقله * يرشق ثم ينثنى بالله ما أرشقه

(وقال) بدر الدين حسن العربى فى غلام يرمى فى الايك

أهواه فى الايك يرمى دائما * وسواد قلب الصب من اعراضه

أطلقت

أطلقت لحظى نحوه فأصابنى * سهم وما عاينت كشف بياضه

قلت ما أحسن قول الشيخ عز الدين الموصلى من قصيدة

أصاب فؤادى المستهام بعينه * فكامه سهم له غير ناطق

(ولبعضهم) فى غلام يقوم سهما

وافى وفى يده سهم يقومه * يومى اليه بعينيه ويرمقه
وذاك ايداع سر من لواحظه * فيه ليزداد فعلا حين يرشقه

(نكتة) حسنه عزم الملك المعظم على الصيد فقال له بعض الجماعة يا مولانا القمر فى العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة الصبر الى أن ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينما هو مفكر اذ دخل مملوك له من أحسن خلق الله وجها يقال له آى دغدى فوقف قدامه وقد توشح بقوس فقال له بعض الحاضرين يا مولانا بالله اركب الساعة فهذا القمر فى القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا وتفاؤلا بالقول فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها (وقال) بدر الدين حسن بن حبيب الحلبى فى غلام تركى يطلب وردا شعرا

رام ظبى الترك وردا * قلت أقصر خاب ضدك
عندك الورد المربى * قال فأنى قلت خدك

(وقال) الشيخ زين الدين العجمى ونقلتها من خطه فى غلام نثر وردا من أكمامه

وافى وفى كميه ورد أحمر * حيى به مذ بست تحت لثامه
فرشفت صرف الراح من خوطومه * وجنيت غض الورد من أكمامه

(وقال) برهان الدين القيراطى فى غلام مطاوع

أباح لى من نرجس احداقه * فى مجلس ما فيه ما نكره
فقلت وردا فاجتدى لى به * أيضا فقال الكل فى الحضره

(وقال) شمس الدين بن الصائغ فى غلام ذى خال

بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال

(وقال) شهاب الدين بن أبى حجلة فى غلام يدعى مقبل

يا من تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل
من لى بيوم فيه يسمح باللقا * ويقال لى هذا حبيبك مقبل

(وقال) برهان الدين القيراطى فى غلام يبكى شعرا

لم ابك حين بكيت من * هجرانه متحسرا

وقد ذكرتهما فى باب البركة والشاذروان والفوارة وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين الرئيس فى غلام مليح وله لامية مضمنا

ومليح لامية قد حكاه * فهو كالبدر فى الدجى يتلالا

قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا

وأنشدنى من لفظه لنفسه سيدى وأخى المولى الكامل شمس الدين محمد الشهير بابن السكفتى أبقاه الله تعالى لاحبابه حسبما اقترحه فى غلام يعتز على من يهواه

وارحمتاه لقلبى كان يمنحنى * حبى وصالا وكان الحب مستترا

وحين باحت بسرى أدمع هملت * درى بعشقى له فاعتز واقتدرا

(وقال) الشيخ المحدث الفصيح الترحال صلاح الدين خليل الاقفهسى قال أنشدنى الشيخ العارف الناسك المحقق الصوفى ابراهيم بن الشيخ أحمد العربى الشهير بابن رقاعة أعاد الله من بركته من لفظه لنفسه فى غلام معذر

رسم العذار بعارضيه بنفسجا * فوق الخدود فصار كالمرقوم

قبلت مرسوم العذار تأدبا * ومن التأدب قبلة المرسوم

(وكتب) الى القاهرة المحروسة من بعض متجددات سيدى الجناب المجدى بن مكانس أبقاه الله تعالى فى غلام أبيض

دعنى وحالى فى هوى أبيض * كالبدر أو أحسن من ذلك

وعشق مغنى فى هوى أسمر * أومت اذا ما شئت فى حالك

(وقال) شمس الدين بن محمد بن العفيف فى غلام جرحت كفه السكين

لم تجرح السكين كف معذبى * الا لمعنى فى الهوى يتحقق

هى مثلما قد قيل جارحة غدت * ولكل جارحة اليه تشوق

(وكتب) الى من القاهرة عن بعض متجددات سيدى القاضى شهاب الدين أحمد ابن حجر سلمه الله تعالى فى غلام مربروضة مزهرة

ولم آنس اذ مر الحبيب بروضة * فغارت من المحبوب أعينها المرضى

ولاحت بخد الورد فى الروض حمرة * حياء وسمت أطراف نرجسه غضى

(وقال)

(وقال) محيى الدين بن قرناص فى غلام شد بوسطه بندا أحمر

من لقلبى من جور ظبى هواه * لى شغل عن حاجر وعقيق

خصر تحت أحمر البند يحكى * خنصر افيه خاتم من عقيق

وقال صلاح الدين الصفدى أنشدنى من لفظه لنفسه المولى شهاب الدين أحمد ابن مهاجر بحلب المحروسة فى غلام لابس لامة حرب

ما لاح فى درع يصول بسيفه * والوجه منه يضئ تحت المغفر

الا حسبت البحر مد يجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

وقال جمال الدين بن نباتة فى غلام يدعى خليل مضمنا

يغيب خليل الحسن عنى ليلة * فأسأم من ليل طويل أراقبه

وكيف يطيب الليل عندى والكرى * وليس الى جنبى خليل ألاعبه

(وأنشدنى) الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه فيه

قال حبى خليلى غيرت ودى * وتركت الفؤاد منى عليلا

بعد عشق الملاح صرت تقيا * ما ترانى من الانام خليلا

(وأنشدنى) سيدنا ومولانا القاضى صدر الدين بن الآدمى حسبما ورد اقتراحه من السادة المخاديم فضلاء الديار المصرية لنفسه

يا متهمى بالقسم كن منجدى * ولا تطل رفضى فانى عليل

أنت خليلى فبحق الهوى كن * لشجونى راحما يا خليل

(وقال) سيدنا القاضى بدر الدين الدماميني فى غلام يسقى الماء

بروحى ساق هممت اذ طاف بيننا * بأكوابه اللاتى سقين أناما

ورمت ارتشاف الريق منه فلم يجد * ولكن كساجسمى ضنا وسقاما

والنختم هذا الباب بحكاية لطيفة ونكتة غريبة ذكرها أبو الفرج المعروف بالببغا قال تأخرت بدمشق عن سيف الدولة بن حمدان مكرها وقد سار عنها فى بعض وقائعه وكان الخطر شديدا على من أراد اللحاق به من أصحابه حتى ان ذلك كان مؤديا الى النهب وطول الاعتقال فاضطررت الى اعمال الحيلة فى التخلص والسلامة بخدمة من بها من الرؤساء والاخشيدية وكان سنى فى ذلك الوقت عشرين سنة وكان انقطاعى منهم الى أبى بكر على بن صالح الروزبادى لتقدمه فى الرياسة ومكانته من الفضل والصناعة فأحسن مقيلى وبالغ فى الاحسان الى

وفضلت تحت الضرورة فى المقام فتتوقت على قصد البقاع الحسنة والمتنزهات المطروقة تسليا وتعللا فلما كان فى بعض الايام عملت على قصد دير مران وهذا الدير مشهور الموضع فى الجلالة وحسن المنظر فاستصحبت من كنت آنس به وأمرت بحمل ما يصلح وتوجهنا نحوه فلما نزلنا أخذنا فى شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسماحة النفس والخلق حسبما جرى به الرسم فى غشيان العمار وطروق الديرة من الطرق بعشرة أهلها والانسة بسكانها ولم تزل الاقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة الى ان فض اللهو ختامه ولوح السكر لصحبى اعلامه وحالت منى نظرة الى بعض الرهبان فوجدته الى خطابى متوثبا ولنظرى اليه مترقبا فلما أخذته عينى أكب على يزمجنى بخفى الغمز ووحى الايماء فاستوحشت من ذلك وأنكرته ونهضت عجلا واستحضرته فأخرج الى رقعة مختومة وقال لى قد ألزمك فرض الامانة فيما تتضمنه هذه الرقعة دونى وسقط زمام كاتبها فى استرهانك عنى ففضضتها فاذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقواه وأوضحه

بسم الله الرحمن الرحيم لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاى بين حشم يحث على الانقباض عنك وحسن ظن يحض على السانح بتنفيس الحظ منك الى أن استنزلتنى الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبره ورفعت بينى وبينك سحب الحشمة فأطعت بالانبساط أوامر الموانسة وانتهزت فى التوصل الى مودتك فأبت الفرصة والمسماح منك جعلنى الله فداك زورة ارتجع بها ما اغتصبته الايام من المسرة مهنأة بالانفراد الا من غلامك الذى هو مادة مسرتك وأنشد

وماذاك عن خلق يضيق بطارق * ولكن لآخذ باحتياط على حالى

فان صادف ما خطبته منك أيدك الله قبولا ولديك نفاقا فنية غفل الدهر عنها وان فارق مذهبه فيما أهداه الى منها جرى على رسمى فى المضايقة فيما أوثره وأهواه وأترقبه من قربك وأتمناه فزمام المروءة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها وتناسيها واطراح ذكرها واذا أنا بأبيات تتلو الخطاب

ياعامر العمر بالفتوة والقصـــف وحث الكؤس والطرب
هل لك من صاحب يناسب فى الغر * بة أخـــلاقه وبالادب

أوحشه

أوحشه الدهر فاستراح الى * قربك متنصرا على النوب
فان تقبلت ما أتاك به فلم * يشب الظن فيه بالكذب
وان أبى الزهد دون رغبتنا * نكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج فورد على ما حيرنى واستردنى ما كان الشراب حازه من تمييزى وحصل لى فى الجملة أن أغلب الاوصاف على صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما فشاهدته بالفراسة فى ألفاظه وجودة أخلاقه قبل الاختبار من رقعته وقلت للراهب من هذا ويحك وكيف السبيل اليه فقال أما ذكره فاليه اذا اجتمعنا وأما السبيل الى لقائه فسهل ان شئت قلت دانى قال فكيف تعمل بالغلمان قلت لا أدرى قال تظهر فترة وتتصنع عذرا تفارق به أصحابك مصرفا فاذا حصلت بباب الدير عدلت بك الى باب تدخل منه فرددت الرقعة اليه وقلت أدفعها اليه ليتأكد أنسه وسكونه الى وعرفه ان التوفر على اعمال الحيلة فى المبادرة الى حضرته على ما أوثره من التفرد أولى من التشاغل باصدار جواب وقطع وقت بمكاتبة ومضى الراهب وعدت الى أصحابى بغير النشاط الذى ذهبت به فأنكروا ذلك فاعتذرت اليهم بشئ عرض لى واستدعيت ما أركبه وتقدمت الى من كان معى من الخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كنا عملنا على المبيت فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف وخرجت من باب الدير ومعى غلام صبى كنت آنس به وبخدمته وتقدمت الى الشاكرى برد الدابة وسترخبرى ومباكرتى فتلقانى الراهب وعدل بى الى طريق مضيق وأدخلنى الى الدير من باب غامض وصار بى الى باب قلاية متميز عما جاوره من الابواب نظافة وحسنا فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه معتدل القوام أهيفه تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب أصداغه وطرته فى غلالة تنم على ما يستره وتجفو مع رقتها عما يظهره وعلى رأسه مجلسيته بصمت فبهر عقلى حسنا فاستوقف نظرى ثم جفل كالظبى المذعور فتلوته والراهب الى صحن القلاية فاذا أنا ببيت فضى الخيطان رخامى الاركان مفروش بحصير قد تعب صانعه منقوش كأنه روضة مزخرفة بالنور أضحكها سقوط الندى فوثب الينا منه فتى مقبل الشباب حسن الصورة والاهاب ظاهر النبل والهيئة

فلقيني حافيا يعثر في سراويله واعتنقني ثم قال انما استخدمت هذا الغلام الى تلقيك ياسيدي لاجعل ما لعلك استحسنته من وجهي مصانعا عما يرد عليك من مشاهدتي فاستحسنت اختصارة الطريق الى بسطي وارتجاله النادرة على نفسه حرصا في تأنيسي وأفاض في شكري على المسارعة أمره وأنا أواصل في خلال سكاته المبالغة في الاعتداد به ثم قال ياسيدي أنت مكدود بمن كان معك والاستمتاع بمحادثتك لا يتم الا بالتوصل الى راحتك وقد كان الامر على ما ذكرت فاستلقيت يسيرا ثم نهضت فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي ألفيتها في دور أكابر الملوك وأجلة الرؤساء وأحضر لنا خادماله لم أر أحسن وجها منه يحمل طبقا يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف وقال الاكل مني ياسيدي للحاجه ومن لك للمالحة والمساعده فأكلنا شيأ وأقبل الليل وطلع القمر ودخل من مناظر ذلك البيت الى فضاء أدى الينا محاسن الغوطة وحيانا بذخائر رياضها من المنظر الجماني والنسيم العطري وجاءنا الراهب من الاشربة بما وقع عليه اتفاقنا على المختار منه ثم اقتعدنا غالب اللذه وجرينا في ميدان المفاوضه فلم نزل نتناهب نوادر الاخبار وملح الاشعار ونمزج ذلك من المزج بأظرفه ومن التودد بألطفه الى أن توسطنا الشراب فالتفت الى غلامه وقال يامترف ان مولاك ليس مما يدنو عنا السرور بحضوره وما يجب ان ندنو ممكانا في مسرته فانتقع وجه الغلام حياء وخفر افأقسم عليه بحياتي وأنا لا أعلم ما يريد فمضى وعاد يحمل طنبورا وجلس وقال لي ياسيدي أتأذن لي في خدمتك فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من السرور بذلك فأصلح الطنبور وضرب وغنى هذه الابيات

يامالكي وهو ملكي * وسالبي ثوب نسكي
نزه يقين الهوى فيـ * ـك عن تعرض الشك
لولاك ما كنت أبكي * الى الصباح وأبكي

فنظر الى الغلام وتبسم فعلمت ان الشعر له فكدت والله أطير فرحا بملاحة خلقه وحسن خلقه وقوة حذقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه فاستدعيت كثيرا فأحضر الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم فشربت سرورا بوجهه وشرب بمثل ما شربت ثم قال لي أنا والله ياسيدي أحب ترفيهك

ولا

ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه ولكن اذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد ان نشتي ليلتنا بشيء يكون لها طرازا ولذكرها معلما فجذبت الدواة وكتبت ارتجالا وقد أخذ الشراب مني هذه الابيات

وليلة اوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا
مازلت اللثم بدرا * بها وأشرب شمسا
اذ أطلع الدير سعدا * لم يبك من كان نحسا
فصار للروح روحا * وصار للنفس نفسا

فطرب على قولي اللثم بدرا وأشرب شمسا وجذب غلامه فقبله وقال ما جهلت ما يجب لك من التوقير وانما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته فجيائي الا ما فعلت ذلك بغلامك فاتبعت ايثاره خوفا من احتشامه وأخذ الابيات وجعل يرددها ثم أخذ الدواة وكتب اجازتها

ولم أكن لغرمي والله أبذل فلسا * لو ارتضى لي غريمي بدير مران حبسا

فقلت اذا والله ما كان يؤدي أحد حقا ولا باطلا وداعبته في هذا المعنى بما حضر وعرفت في الجملة انه متدين من دين وقال لي قد خرج اليك أكثر الحديث فان عذرت والا ذكرت لك المحال لتعرفها على صورتها فبينت ما يؤثره من كتمان أمره فقلت له ياسيدي كل من لا يتعرف بك نكرة وقد اغنت المشاهدة عن الاعتذار وبانت الخبرة عن الاستخبار وجعل يشرب و ينتحب من غير استكراه ولا حث ولا استبطاء الى أن رأيت الشرب قد دب فيه وأكب على مجاذبة غلامه والفطنة تثنيه في الوقت بعد الوقت فأظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام بفرش حسن ففرش لي بازاء فرشه فنهض اليه وقام يتفقد أمري بنفسه فقلت له ان لي مذهبا في تقريب غلامي مني واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذا المحال في أمر غلامه فتبسم وقال لي بسكره جمع الله لك شمل المسرة كما جمع جمعه لي بك وأظهرت النوم وعاد الى محادثة غلامه وتعاتبه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ويمزج ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد وغلامه تارة يقبل يده وتارة فوه وغلبتني عيناي الى ان أيقظني هواء السحر وانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس فأردت توديعه فخفت انتباهه وازعاجه فخرجت فلقيني الخادم يريد ايقاظه وتعريفه بانصرافي فأقسمت عليه الا يفعل ووجدت

غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته فركبت منصرفا وعاملا على العودة اليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ منه في معاشرته ومتوهما ان الذي كنت فيه منا ما لطيبه وقرب أوله من آخره واعترضتني أسباب أدت الى اللحاق بسيف الدولة فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك هذه الابيات

ويوم كان الدهر سامحني به * فصار يسمى بيننا هبة الدهر
جرت فيه افراس الصبا بارتياحنا * الى دير مران المعظم ذي القدر
فمن روضة بالحسن توقد روضه * ومن نهر بالفيض يجري الى نهر
وفي الهيكل المعمور منه اقترعتها * وصحبي حلالا بعد توفية المهر
ونزهت عن غير الدنانير قدرها * فحازت منها أشرف التبر بالتبر
وحل لنا ما كان منها محرما * وهل يحظر المحظور في بلد الكفر
فأهدت لي الايام فيه مودة * دعتني في ستر فلبيت في ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة * فخاطبني من معدن النظم والنثر
وكان جوابي طاعة لا مقالة * ومن ذا الذي لا يستجيب الى اليسر
فلاقيت من العينين نيلا وهمة * محلى الصبا يا بالطلاقة والبشر
وأحشمني بالبر حتى حسبته * يريد اختداعي عن حياتي ولا أدري
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا * وكنت واياه كقلبين في صدر
وشاء السرور ان يلينا بشالث * فلاطفنا بالبدر أو بأخي البدر
يعط العيون ما أسهمت من جماله * ومضى القلوب بالتجني وبالهجر
جنينا جنى الورد في غير حينه * وزهر الربا من روض خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه * بشمسين في جنحي دجى الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف أجدا * بأوفر حظ من محاسنه الزهر
وأتبعنا في وجنتيه بمثل ما * تمزج كفاه من الماء والخمر
سرور سكرنا منه لاصحو اذ دعا * اليه ولم نشكر به منة السكر
كأن الليالي نمن عنه فبعدما * تنبهن يبكين الوفا الى العذر
مضى وكأنما كنت فيه منامنا * فحدثت عن طيف الخيال اذا يسري
وهل يحصل الانسان من كل ما به * تسامحه الايام الا على الذكر

ولم

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة وأشد تأسف على ما سلبت من عظيم النعمة بفراق الفتى لاسيما ولم أحصل منه على حقيقة ولا يقين خبر يؤدي بي الى الطمع في لقائه الى أن عاد سيف الدولة الى دمشق وأنا في جملته فما بدأت بشئ قبل المصير الى الراهب وقد كنت حفظت اسمه فخرج الي مرعوبا ولا يعرف السبب فلما رآني استطار فرحا وأقسم لا يخاطبني الا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك ففعلت فلما جلسنا للحادثة قال مالي أراك لا تسألني عن صديقك قلت والله مالي فكر منصرف عنه ولا أسف يتجاوز ما حرمته منه ولا سررت بعودي الى البلد الا من أجله ولذلك بدأت بقصدك فاذكر لي خبره فقال أما الآن فنعم هذا فتى من أولاد عظماء مصر جليل القدر عظيم النعمة كان قد ضمن من سلطانه بمصر ضياعا بمال كثير فخاسر به ضمانه لقعود السعر وأشرف على الخروج من نعمته فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفيا الى أن ورد دمشق بزي تاجر وكان استتاره عند بعض اخوانه ممن له عادة بخدمته فأتيت عنده يوما اذ ظهر لي وقال لصديقه أريد الانتقال الى هذا الراهب ان كان مأمونا فذكر له صديقي مذهبي وأظهرت السرور بما رغب فيه من الانس بي وأنا لا أعرفه غير ان صديقي قد أمرني بخدمته وحصل في قلايتي وواصل الصوم فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا هو والغلام والخادم قد لحقا به ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة فلما نظر الى الغلام قال يا راهب قد حل الفطر وجاء العيد ووثب اليه واعتنقه وجعل يقبل عينيه ويبكي ووقف على السفاتج وأنفذها مع درج رقعة منه الى صديقه فلما كان بعد يومين حمل اليه ألفي دينار وقال له ابتع لنا ما نستعمله في هذه الضيعة فابتاع آلة وفرشا ولم يزل مكبا على ما رأيت الى أن ورد عليه كتاب أهله بتدبير حاله مع سلطانه وأخذ خط السلطان بحطيطة المال وطيب قلبه وتحقق رضى السلطان فلما عزم على المسير قال لغلامه سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا الى الراهب ليصرفه في مصالح الدير وسار وماله حسرة غيرك ولا أسف الا عليك يقطع جميع الاوقات بذكرك ولا يشرب الا على ما يغنيه الغلام من شعرك وهو الآن بمصر على أحسن الاحوال وأجلها ما بخل بتفقدي وخف بعض ما عندي من الحزازة بما عرفت من حقيقة خبره وأتممت يومي عند الراهب وكان آخر العهد منه ومن الغلام والسلام

(الباب الرابع والعشرون فى الجوارى ذوات الالحان)

قال الثعالبى فى تحفة الارواح وموائد السرور والافراح ان غناء الجوارى ذوات الحسن والدلال له موقع فى القلب أحسن من موقع غناء الرجال وان كان أجود منه وذلك مع الروية وقال افلاطون غناء الملاح تحرك فيه الشهوة والطرب وغناء القباح يحرك فيه الطرب لا الشهوة وقد قيل أحسن الناس غناء من تشبه بالنساء من الرجال ومن تشبه بالرجال من النساء وما أحسن قول القائل

جاءت بوجه كأنه قمر * على قوام كأنه غصن
غنت فلم تبق فى جارحة * الا تمنيت أنها أذن

(وقال) يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يسقط المروءة وينقص الحياء ويبدى العورة ويزيد فى الشهوة وانه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنع به السكر وان كان ولابد فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (وقال) بعض أهل الادب لا يكون الملك ملكا حتى يلبس من طرازه وينكح من بلاده ويركب من نتاجه ويسمع الغناء من جاريته وغلامه (وقال) بعضهم فى جارية عوّاده

وكأنه فى حجرها ولدلها * تحنو عليه عند كل أوان
أبدا تدغدغ بطنه فاذا هفا * عركت له أذنا من الآذان

(وقال) ابن تميم فيها أيضا

ومهات قد راضت العود حتى * عاد بعد الجماح وهو ذلول
خاف من عرك أذنه اذ عصاها * فلهذا كما تقول يقول

وقال آخر فيها واجاد

أشارت بأطراف لطاف كأنها * أنابيب در نعت بعقيق
ودارت على الاوتار حسا كأنها * بنان طبيب فى محبس عروق

(وقال) ابن حجاج فيها واجاد

هذا ومحسنة بالعود عاشقها * بذلك الطيب فى الاحيان مسرور
اذا تثنت وغنت خلت قامتها * غصنا عليه قبيل الصبح شحرور

(وقال) صلاح الدين الصفدى فيها

حبست مثانى عودها بأنامل * عبثت بباب الخاشع المتورع
وشدت فلو شاءت عذوبة لفظها * عطفت عنان البارق المسرع
وعجبت من ريح الصبا اذ لم يقف * طربا ولكن مالها اذن تعى
أبصرت يا عينا ى مالم تبصرى * وسمعت يا أذنى مالم تسمع

(وقال) جمال الدين بن نباتة فيها

بروحى هيفاء المعاطف حلوة * تكاد بألحاظ المحبين تشرب
لقد هذبت ألحاظها وصفاتها * على أن قلبى فى هواها معذب
تجاسر عود اللهو يشبه صوتها * فمن أجل هذا أصبح العود يضرب
وأجرى دموع العاشقين بلعبها * فقال الآسى دعها تخوض وتلعب

(وقال) النور الاسعردى فى جارية جنكيه

لبنت شعبان جنك حين تنطقه * يغدو بأصناف ألحان الورى هازى
لا غرو ان صاد الباب الرجال بها * أما تراه يحاكى مخلب البازى

(وقال) الصلاح الازيلى فى الجنك

الجنك مركب عقل فى تشكله * والرق قلع له الاوتار أطناب
يجرى بريح اشتياق فى بحار هوى * يؤم ساحل وصل فيه أحباب

(وقال) سيدى شهاب الدين أحمد بن حجر فى جارية تلعب بالكمنجا

ما بالها هجرت وكم قد مر لى * منها الرضا فى سالف الاعصار
وقضيت معها اذ شذت بكمنجة * ما بين سالف نغمة أوطار

(وقال) سيدنا القاضى بدر الدين الدمامينى فى جارية تدق بالكف

لقد دقت بكفيها فتاة * صفت فينا خلائقها ورقت
فأفديها مغنية رأينا * بها الافراح حلت حين دقت

(وقال) شمس الدين بن دانيال فى جارية تضرب بالدف وأجاد

ذات القوام الذى يهتز غصن نقا * لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدى على الدف كالمختار معصمها * أنامل بنان تشبه البلحا
غناؤها برقيق الغنج تمزجه * فما ينقط الا كل من رشحا

(وقال) شمس الدين الكوفى الواعظ فى جارية مشبية كذا ذكره الصفدى فى تضمين التضمين

لقد حصلت لى ليلة لا تقوم * وعندى من أهوى بها أتنعم
وفى كفها شبابة تجمع المنا * فنحن سكوت والهوى يتكلم
وينفخ فيها الروح روح بأمرها * وما هو جبريل وما هى مريم
وما الدهر الا صورة دمها الطلا * فجرم اذ شرب الدماء محرم
ومازلت شيعيا الى أن أتوا بها * عتيقا فنادت العتيق المقدم

وهذا التضمين أغار عليه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وقد ذكرته فى الحذاق المطربين (وقال) كمال الدين جعفر الادفوى فى تاريخه البدر السافر عن انس المسافر فى ترجمة القاضى تقى الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف ينعت بابن البيت الاعز الشافعى ومن شعره ملغزا فى شبابة

ومحبوبة مهما خلت مع حبيبها * يقبلها لثما وينظرها شزرا
منقبة عريانة وهى فتنة * لمن أصبحوا من شرب كأس الهوى سكرى
وتصحيفها فى كف من شاء منهم * ومن شاء فى اليمنى ومن شاء فى اليسرى

وكتب الى شرف الدين بن الحلاوى ملغزا فيها مضمنا

وناطقة خرساء باد شجوها * تكنفها عشر وعنهن تخبر
يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذا سد منها منخر حاش منخر

فأجاب بهذا البيت واجاد

نهانى النهى والعلم عن وصل مثلها * فكم مثلها فارقتها وهى تصفر

(قلت) تكرير لفظة مثلها غير طائل وألم بهذا التضمين مجير الدين بن تميم فقال

وشبابة قد كنت أهوى سماعها * وقد صرت منها عند مابت أنفر
وها أنا قد فارقتها غير نادم * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

(قلت) كان المذكور لهجا بالتضمين مكثرا منه حتى قال فى نفسه وظرف

أطالع كل ديوان أراه * ولم أزجر عن التضمين طيرى
أضمن كل بيت فيه معنى * فشعرى نصفه من شعر غيرى

(وقال) ابراهيم بن المعمار فى جارية مغنية

وجارية مغنية بلطف * على الايقاع بالكعبين دقت
فغنت ثم رقت لى بوصل * فقمت قطعتها من حيث رقت

(وقال) بدر الدين بن الصاحب فيها

غنت

غنت فأغنت عن كؤس الطلا * بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت اذ هيمنى صوتها * فى مثل ذا الخلق تروح الذقون

(وقال) صفى الدين الحلى فى جارية ترقص بالشراب

والراقصات وقد شدت ما أزرها * على خصور كاوساط الدنانير
كأن فى الشبر يمناها وقد رقصت * صبحا تقلقل فيه قلب ديجور
ترعى الضروب بكفيها وأرجلها * وتحفظ الاصل من نقص وتغيير
وتعرب الرقص من لحن فيلحقه * ما يلحق النحو من حذف وتقدير

(وقال) جمال الدين حسن بن على بن داود الفارقى

لله راقصة تميس كأنها * ظل القضيب اذا تمايل مزهرا
تزهو وترجع كالخيال فلا ترى * حركاتها الا كطارقة الكرى
لانت معاطفها فكيف تلفتت * وتفاتت لا يستطاع بأن ترى

(وقال) أبو الحسن على بن أبى اليسر فيها

هيفاء ان رقصت فى مجلس رقصت * قلوب من حولها من حذقها طربا
خفيفة الوطئ لو جالت بخطرتها * فى جفن ذى رمد لم يعرف الوصبا

(وقال) الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه فيها

هيفاء راقصة للزهر قد كشفت * فى الكون ما مثلها نجم على الكرة
كالغصن ان خطرت يا ليتها عطفت * مذ أمرضتنى وعادت باللمى شفتى

(وقال) الوجيه المناوى فى جارية تلعب بخيال الظل

وجارية معشوقة اللهو أقبلت * بحسن كزهر الروض تحت كمام
اذا ما تغنت قلت شكوى صبابة * وان رقصت قلنا حباب مدام
أرتنا خيال الظل والستر دونها * فأبدت خيال الشمس خلف غمام
تلعب باشخاص من خلف سترها * كما لعبت أفعالها بأنا مى

(فصل) فيما يتعلق بكتابة المتظرفات منهن على آلاتهن كتبت مزنة على مضرابها * من نظر الى سوانا لم يصدق فى هوانا * وكتبت ظبية مغنية ابن يزداد على ملهاتها * احفظ سرك عن غيرك * وكتبت ظوافر على ملاويها وافق من ترافق * وقارب من تصاحب * وكتبت ضوء الصباح على عودها بالذهب * من خالفنا فليس منا * وكتبت تحفة * ومن أرادنا لا يصبر عنا

وكتبت قينة جارية الملك الظاهر على بابها * صل من قطعك وأعط من حرمك
وكتبت نزهة جارية الجصاص على أحد جانبي مضربها * من ورد عودها غير حياء به صدر ندائه * وعلى الجانب الآخر * السعيد من وعظ بغيره (حاشية)
قال علي بن الجهم اشتريت جارية فقلت لها ما أظنك بكرا فقالت كثرت الفتوحات في زمن المعتصم وقلت لها كم بيننا وبين الصبح فقالت عناق مشتاق ونظرت الى الشمس كاسفة فقالت احتشمت محاسني فتنقبت وقلت لها نجعل مجلسنا في القمر فقالت ما أولعك بالجمع بين الضرائر وكانت تكره الحلي وتقول بسترا لمحاسن كما يغطى القبايح

(فصل) في المولدات من الجواري وغيرهن قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر
في جارية تدعى وردة بابي دمية مولدة الحسن دعوها بوردة البستان
في التصاوير مثلها ليس يلقى * فيقولون وردة كالدهان

(وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة في جارية تدعى حكم الهوى
حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلي لا تلمني في حبها * نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى

(وقال) بدر الدين بن الصاحب في جارية تدعى صباح
وقينة تدعى صباحا قد غدت * في حسنها تباهة في مراح
تصد والطرف لها ساهر * تقول ليلي ماله من صباح

(وقال) الشيخ نجم الدين الفخفاري في جارية تدعى قلوب
عاتبني في حبكم عاذل * يزعم نصحي وهو فيه كذوب
وقال ما في قلبك اذكره لي * فقلت في قلب المعنى قلوب

(وقال) القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري في جارية تدعى حدق
سكرت في حب من أهوى معاطفه * تطوى الضلوع على التبريح والحرق
قالوا لجد بدموع العين قلت لهم * لا تسألوا ما يجرى منها على حدق

(وقال) أبو حفص جعفر الشطرنجي في جارية سوداء
أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في حسنها قاعده
لا شك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

(وقال) ابن قلاقس فيها وابدع

رب سوداء وهي بيضاء معنى * نافس المسك عندها الكافور
مثل حب العيون تحسبه النا * س سوادا وانما هو نور

(وقال) أبو تمام الحجام الطيطلي وأجاد
يا كعبة بذوي الالباب لاعبة * في أصل حسنك معنا غير متفق
خلقت بيضاء كالكافور ناصعة * فصرت سوداء من مثواك في الحدق

(وقال) شهاب الدين بن فضل الله في جارية سوداء مغنية
يارب سوداء لا جفانها * كالبيض الهند تأثير
يطربني ترجيع ألحانها * وكيف لا يطرب شحرور
ولا بأس بايراد نبذة يسيرة من ذمهم * قال الجماز لعلي الازازي وقد أراد شراء حبشية تمتعها الدهر مزمن وأبطها منتن وجسدها لا يقبل الطيب واذا شربت احمرت عيناها واخضرت وجنتاها واذا كسيت فخناعة على جسد اسود * وقال الماهاني لصديق له لما أولعت بالسودان فقال لانهن أسخن فقال الماهاني أسخن للعير (نادرة) تزوج مدني سوداء فعوتب فقال عتق ما يملك ان لم يكن ضراطها في الليلة الشتائية أنفع من عدل فحم وقال الصنوبري يهجو زامرة سوداء
فكأنما المزمار في أشداقها * غرمول عير في حياة أتان
وترى أناملها على مزمارها * نكحنا فس دبت على ثعبان

(وقال) السراج المختار الحلبي فيها
ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت أنملها على ضرباتها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخناقس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

ولنختم هذا الفصل بلطائف من حكايات الجواري الحسان وما خصوا به من فصاحة اللسان * قال بعض الرواة الاخيار ومن يوثق به في الاخبار رأيت بالبلقاء ثلاث جوار كأنهن أقمار أو كأنما أفرغن في قالب الحسن أو ملكن أنفسهن فتصورن كما اشتهين قلت يا ضرائر الشمس أخوات أنتن قلن لا ولكنا الاف مودات وعقائل حبيبات نجتمع في هذا المكان لسبب ما تشتمل عليه القلوب من دفائن العيون ونحن نصف لك حالنا فاقض علينا بما تسمع من أشعارنا قلت قلن فقالت الاولى

يقولون طعم الحب مر وأنني * أظن بأن الهجر مر من الحب

فقلت المريض أعلم بدائه فقالت سبحان من ستر خلقه بثوب عفوه ولم يعلم غيره ضمائرهم بثاقب علمه وقالت الثانية

أظن بأن الحب يقتل أهله * اذا لم يكن في الحب قرب ولا وصل

فقلت من جرب أمرا عرفه فأظهر حياءها تورد خديها فقالت الثالثة

أخال الهوى داء يعز دواؤه * اذا غاب من يهوى وعانده الدهر

فقلت من خاف شيأ حذر منه والا وقع فيه فتنفست الصعداء وقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقد ما رأيت أغصانا تحمل أقمارا أسافلها كثبان الاهن * وحكى سيار بن المعتمر قال زرت مخارقا وكنت أهوى جاريته معين وكانت أديبة مغنية فاخرجها وجعلت تغني وطرفها يضحك فوهمتني سرورها بمجيئي اليها فبقيت في لذة من غنائها تتجاوز الوصف فلما قرب وقت الانصراف دخلت ثم خرجت وعليها عصابة فيها مكتوب

تبسم طرفي فاستهام فؤاده * الى ضحك عين صيرته له سحرا

الا ان حسن الطرف ما كان ضاحكا * فلا يوهمنك الضحك في مقلتي أمرا

فاختلط عقلي وتمرر علي ما كان حلا من تمنعي معها فلما رأت ما قد نزل بي قلبت العصابة فاذا عليها مكتوب

مزحت فلا تجعل مزاحي علة * لصرف الهوى عني فتجعله هجرا

منحتك من قلبي مكانا وقربة * عليك فلا تأسى لما حكيته شعرا

وقرأت في كتاب منازل الاحباب ومنارة الالباب تأليف العلامة شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى * حكى أبو الفرج الاصبهاني عن بعض بني حمدان قال كنت مع المتوكل لما شخص الى الشام فلما وصلنا الى حمص قال أريد أن أطوف هذه الكنائس والمواضع التي تعرف بالفراديس فاني كنت أسمع بطيب هذا المكان فقلت الرأي ما رأى أمير المؤمنين فلما استراح من الركوب دعاني وأخذ بيدي ولم يزل يستقرئ تلك الكنائس والاديره وما فيها من الصور واحداث الرهبان وبنات القسيسين فرأينا وجوها كأنها الاقمار على غصون تنثني على تلك الاروقة والحصون وكل ما مر بنا شيء من ذلك قال أتدري ما نحن فيه وخلونا براهب من قوام الكنيسة فجعل المتوكل يسأله عن اسم كل من مر به ونسبه فبينما نحن

كذلك

كذلك اذ مرت بنا جارية ما رأيت لها شبيها في يدها مبخرة تبخر بها فقال لها المتوكل تعالي يا جارية فأقبلت بحسن أدب وكمال حسن فقال للقس من هذه قال ابنتي قال وما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل يا شعانين استقني ماء فقالت ماءنا ههنا من الغدران ولست استنظف لك آنية الرهبان ولو كانت روحي ترويك لجدت لك بها ثم جاءت بكوز من فضة فيه ماء فأومت الى أن أشربه فشربته فازداد عجبه بها وقال لها يا شعانين ان أنا هويتك تساعديني فتنفست الصعداء وقالت يا مولاي أما الآن فأنا امتك وأما كوني عرفت صدق محبتك وتمكنها من قلبك فلا فما أخوفني من حدوث الطغيان عند تملك السلطان أما سمعت قول الشاعر

كنت لي في أوائل الامر عبدا * ثم لما ملكت صرت عدوا

أين ذاك السرور عند التلاقي * صار مني تجنبا ونبوا

فطرب المتوكل حتى كاد يشق ثوبه وقال لها هبي لي نفسك أشرب أنا وأنت اليوم فقالت على الرحب والسعة ثم أصعدتنا الى علية مشرفة على تلك الكنائس فرأينا منظرا عجيبا ثم جاءت بادام حسن ورقاق وكان المتوكل عاف ما جاءت به واستأذنها في احضار طعام فأذنت فأتى بخرفان مشوية وأشياء غريبة الانواع فاستظرفت ما جيء به واستهولت الآلة وفطنت لامر المتوكل وقامت بين يديه وهمت بالسجود له فمنعها ثم جاء القس من بيت الرهبان بشراب ذكر المتوكل انه لم يشرب مثله قط فشرب وشربت معه ثم استعفيته من أجل حمى لحقتني فأعفاني وشربها بحديثها فلما أخذ منه الشراب قال يا سيدي أغنيك عن ضعف الصنعة فقال ان فعلت كمل والله ظرفك فأنت بشيء يشبه العود فاندفعت تغني بهذه الابيات

يا خاطبا من المودة مرحبا * نفسي فداءك لا عدمتك خاطبا

أنا عبدة لهواك فاشرب واسقني * واعدل بكأسك عن جليسك ان أبى

قد والذي رفع السماء ملكتني * وتركت قلبي في هواك معذبا

فصاح المتوكل وقال أميت أنت وذلك لاني كنت أخطأت في ترك مساعدته فأخذت رطلا وشربته حتى لحقته ومضى لنا من الايام الافراد ثم أرغبها المتوكل واستسلمها وتزوجها ولم تزل عنده حظية الى أن قتل في داره * كتب بعض المجان

الى صاحب له يستهديه جارية حفظك الله وحفظ النعمة عليك ان بين كل أمر يطلبه الرجل وبين المطلوب منه ذريعة يتوسل بها الى معروفه ولى بالرجاء فيك درجة توجب قضاء الحقوق وحاجتى أبقاك الله ظريفة من الجوارى لم تتداولها أيدى التجار ولم تمتهنها خدمة الموالى ولى فيها شريطة أعرضها عليك وأذكرها لديك لترى رأيك فيها انه كان يقال اذا اتخذت جارية فاستحد شعرها فان الشعر احد الوجهين وتكون رابعة البياض تامة القوام فانه يقال ان البياض والطول نصف الحسن كله وتكون مليحة المضحك فانه أول ما يستجلب من المرأة به المودة ومتقاربة الخطوة وتكون جيداء العنق غيداء اللبب كحلاء العين لها طرف أدعج وحاجب أزج موردة الخدين سهلتهما واضحة الجبين قتوب الانف حمراء الشفتين مفلجة الثنايا نقية الثغر مشرقة النحر ولست أكره الانكسار فى الثديين لانه لا لذة للنهود عندى الا لذة النظر وهى أيضا تحول بين المعانق وبين ارادته وان قال الشاعر

حال الوشاح على قضيب زانه * رمان صدر ليس يعطف ناهد

واكره العجيزة الضخماء ولا أحب الرشحاء أريدها وسطا لان خير الامور أوساطها وتكون سبطة البنان فتلى الساعد ممتلئة الذراع نخمة العضد قبياء البطن نحيفة الخصر يطويها الضجيع طى الحمالة عبلة الفخذين بردية الساقين لطيفة القدمين ولولا افراط الغيرة لذكرت ما أحبه مما هو مستور الا عند الحاجة اليه وأريدها رخيمة الصوت شهية النغمة عذبة الالفاظ بها غنة الحداثة وبحة الاحتلام أشجى خلقا من الفريض وأنعم كلاما فى الآذان من مخارق وأثبت حجة من أبى المذيل العلاف وأبين معنى من النظام ظريفة المجون حسنة الوقار ان أردتها دنت وان كرهتها أنت أطوع من الرداء وأذل من الحذاء وقدرك أيدك الله يحمل اقتراحى عليك وشكرى لك يستوجب ما سألته منك وأنا بالاسعاف جدير وأنت بالافضال قدير * فأجابه سألت أعزك الله عن هذه الصفة وطلبت هذا النعت فأعيتنى فى الدنيا وما أرانى أجدها الا فى الآخرة وقد بعثت لك بالف دينار لتلتمسها أنت وتسأل اخوانك معاونتك على ذلك فمتى وجدتها أو وجدها لك أحد دفعت اليه الدنانير رهين الدلالة وعرفنى بمقدار الثمن لانفذه اليك

ان

ان شاء الله تعالى

(الباب الخامس والعشرون فى الباه)

قال الشيخ الامام علاء الدين أبو الحسين على بن أبى الحزم القرشى المتطبب المعروف بابن النفيس تغمده الله بالرحمة فى كتابه المعروف بالموجز فى الجملة الثانية من الكتاب المذكور فى قواعد الجزء العملى من الطب فى تدبير الجماع قال رحمه الله وسامحه الجماع أفضله ما وقع بعد الهضم وعند اعتدال البدن فى حره وبرده ويبوسته ورطوبته وخلائه وامتلائه فان وقع خطأ فضرره عند امتلاء البدن وحرارته ورطوبته أسهل من خلائه وبرده ويبوسته وانما ينبغى أن يجامع اذا قويت الشهوة وحصل الانتشار التام الذى ليس عن تكلف ولا فكرة فى مستحسن ولا نظر اليه وانما هاجته كثرة المنى وشدة الشبق وان تحصل عقيبه الخفة والنوم والجماع المعتدل ينعش الحرارة الغريزية ويهيئ البدن للاغتذاء ويفرح ويحطم الغضب ويزيل الفكر الردىء والوسواس السوداوى وينفع أكثر الامراض السوداوية والبلغمية وربما وقع تارك الجماع فى أمراض مثل الذوار وظلمة البصر وثقل البدن وورم الخصية أو الحالب فاذا عاد اليه برئ بسرعة والافراط فى الجماع يسقط القوة ويضر العصب ويوقع فى الرعشة والفالج والتشنج ويضعف البصر جدا وجماع الغلمان أقل استفراغا للمنى فيكون اضعافه وضرره أقل لكن يحوج الى حركات متعبة لكونه استفراغا غير طبيعى ويجتنب جماع العجوز والصغيرة جدا والحائض والتى لم تجامع من مدة طويلة والمريضة وقبيحة المنظر والبكر فكل ذلك يضعف بالخاصية وجماع المحبوب يسر ويقل اضعافه مع كثرة استفراغه المنى وأرده أشكال الجماع أن تعلو المرأة الرجل مستلقيا لتعسر خروج المنى وربما بقى فى الذكر بقية فيتعفن بل ربما سال من الفرج رطوبات الى الذكر وأفضل أشكاله ان يعلو الرجل المرأة رافعا فخذيها بعد الملاعبة التامة ودغدغة الثدى والحالب ثم حك الفرج بالذكر فاذا تغيرت هيئة عينيها وعظم نفسها وطلبت التزام الرجل أو هج الذكر وصب المنى ليتعاضد المنيان وذلك هو الجمل ومما يعين على الجماع رؤية المجامعة والنظر الى تساقد الحيوانات وقراءة

الكتب المصنفة فى الباءة وحكايات الاقوية من المجامعين واستماع الرقيق من أصوات النساء وحلق العانة يهيج الشهوة وطالة العهد بترك الباءة ينسيه النفس والاستمناء باليد يوجب الغم ويسقط الشهوة والانتشار انتهى كلام ابن النفيس * وسئل ابقراط كم ينبغى للانسان أن يجامع فقال فى كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل شهر قيل فان لم يقدر قال فى كل أسبوع قيل فان لم يقدر قال هى روحه متى شاء أخرجها

(فصل) ولما كان جمال المرأة وحسن تناسب أعضائها هو الداعى الرجل الى وطئها وأجلب لشهوته عند النظر اليه والمدح لحواسه فى حال مصاحبتها فلا بأس بايراد نبذة من ذلك أجمع أهل المعرفة فان الذى يحمد فى المرأة من السواد أربعة اشياء الشعر والحاجبان والحدقة والاهداب ومن البياض أربعة أشياء بياض لونها وبياض بياض عينيها وبياض أسنانها وبياض فرقها ومن الحمرة أربعة أشياء حمرة اللسان وحمرة الوجنات وحمرة الشفتين وحمرة الاليتين ومن الغلظ أربعة أشياء العضدان والساقان والشفران والذوائب ومن الرقة أربعة أشياء العظام والانف والخصر وأطراف الانامل ومن الطول أربعة أشياء الشعر والعنق والقامة والحاجب ومن التدملج أربعة أشياء الرأس والعنق والساعدان والساقان ومن العراض أربعة أشياء الجبهة والعينان والصدر والالية ومن الصغر أربعة أشياء الفم والكفان والقدمان والاذنان ومن الضيق أربعة أشياء المنخران ثقب الاذان السرة الموطأ ومن الصلابة أربعة أشياء الثديان الاليتان القبل عضلة الساق ومن الملس أربعة أشياء ظهر الكفين الترقوة الاصابع العنق ومن النشافة أربعة أشياء العينان المنخران الفم الفرج ومن الصفاء أربعة أشياء الحدقتان البشرة الاسنان الاظفار ومن الكبر أربعة أشياء الكتفان الركبتان الفخذان الموطأ ومن الاشياء البارزة أربعة أشياء الارداف الموطأ الكاهل ومن الحلاوة أربعة أشياء الوجه والريق والعينان والنغمة ومن اللين أربعة أشياء اللحظ النفس الكلام البشرة ومن الحسن أربعة أشياء الخلق والخلق والادب والطاعة ومن الملاحة أربعة أشياء الضحك والنغمة والنوم

والمشية

والمشية ومن النظافة أربعة أشياء الوجه والفرج والابطان والاطراف ومن الاشياء الشهية أربعة الملامسة المحادثة المعانقة المعاتبة ومن الاشياء الخافية أربعة الكعبان الزندان المرفقان الترقوة ومن الصدق أربعة أشياء المردة والحياء والعفة والامانة ومن المخونة أربعة أشياء الموطأ الكفان المجلس باطن القدم ومن الطيب أربعة أشياء النفس النكهة الابطان الفرج تمت الاربعات * ومن الاشياء المهيجة للباءة التقبيل قال الاصمعى كل جماع لا قبل فيه فهو خداج يعنى ناقصا وقال الجاحظ أربعة أشياء ممسوخة البركة أكل الارز البارد والجلوس على الثقاب والغناء من وراء الستارة والجماع فى الماء قالوا وأحسن الشفاء وأشده تهييجا واوفى مارق الاعلا منها وأحمرت ونظفت وحرفت وكان فى الاسفل منها بعض الغلظ واذا عض عليها أخضرت فان القبلة لهذه الشفة احلا وأعذب وقالوا ان الذ القبل قبلة ينال فيها لسان الرجل فم المرأة ولسان المرأة فم الرجل وذلك انه اذا كانت الجارية نقية الفم طيبة النكهة فانها تدخل لسانها فى فم الرجل ادخالا يصيب ريقها وحرارة لسانها لسان الرجل فينحدر ذلك الريق وتلك الحرارة والتسخين الى ذكر الرجل وفرج المرأة فيثير ذلك شبقهما وغلمهما ويقوى شهوتهما فيزداد لونهما صفاء وحسنا وما أحسن قول ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
تقر العصافير وهى خائفة * من النواطير يانع الرطب

وتلطف بن وكيع فى قوله

ظفرت بقبلة منه اختلاسا * وكنت من الرقيب على حذار
ألذ من الصبوح على غمام * ومن برد النسيم على خمار

وأما كلام الجامع عند الباءة فانه من كمال المسرة وتمام اللذة لان كل حاسة من حواس الفاعل تكون مشغولة بلذة ما فالعين بلذة النظر والفم بلذة الرشف والانف بلذة الطيب والذكر بلذة الجماع فيحتاج أن تكون الاذن ممتعة بلفظ المحبوب لاسيما ان كان ذلك الكلام مما يجلب الشهوة فتتكامل اللذة فان الملتذ يريد أن يجد اللذات المتفرقة فى شخص واحد ليتم باجتماعها صورة

واحدة شريفة قال الشاعر

وفى أربع منى خلت منك أربعا * فما أنا أدرى أيها هيجلى كربى
أوجهك فى عينى أم الريق فى فمى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

وقال عمرو بن بحر الجاحظ كان بالهند امرأة تعرف بالالفية وذلك انه كان قد وطئها ألف رجل وكانت أعلم زمانها بأحوال الباه وان جماعة من النساء اجتمعوا اليها فقالوا أيتها الاخت أخبرينا ما نحتاج اليه ونستعمله وما الذى يثبت محبتنا فى قلوب الرجال وما الذى يتلذذون به ويكرهون من اخلاقنا وما ينبغى أن يعمل معهم ليستجلب به محبتهم قالت نعم أول كل شئ أقوله لكم انه ينبغى أن لا يقع له نظر الا على زينة قالوا وما الذى يجب على الرجل أن يتقرب به الى قلب المرأة قالت الملاعبة قبل الجماع والهزء بعد الفراغ قلن فما الذى يكون سبب محبتهم لبعضهم بعض واتفاقهم قالت الانزالين فى وقت واحد قلن فما الذى يفيد مودتهما ومحبتهما قالت أنى يكون غير ما ذكرت لكم ثم سألوها عن أصناف الجماع فذكرت لهن ذلك أضربت عن ذكرها لكثرة أقسامها ومن أراد ذلك فليطالع الكتب المؤلفة فيها فانها مشحونة بها * واما ميلهن الى النكاح وشدة شبقهن فمنه ما حكى انه كانت امرأة لها يسار وحال تخطبها رجل له يسار وحال وثروة فلم تفعل فقالت لها أمها يا بنية لم لا تتزوجين بهذا الرجل فانك لا تجدى مثله فقالت لا أريده لانى سمعت ان فى وسطه ابرا عظيما مثل الوتد ولا طاقة لى به قال فتشفع الرجل الى أمها وسألها أن تشفع فقالت له قد ذكرت لها أمرك فقالت انها لا تطيق ابرك فقال زوجينى بها واشرطى لها على شرطا اننى لا أدخل منه شيأ الا بأمرها ويكون فى يدك تدخلى منه الذى تشتهين وتتركى الذى لا تريدينه فقالت لابنتها ذلك فقالت رضيت بهذا الشرط فلما كان ليلة العرس قالت له أمها أنت على الشرط قال نعم فلما خلا بها قال لها تقدمى وامسكيه بيدك وادخلى منه ما تريد ابنتك فأخذته بيدها وادخلت منه مقدار عقدة وقالت يكفيك هذا قالت زيدى يا أماه عافاك الله فزادتها فلم تزل كذلك الى أن لم يبق منه شئ فقالت أزيدك يا بنية فقالت أى والله يا أمى قالت يا بنية فأنت قلت لا طاقة لك به فوالله ما بقى معى منه شئ فقالت البنت أسخن الله عينيك والله لقد كان أبى يقول انك أى شئ وضعت يدك عليه طارت البركة منه

وانا

وأنا لا أعلم وقد علمت الآن (صفة شربة) نافعة للهوى وعليل النوى بسم الله اللطيف الحكيم يؤخذ على بركة الله ولطفه * ثلاثة مثاقيل من صافى وصال الحبيب * منقالة من عيدان الجفا وخوف الرقيب * وثلاث مثاقيل من بزر الاجتماع * منخولة من غلت الهجران والانقطاع * وأوقيتين من خالص الود والكتمان * منزوعة من عيدان الصد والهجران * ويؤخذ من عطر البخور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان * ويؤخذ مائة بوسة رمانيه محكوكة مرضوضه منها خمسون صغار سكريه * وثلاثون زق الحمام وعشرون عصافيريه ويؤخذ غنج حلبى وشخير عراقى من كل واحد مثقالان ويؤخذ أوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الوجنتين * ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن ثلاثة دراهم غلمة مصريه * ويضاف اليها قرص الاعكان المطويه ويغلى بماء المحبة على شراب الشوق وخطب الطرب فى مرجل الجملة ويصفى الجميع على دبيقى سلطانى ويحل فيه أوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق من ثغور الاحباب ويكون الغذاء مزورة بقطين الاشتياق ويضاف اليها قلب لوز العناق وماء ليمون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة أرطال من المدام ثلاثة أيام ويتبعه برطلين من شمبل الساقين ويدخل الحمام نافع مجرب والسلام * بعث بعض الظرفاء الى محبوبة له مروحة وبأوقة زهر وسكر نبات وشرابه وعود ففهمت مراده وبعثت اليه خيطا أحمر وقطعة من صباره وثلاث كمونات سود وغاسول وزر ففهم مقصودها وصبر والمراد من فعله أنه أراد بالمروحة نروح وبالزهر البستان وبالسكر النبات نبات وبالشرابة نشرب وبالعود نسمع الغناء ومقصودها انها عرضت بالخيط الاحمر انها حائض وبالصبارة اصبر وبالثلاث الكمونات ثلاث ليال والغاسول أغتسل وأزورك * وأهدت بعض القينات الى الملك العزيز بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى بعض الايام كرة من العنبر فكسرها فاذا فى وسطها زر ذهب وكانا يكتمان أمرهما خوفا من السلطان فلم يفهم معنى ذلك فارسل الى القاضى الفاضل يسأله عن ذلك فقال ارتجالا

أهدت لك العنبر فى وسطه * زر من التبر دقيق اللحام
فالزر فى العنبر معناهما * زر هكذا مستتر فى الظلام

(كتبت) بعضهن على عصابتها أصعد وتمكن على بطن معكن
(وكتبت) أم القاسم بنت بليل العطار وكانت من كبار المساحقات على خاتمها
مل من الباطل فرجع الى الحق وأين هذا من قول بعضهن وقد قيل لها أرجعي
الى الحق فقالت الحق بعض مرادى وهذا من الاجوبة اللطيفة وما أحقها بقول
القائل شعرا

مغرمة بالسحاق أضحت * تبكى عليه بكل عين
ما اتقنت من الهيول الا * تصنيف اسحق فى حسينى

(وحكى) ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما يتساحقان فجذب التى هى
فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى حبال ورجال (وقال) آخر

جرح يريد القتيله * ايش تنفعه الزقاق

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

قولوا لمن تهوى السحاق الذى * حرمه الله ففيه خير
أخطأت يا كاملة الحسن اذ * أتت اسحق مقام الزبير

يحكى ان جده بنت زياد المؤدب ذكرها المؤرخ التر حال نور الدين بن سعيد فى
كتابه المغرب وقال وهى من خنساء المغرب من نظمها وقد خرجت الى وادى
مدينة وادى القرب مع جوارلها فسبحت معهن وكان لها فيهن هوى

أباح الدمع اسرارى بواد * له فى الحسن آثار بوادى
فمن نهر يطوف بكل روض * ومن روض يطوف بكل وادى
ومن بين الظباء مهاة أنس * لها لبى وقد سلبت فؤادى
لها لحظ ترقده لامر وذا * لك الامر يمنعنى رقادى
اذا سدلت ذوائبها عليها * رأيت البدر فى أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل بالحداد

وقالت ماجنة لمساحقة مافى الدنيا أطيب من الموز قالت نعم الا انه ينفخ
البطن وقالت ماجنة لمساحقة أين أنت عن الاصلع الاقرع الاحدب
المربوق الذى كأنه بوق العظيم الحوق الكثير العروق الذى يخرق
الحزوق ويسد الشوق ويفتق الفتوق ويرفو الشقوق ويقضى
الحقوق ويأخذ بالخلوق الاجرد الاربد الذى كأنه الوتد أو رقبة

الاسد

الاسد الاحمر الاشقر المجر الذى رأسه كالمحور وأصله كالاشحر وفيه
عرق أخضر كأنه عرق لحم البقر فى رأسه كماه ووسطه قناه وفى أسفله مخلاه
ولحيته فى قفاه يراك من حيث لا تراه لو نطح الفيل كوره أو دخل البحر ثوره
كأنه غصن بان أو سيف يمان أو صقلانى عريان أو زنجى غضبان بل
كأنه شيطان أو راهب بحران أو هامة هامان أو عنتر فى الحرب أو حارس
فى درب أو رأس جمل أو ركبة جمل أو كوكب الذنب أو طن قصب
أو ذنب التنين أو شوبك القيارين ينطح بغير قرنين ويمشى بغير رجلين
ويبصر بغير عينين يدخل فى الظلمات وهو أحد البليات فى عنقه طوق
من أسفل الى فوق اذا ارتفع النهار يكون كالجلنار أتيه من ملك القندهار
مدمج كالطومار يغوص فى البحار ويثقب الابكار ويدخل فى الاحجار اذا
جنه الليل أطال القيام والناس ينام (فقالت) المساحقة أما علمت ان اللطف
والنظافه والظرف واللياقه والتساحى والبراعه فى السحق الذى هو
سبعون ومائة واحدة منها العقبى والاستكلاب والطنبلسب والملح
والمعوج والمقرطح والدار تردار والطاق برطاق والمخالف والمؤالف
والشراعى وقبضه وبسطه وعقبه وضغطه والغطيط والصفدعى
والتفن والرهز وغيرهده * وأما أنتم فكل شئ لكم النوم على القفا
والادخال فى الاست فاذا جهدتم جهدكم كان لون آخر وهو القيام على أربع
ويسمونه المجارى وتفتخرون به وأين هذا من أخذه سوقا وعمل وسؤال وعال
ورقدة وخلوه وحديث هند والزرقا ودعنا نبوران وقد بلغنا ان رجلا قبض
على امرأة فى خزانة الشراب ورفع رجليها ليضعه بين شفريها فغلط وأدخله فى
أستها فتسمت ورفسته فانصدع من حلقه ست وثلاثون خابية خمر ونحن
فنجتمع منا الغانية الشكل البيضاء القحبه الشطبة الرطبه الغضة البضه
التى كأنها ريحان أو قضيب خيزران بثغر كاللؤلؤ وذوائب كالارسان
وخدود كشقائق النعمان أو تفاح لبنان وثدى كالرمان وبطن بأربعة
أعكان وحر كأنه قبة الدار أربع فى ثمان أو قرنبة عليها شونير أو أرنب حائم
أو بطة سكاريه بشفرين أغلظ من شفة البقره كأنهما سنام نافر فى لون
العاج ولين الديباج وبياض الفنك ودهنية الودك كأنه الزكوة

المنفوخه منتوف محلوق مضمخ بالمسك والخلوق كأنه كسرى أنوشروان
فى صدر الايوان متمثل خذلان فرح مرح ومعه من الملاحات مايخرج عن
حد الصفات من الاصابع المطرفه والاصداغ المزرفه والحواجب المزججه
والخدود المذهبه والشعور المرجله والنحور المزينة بالمراسل من الدر
والياقوت والمرجان فى الغلائل المعسكة المبخرة بالعود الهندى المجمون بالعنبر
مع أخرى تتهادى كالفجر يل كالشمس والقمر فى منازل السعود على الفرش
الديبقيه والاردية القصبيه ومطارف الخز المضربات من رقيق القز
المحشوة فوق الاسرة من الابنوس والعاج ومخاد الديباج المحشوفيها زغب
الريش المحفوفه باللحاج السليمانيه والدسونات السوسيه وبرانى النرجس
مع أترج السوسن وتفاح أصبهان والسفرجل والرمان وأطباق الرياحين
المشمومه بين تلك الافاويه المقمعة بالعنبر والوصائف الفارغات عليهن
العقيان يتضوع من قراطقهن العنبر فيخلو معها بتلك المعاتبات الشجيه
والنغم العذبه والاشارات اللطيفه والغمز بتلك الحواجب والجفون الساحره
السالبة لالباب ذوى العقول والآداب بالالفاظ الرقيقة المحركة للسواكن
المسكنة للحركات بالغنج والشكل والبراعه واللمس الذى تضرب له العروق
الهاديه وتهدأله العروق الضاريه فاذا صافحت الخدود والخدود وانحدرت
الدموع فيما بينهما برقة الشكوى واطافة النجوى كالطل على ورق الورد
وتطابقت الصدور على الصدور وانضمت النحور الى النحور واصطكت الثغور
بالثغور والتفت الساقان المدملجة بأخواتهما وتراكب الشفران على الشفرين
واختلج كل جانب منهما على الآخر لم يقع أبقراط ولا جالينوس على بنصته ولا
اركاغانيس على مجسه ولا افلاطون وارسطاطاليس على حسنه ولا بطليموس
على حسابه ولا قس بن ساعدة على شرحه وبيانه ولا ابراهيم النظام على
برهانه ولا النعمان على قياسه ولا منصور بن عمار على صفاته حتى اذا علت
الانفاس واستغرقت الحواس وارتفعت الحرارة العزيزية الى الرأس
وبطل فيما بينهما كل قياس نظرت الى الحركات الحسيه والضمائر الوهميه
والطبائع الغريزيه والالحاظ العشقيه وقد ضبط كل عضو اقليمه
واستكمل فيما هو فيه نعيمه بين مص وقرص ومقابلة ومخايله ومخالبة

ومناهبه

ومناهبه وموائبة ومالبه ورهز وغمز وشهيق ونهيق ونخير ونعير
لو سمعه اهل الثغور لصاحوا النفير مع رفع ووضع وجذب ودفع وضم
وشم والتزام وقبل وعمل أحسن من كل عمل كل ذلك بأنين وحنين وأدب
وأرب حتى اذا حان الفراغ ووصلت اللذة الى بطون الدماغ شممت روايح
الروايح من حانة خمار ونظرت الى اهتزاز غصن البان فى حلى الازهار فلو
ابصرا لفطناء ماهما فيه لحاروا ولو سمع بها الركبان لساروا فيالها من لذة
كامله ونعمة شامله (قلت) وأنشدنى الشيخ شمس الدين الرئيس من لفظه
لنفسه شعرا

عشاقة النسوان مذلتها * قالت دع اللوم وان فى المقال
مافى سويداء القلب الا النسا * ماحيلتى مافى السويداء رجال

(ونقلت) من الاحاطه بتاريخ غرناطه تأليف الامام العلامة ذى الوزارتين
لسان الدين محمد بن الخطيب تغمده الله بالرحمه قال المصنف المذكور كتب
الى سيدنا ومولانا قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى
صيحة الانبياء بجارية تدعى هند

أوصيك يا شيخ أبى بكره * لا تأمنن فى حالة مكره
واجتنب الشل اذا جئته * جنبك الرحمن ماتكره

سيدى لازلت تنصف بالوايح بين الخلاخل والدمالج وتركض فوقها ركض
الهمالج أخبرنى كيف كانت الحال وهل حطت بالقاع من خير البقاع الرحال
وأحكم بمرود المراودة الاكتحال واكتحل بالسقيا الاسحال وصح الانتحال
وحصحص الحق وذهب المحال وقد طولعت بكل بشرى وبشر وزفت هند
منك الى بشر فلله من عشيقة تمتعت من الربيع بفرش موشيه وابتذل منها
أى وساد وحشيه وقد أقبل ظبى الكناس من الديماس ومطوق الحمام من
الحمام وقد حسنت الوجه الجميل النظريه وأزيلت عن الفرع الاثيث
الابريه وصقلت الخدود فكأنها الاعريه وتسلط الدلك على الجلود وأعزبت
الغورة بالشعر المولود وعادت الاعضاء تنزل عنها اللمس ولاينالها البنان الخمس
والمعجلة يجول فى صفحتها الفضية ماء النعيم والمسؤل يبنى من بينه الشعيم
والقلب يرمى من الكف للرقيم بالمعقد المقيم وينظر الى نجوم الوسوم فيقول

انى سقيم وقد تفتح ورد الخضر وحكم لزنجى الضفيرة بالظفر واتصف أمير الحسن بالصدود المغتفر ورش بماء الطيب ثم أعلق بلله بالعود الرطيب وأقبلت الغادة تهديها الثمن وتزفها السعادة فهى تمشى على استحيا وقد ذاع طيب الرباوراق حسن المحيا حتى اذا نزع الخف وأقبلت الاكف وصحب المزمار وأجاب الدف وداع الازج وتخور اللوى والمنعرج ونزل على بشر بزيارة هند الفرج اهتزت الارض وربت وغوصبت الطباع البشرية فأبت ولله در القائل

ومرت وقالت متى نلتقى * فهش اشتياقا اليها الخبيث
وكاد يمزق سربالله * فقلت اليك يساق الحديث

فلما انسدل الظلام وانتصفت من عريم العشاء الآخرة فريضة الاسلام وخاطت خيوط المنام عيون الانام تأتى ذنوا لجلسه ومسارقة الخلسه ثم آن عض النهد وقبلة الفم والخد وارسال من الخدالى الوهد وكانت الاماطة القليلة قبل المد ثم الافاضة فيما يعيط ويرعب ثم الاماطة لما يشوش ويشغب ثم اعمال المسير الى السرير وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ورضيت فذلت صعبة أى اذلال هذا بعد منازعة الاطواق بسره تراها العيد من حسن المسره ثم شرع فى حل التكه ونزع السكه وتهيئت الارض الغرار عمل السكه ثم كان الراى الاستجمال وحمى الوطيس وضاق المجال وعلا الحرة الخفيف وتصافرت الخصور الهيف وتساطر الطبع العفيف وتواتر التقبيل وكان الاخذ الوبيل وامتار الانول من النيل ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل فيالها من نعمة متداركه ونفوس على سبيل القحة متهالكه ونفس تقطيع حروف الحلق وسبحان الذى يزيد فى الخلق وعظمت الممانعه وكثرت باليد المصانعه وطال النزاوع وشكى التجاوز وهناك تختلف الاحوال وتعظم الاهوال وتخسر وتربح الاموال فحتى عصى ينقلب ثعبانا مبينا ونونه تصير سينا وبطل لم يهله المعترك الهائل والوهم الزائل ولا حال بينه وبين قربه الحائل فتعدى فتكة السليك الى فتكة البراض وتقلد مذهب الاراقة من الخوارج فى الاعتراض ثم شق الصف وقد خضب السكف بعدان كان يصيب البراء بطعنته وسبق بمقت الله وبعنايته طعنة ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نقد

لولا

لولا الشعاع أضاءها وهناك هذا القتال وسكن الجبال ووقع التوقع فاستراح البال وتشوق الى مذهب التنويه من لم يكن للتوحيد بمنال وجعل الجريح يقول وقد نظر الى دمه يسيل على قدمه انى له عن دمى المسفوك معتدرا وقول حملته فى سفكه تعبا ومن سبات عاد عيانا وشجاع صار جبانا كلما شابته شائبة ريبه أدخل يده فى جيبه فالحجرة الحيه وماتت الغريزة الجبه وتقلب الخضر وخف اللغاب وتظاهر اللعاب ويخفق الفؤاد ويكبو الجواد ويسيل العرق ويشتد الكرب والارق ولبس فى محل الامن الغرق ويدرك فرعون الغرق ولا يزيد الحال الاشده ولا يعرف تلك الجارحة المؤمنة الارده

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فكم مغرى بطول البث وهو من الخبث يؤمل الكره ليزيل المعره ويستنصر الجبال ويعمل باليد الاحتبال شعر

انك لا تشكو الى مصمت * فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

فقال سيحدث الله بعد عسر يسرا وبعد عى ثباتا اللهم انا نعوذ من فضايح الفروج اذا استغلقت أقفالها ولم تتمم بالنجيع أعقالها ومن معرات الاقدار والنكول عن الابكار ومن النزول عن البطون والسرر والجوارح الحسنة الغرر قبل تثقيب الدرر ولا تجعلنا ممن يستحى من البكر بالغداه وتعلم منه كلال الاذاه وهو محل فضحت فيه رجال وفراش سكنت فيه أوجال وأعملت رويه وارتجال فمن قائل

ارفعه طورا على أصبعى * ورأسه مضطرب أسفله
كالحنش المقتول يلقى على * عود لكى يطرح فى مزبله

أو قائل

عدمت من ايرى قوة حمله * ياحسرة المرء على نفسه
تراه قد مال على أصله * كحائط مر على أسه

وذكر أبيات مستكرة من هذا النمط أضربت عن ذكرها هموم لا تزال تبكى وعلل على الدهر تشكى وأحاديث تقص وتحكى قال كنت أعزك الله من النمط الاول ولم يقل وهل عند رسم دارمن معول فقد جئت واستطبت السمر فاستدعى الابواق من أقصى المدينه واخرج على قومك فى ثياب الزينه

واستبشر بالوفود وعرف ممنعه المسمع حارفة الجود ونجح اصلانه العود وانجاز الوعود واجن رمان النهود من اغصان القدود واقطف بنان اللثم افاح الثغور وورد الخدود وان كانت الاخرى فاخف الكمد وارض النمد وانتظر الامد وا كند التوسم واستعمل التبسم واستكتم النسوه واقص فيهن الرشوه وتقلد المغالطة وارتكب وحئ على قميصك بدم كذب واستنجد الرحمن واستعن على أمرك بالكتمان لا تظهر اعاذل أوغادر التبيان واستنشق الارج وارتقب الفرج فكم غمام طبق وماهما ومارميت ولكن الله رمى واملك بعدها عنان نفسك حتى تمكنك الفرصه وترفع اليك القصه ولا بشرى الى عمل لا يفى منه بتمام وخذ عن امام ولله در عروة ابن حزام

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى رموا فهوى بأشقر مزبد
وعلمت انى ان أقاتل دونهم * اقبل ولا يضر عدوى مشهد
ففررت منهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

واللبانات تلين وتجمح والمآرب تدنو وتبرح وتحزن ثم تسمح وكم من شجاع حام ويقظ نام ودليل أخطأ الطريق وأظل الفريق والله عز وجل يجعلها خلة موصوله وشهلا أكافه بالخير مشموله وبينت أركانها لو كانت اليمن مأموله حتى يكثر خدم سيدى وجواريه واسرته وسراريه وتصفو عليه نعمة باريه ماطورد قيص واقتحم عيص وادرك مدام غويص واعطى زاهد وحرم جريص بمنه وكرمه

(فصل) فى بعض ما كتبته المتظرفات * كتبت طرفة جارية النطاف على عصابتها بالذهب ليس فى الحب مشوره * وكتبت توفيق جارية ابن حمدان على برقعها كمال المكارم اجتناب المحارم * وكتبت سلامة حظية عبد الله بن طاهر ليس على القلب حكم * وكتبت عنان جارية الناطقى على عصابتها باللؤلؤ اذا لم تستحى فاصنع ماشئت * وكتبت فرحة جارية على بن الجهم على عصابتها بالريش من صبر ظفر * وكتبت مشتهى جارية القاسم البجلى على معجرتها من واصله الحبيب هان عليه الرقيب * وكتبت نزهة جارية الخصاص على عصابتها من جاد ساد ومن بخل ذل ونقشت على فص خاتمها من حن أن * وكتبت كنوز جارية ابراهيم

ابن

ابن اسحق على جبينها بالمسك العشق والكتمان ضدان لا يجتمعان * وكتبت نسيم جارية جميلة المدنية على جبينها بالغالية مراغمة الرقباء فى مصالحة الاحباء * وكتبت خلف جارية ابن حمدان على طرازها من عشق ولم يصبر هلك ولم يعلم * وكتبت المستحسنة جارية اللاحقى على طرازها الايمن بالذهب من دارى خليله داوى عليله وعلى الايسر من كشف الغطاء استحق العطاء * وكتبت وشاح المؤيدية على طراز معجرها بالذهب الوفاء مليح والعذر قبيح قال على بن الجهم كنت عند اسحق بن ابراهيم الموصلى فدخلت جاريته مهج الموصوفة بالجمال وقد كتبت على أحد خديها بالغاليه

من يكن صبا وفيا * فعنانى فى يديه

وعلى الآخر

خذ مليكى بعنانى * لا أمانعك عليه

وعن الجاحظ قال رأيت نشوان جارية زلزل قد كتبت على عصابتها

ان للنرجس حسنا وعيونا أشتهيها
فأراها فترينى * عين من أهواه فيها

وكتبت ترشف جارية هرون بن اسحق على عصابتها

أليس عجبا ان بيتا يضمنى * واياك لا تخلو ولا تتحدث

وكتبت جارية المتوكل زاجر على عصابتها

اذا خفنا من الرقباء يوما * تكلمت العيون عن القلوب
وفى غمز الحواجب مغنيات * لحاجات المحب الى الحبيب

وكتبت نظيفة جارية يحيى بن خالد بن برمك على طوق لها

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها * فى النار من فى عمره لم يعشق
والحب فيه حلوة ومرارة * فأسأل بذلك من تطعم أوذق

وكتبت هاجر جارية محمد بن على على خمارها

اذا نظرت نحوى تكلم طرفها * فجاوبها طرفى ونحن سكوت
فكم نظرة منها تقرب بى الرجا * وأخرى لها حتى تكاد تموت

وكتبت حسانة البدوية جارية المعتز على برقعها بالذهب

ألاحظها خوف المراقب لحظة * فأشكو لطرفى ما ألاقى من الوجد

فتفهم عن محظى عظيم صبابتى * فتومى بطرف العين انى على العهد
وكتبت ملاعب على جبينها بالمسك

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * فان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك ان لم تحمل الذنب يا فتى * يفارقك من تهوى وأنفك راغم

تم الجزء الاول من مطالع البدور فى منازل السرور
ويليه الجزء الثانى أوله الباب السادس والعشرون
فى الحمام وما غزى مغزاه